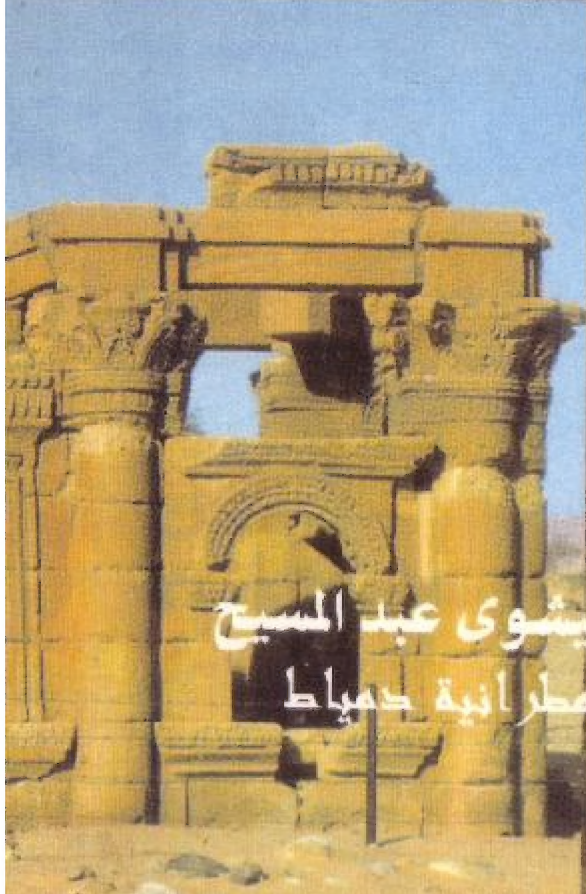
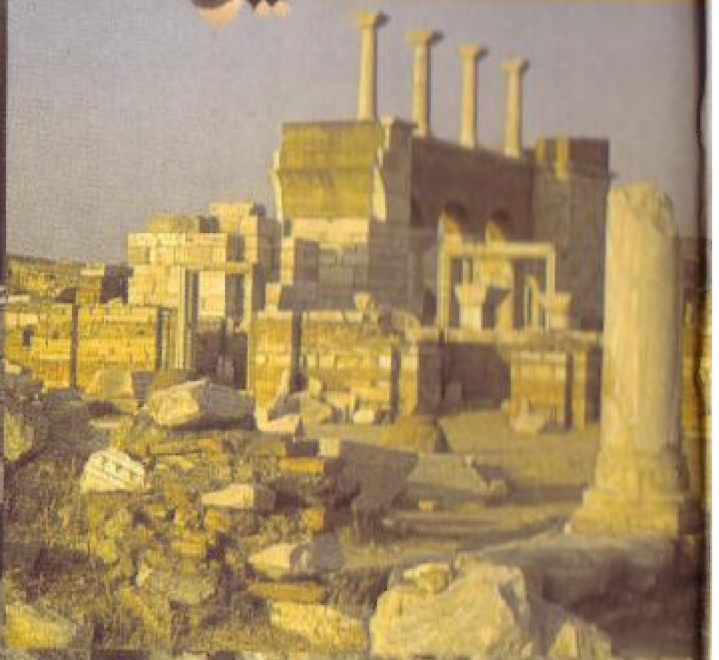


تاريخ العالم القديم

ليوحنا النقيوسي



القمص بيشوى عبد المسيح
وكيل مطرانية دمياط

٢١١

تاريخ العالم القديم

ودخول العرب مصر

القمص بيشوى عبد المسيح



حضرة صاحب القداسة البابا المعظم
الأنبا شنودة الثالث
بطريرك الكرازة المرقسية ١١٧



حضرة صاحب النيافة

الأب بيشوى

مطران كرسى دمياط وكفر الشيخ وبرارى بلقاس
ودير القديسة دميانة

بسم الأب والابن والروح القدس الله واحمد آمين

مقدمة

القديس يوحنا النقيوسى

نشأ يوحنا فى مدينة نقيوس فى بداية القرن السابع الميلادى، ولا نعرف عنه الكثير، ولو أنه يعتبر ضمن مشاهير الأباء العظام، الذين سطت عليهم يد الدهر، فلم يتبق من تاريخهم، وسيرتهم إلا القليل. هذا الأب، يوحنا النقيوسى الذى كان ضمن الشخصيات الذين تمسكوا بقوميتهم، واعتزوا بمصريتهم، لكن فقدت معظم أعماله وكتبه، ولم يتبق سوى هذا الكتاب، الذى لأول مرة يترجم له، بعدما فقد نصه القبطى، والعربى كليهما !....

ونرجع إلى مدينة نقيوس مسقط رأسه، والتى كانت عاصمة الإقليم الرابع فى مصر الفرعونية، وتسمت (نيت رسى) أى (نقيوس) وتغير اسمها إلى ابشأتى. غير أن اسمها تغير أخيراً على اسم الحاكم الذى إكتشفها. وقيل أن الملك بروسوبس هو الذى غير اسمها إلى هذا الاسم اليونانى. وكانت تقع على إحدى فروع النيل الأساسية، مما جعلها مركزاً هاماً تجارياً، وميناءً شهيراً، فإشتهرت المدينة بغناها، كما بكثرة معابدها... وقد صارت بعد إنتشار المسيحية إبارشية كبرى.

وقيل فى التقليد أن نقيوس قديمة العهد، وذكر أن العائلة المقدسة مرت بهذه البلدة، وبقيت فيها نحو سبعة أيام، أثناء عبورهم بمنطقة الدلتا.

كما يذكر التاريخ المسيحى أن هذه المدينة كانت مسقط رأس والدى القديس مينا الشهيد. ولا غرابة ! فقد نشأ فى هذه المدينة العديد من الشهداء القديسين ...

فنسمع فى هذا القرن عن الأنبا صرابامون الأسقف والشهيد، والقديس ماكروبيوس والأسقف ثيودوسيوس فى القرن الرابع، والأسقف بيوشامون فى القرن الخامس ثم الأسقف مكاربيوس والأب الأسقف باسيلوس...

وسيم أخيراً صاحب هذه الترجمة المؤرخ يوحنا أسقفاً على هذه المدينة. فى مدينة عظيمة كهذه، توفرت فيها كل مقومات الحضارة والثروة، والروحانية، نشأ قديسنا هذا العالم والأسقف والمؤرخ.

ونهل من نبع لم يجف من الحكمة والإيمان والروحانية، وترعرع فى محبة ربنا يسوع فنراه بعد ذلك بقليل، زهد العالم، حيث مضى وترهب فى حدثه بدير القديس مكاربيوس ببرية شيهيت.

يوحنا الراهب والمشير:

مضى إلى بركة شيهيت، حيث بدأ حياته الرهبانية بدير القديس مقاريوس الكبير، ولم يعض الوقت الطويل حتى غما وتعمق فى حياة الفضيلة. وكان فى رهبانيته يتميز بالقداسة والعمق الروحي وحسن التدبير.

ولما رأى البابا أغاثون (٣٩) (٦٦١ - ٦٧٧م) هذه الصفات فيه، إستدعاه من الدير ليستعين به فى الخدمة، وعينه سكرتيراً خاصاً له، فأخلص فى خدمته، وكان له نعم المشير.

ولما إنتقل هذا البابا إلى الفردوس، خلفه البابا يوانس الثالث سنة ٦٧٣م، الذى إستبقى يوحنا النقيوسى فى خدمته أيضاً. ولما تنيح هذا البابا وخلفه الأنبا اسحق البطريك (٤١) (٦٨٦ - ٦٨٩م) لازمه يوحنا أيضاً فى كل أعماله، فكان البابا يثق فيه، وكان يرافقه فى مقابلاته لأمير البلاد.

وعاش هذا الأب طويلاً، حتى أيام البابا سيمون البطريك (٤٢) (٦٨٩-٧٠١م) الذي رأى في يوحنا نقاء الضمير، وشفافية الروح، وعمق الحكمة، وكثرة الأمانة، والتضحية والبذل في الخدمة، فأراد أن يستفيد من خبراته الكثيرة، فسأله أسقفاً على مدينة نيقوس.

الأنبا يوحنا الأسقف والمدير:

لما رأى البابا سيمون كثرة مشاكل الرهبان، والأديرة آنذاك، سلم يوحنا النيقوسى مقاليد الأديرة، لما رأى فيه من طول الخبرة في الحياة الرهبانية، وكان خبيراً بتقاليدها وقوانينها حتى عرف (بالمدير)، وأعطاه سلطاناً على الرهبان، وكان يشجع تعمير القلالي ويحث الأراخنة أن يقوموا بأحوالها.

ثم رقى رئيساً لأساقفة الوجه البحرى، فجمع حوله العديد من المشيرين الأمناء، وقاد أسقفيته بروح النعمة، حتى دفع كثيرين إلى الإيمان المستقيم، ولو أننا لا نعرف الكثير عن خدمته، وكرازته وعظاته، وتعاليمه!

وتذكر مدام بوتشر في كتابها تاريخ الأمة القبطية: أن هذا الأسقف المصلح فى وظيفته، ظل مدة من الزمان كمصلح لكثير من العوائد البالية، وكمفتش للأديرة، لكن من المعروف أنه قاسى فى سبيل هذا العمل، المتاعب والمشاق الكثيرة، بسبب أمانته وغيرته على الحق، وإخلاصه.

غير أنه لا تخلو حياته الإدارية من الضعف أو نعصمه من الخطأ؟!

حادثة أثناء رياسته:

مما زاد فى شقاء هذا الأب الأسقف، قصة هذا الراهب التى يرويها الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين:

"قيل أن راهباً بالإسم، كان منحرفاً عن العبادة وكان من المحبين لشهواتهم، فتحايل على عذراء، أخرجها من ديرها، وجاء بها إلى وادى هيب دون علم أحد. وأوقعه الشيطان بها سراً، فلما كشف الأمر بين الرهبان صار بينهم سجنس وقلق عظيم، فلم يسمع بمثل ذلك قط في هذا الموضع؟!"

فلما وصل الخبر إلى الأنبا يوحنا، أخذته الغيرة على الحياة الرهبانية، وخاف من تفشى الوباء فتصدى للأمر بشدة. فأمر بضرب هذا الراهب المنحرف بقساوة، بإزاء هذه الفعلة القبيحة! والذي حدث هو أن هذا الراهب مات بعد عشرة أيام من تأديبه، مما أهاج الأكليروس والرهبان، هياجاً كاد يقضى إلى ثورة شنعاء، لولا أن مجمع الأساقفة تداركوا الأمر، فاجتمعوا في سنة ٦٩٨ م. وكان أول مجمع يعقد في مصر لمحاكمة أسقف، ولم يكن البابا البطريك له سلطة الإشراف عليه.

مجمع الأساقفة وحكمه:

كان انعقاد المجمع بدون إذن البطريك، ربما لأنهم أرادوا ألا يخرجوه في حكم سيصدر على أسقف يجله جداً...!!

ولما اجتمع المجمع طلبوا من الأنبا يوحنا أن يشرح لهم ما حدث، فأخبرهم بالحادثة، واعترف بأنه هو الذى أمر بضرب الراهب بهذه القساوة! فإغتاز الأساقفة من قساوة هذا الأب الأسقف، وأوجب المجمع عزله من وظيفته، لكونه تعدى حد الواجب في تأديب الراهب، الأمر الذى أفضى به إلى درجة الموت.. وأصدروا حكمهم على الأسقف هكذا:

(ما أنت فى حل أن تدنو من الهيكل، ومن أدوات الهيكل منذ الآن. بل تتناول السرائر كراهب عادى) وقد إمتد القطع إلى ثلاث سنوات.

ثم أن مجمع الأساقفة اقاموا أسقفا آخر يرعى الإيبارشية، بدلا عنه إسمه الأنبا مينا من دير أبو مقار ...

فلما رأى الأنبا يوحنا أن المجمع إنعقد، وأصدر حكمه بالقطع، وأن الأب البطريك لم يتدخل في الأمر، أو يحتج نادى أساقفة المجمع قائلاً:

(كما قطعتموني ظلماً، الرب الإله الذي أعرف اسمه، يجعل جميعكم غرباء عن كراسيكم، إلى تمام الزمان الذي حكمتم فيه على)

تعليق أنبا ساويرس على هذه الحادثة:

(..وبعد أيام ليست كثيرة تم ما تنبأ به هذا الأسقف البار، بشأن الأساقفة، لأنه كان في ذلك الوقت قوم يتشبهون بالأمم، فأصابتهم عادة التسرى، وتعدد الزوجات، ملتصقين بنساء أخريات غير محله لهم، ليشبعوا شهواتهم الدنيئة، ويدعون أنهم نصارى!

ولما قام مجمع الأساقفة بردعهم، ومنعهم من السرائر المقدسة، مضى قوم منهم إلى الأمير، وأدعوا أن الأساقفة منعوهم من الزواج، وأفرزوهم من الشركة المقدسة بالكنيسة، مما دفعهم إلى الزنى!

فغضب الأمير، وأمر بجمع الأساقفة من كراسيهم إلى مدينة الاسكندرية، فلما اجتمعوا جميعاً وكان عددهم نحو ٦٤ أسقفًا، ولم يعلموا لأى شيء اجتمعوا!

ثم أمر الأمير في ذلك اليوم، بأن تمنع صلوات النصارى وقداستاتهم، لأنه قال أنهم ضالون. وأمر بإبعاد الأساقفة عن كراسيهم، مدة من الزمن، نحو ثلاث سنوات، أى ما يعادل فترة القطع التى أوجبوها على الأنبا يوحنا).

آلام الأنبا يوحنا وإضطهاده ونياحته:

يغلب الظن أن هذا الأب لم يعمر طويلاً بعد هذه الحادثة، فقد عاصر فى نهاية أيامه، الحكم الأموى، حيث كان الإضطهاد قد اشتد، وبسبب أمانة هذا الأب فى الدفاع عن الإيمان، ومحبه للمسيح وقوميته، ألقوا القبض عليه، ونفوه عن كرسىه

أيضا إلى إحدى الجزر في النيل... حيث قضى بقية حياته وشيخوخته هناك، وبسبب كثرة آلامه وكبر سنه، أصيب بفقد بصره.

وكان بعض المؤمنين الناجين من الإضطهاد، يعتنون به إلى أن تنيح بسلام، في بداية القرن الثامن الميلادي. بركة صلواته تكون معنا آمين.

يوحنا النيقوسى:

ترجع شهرة يوحنا النيقوسى، إلى كتاب التاريخ الذى ألفه، الذى يشتمل: على تاريخ العالم منذ بدء الخليقة وحتى أواخر القرن السابع الميلادي.

وقد أسهب فى سرد الحوادث الخاصة بالفتح العربى، والتى كتبها كشاهد عيان، مما جعل لكتابه قيمة كبرى، ومصدراً لا غنى عنه لكل باحث فى تاريخ ذلك العصر.

وقد وضع الكتاب باللغة القبطية، لغته القومية، ولغة هذا العصر، ولكن مما يؤسف له أن النسخة الأصلية للكتاب، قد ضاعت منذ أمد بعيد، ولم يتبق سوى ترجمة حبشية للكتاب قام بترجمتها إلى اللغة الحبشية، أثيوبى يدعى غبريال، ذكر عن نفسه أنه الإبن الروحى ليونس القصير. وقد قام بهذا العمل، بأمر من الملكة مريم سنا، وأثناسيوس قائد الجيش الأثيوبى.

وسمى الكتاب بالحبشية بإسم (يوحنا مدبر)

وبدأ ترجمته من اللغة العربية إلى الحبشية، فى ٢٨ أيب وإنتهى فى بابه سنة ١٦٠٢م. أما النص العربى نفسه، والمترجم من النص القبطى، وهو ما ترجم عنه هذا الشماس فلم نعثر عليه، لأنه فقد مع النص سابقه!

هذا الكتاب:

مترجم عن النص الفرنسى، الذى سبق أن قام بترجمته عن الحبشية، أحد العلماء المستشرقين وهو :

زوتنبرج Zotten burge بعنوان:

Chronique de Jean de Nikious Paris ١٨٨٣م.

وقامت بترجمته أخيراً الأستاذة ليزة عزيز إسكندر موجهة اللغة الفرنسية بمحافظة دمياط، وقمت بضبط المعاني والأسماء والتواريخ والأعلام.

وقد كتب هذا الكتاب أصلاً باللغة القبطية، اللغة القومية وكتبه يوحنا النيقوسى، الكاتب القبطى المتمسك بقوميته، وكتبه لشعبه القبطى فى القرن السابع الميلادى، الذى فيه بدأت اللغة اليونانية فى الإنقراض، ولم تكن تستخدم آنذاك إلا فى بعض العواصم الكبرى والاسكندرية.

كما أن الكاتب لم يذكر أى شىء من التاريخ البيزنطى، حتى يكتب لهم باليونانية! لذلك نجد أن رأى كثير من المؤرخين أن يوحنا كتب كتابه بالقبطية، ويرى أن معظم صيغ الأعلام فى النص الحبشى، تدل على أنها أخذت من الأصل القبطى لا اليونانى!!..

أخيراً: تعليق على الكتاب

يظهر أن الكاتب جمع معلوماته من كتب التاريخ القديمة، ونراه يسرد الحقائق التاريخية فى صراحة ووضوح تبين مدى ما وصل إليه من تعمق فى البحث، وغزارة فى المادة.

وقسم كتابه إلى ١٢٢ باباً مستخدماً الجمل الطويلة بدون فواصل، وسارداً تاريخاً خالياً من المبالغة فى الأسلوب.

بدأ منذ ابتداء الخليفة وحتى الفتح العربى، أى منذ آدم الأول، إلى ثيو الذى حكم اليونان وأفريقيا.

ومن روميلوس وريموس اللذان حكما روما، إلى القديس قسطنطين، وإلى حكم جوفيانوس.

ومن حكم فالنتينوس إلى نهاية حكم ثيودسيوس.

ومن عصر أركاديوس وأنوريوس، ولدا الامبراطور ثيودوسيوس إلى حكم أنسطاسيوس. ومن يوستينيانوس إلى آخر حكم هرقل.

ومن عصر ثيودوسيوس وإلى مصر، إلى يوحنا راهب جبل سينا....

وكان مؤلف الكتاب متعصباً لقوميته، لدرجة لم يدع فرصة يقدر أن يتكلم فيها عن مصر، إلا ودسها بين سطور وأبواب الكتاب!!

وقد خص مصر بأبواب كثيرة مثل:

فى الفصل الأول: بين أن الشعب المصرى هو أول من صاغ الذهب، وبحث عن المناجم.

وفى الفصل الثانى: ذكر أن المصريين هم أول من صنعوا آلات الحرب.

وفى الفصل الثالث: تحدث عن تأسيس مدينة أون القديمة (عين شمس) أو هليوبوليس، وتأسيس مدينة أبوصير، ومدينتى سمهود والبرابى.

ثم ذكر أن إبتداء فلاحه الأرض كانت فى مصر، وتحدث عن سيزوستريس، الذى كان أول من فرض الضرائب فى مصر، وشق القنوات.

وتحدث عن ملك أثيوبيا، الذى حكم مصر بعد سيزوستريس، وهو أول مصلح اجتماعى، شرع بأن المجرم لا يقتل أو يعذب، بل يستغل فى إصلاح الأرض، وردم المستنقعات، وفى أيامه جفت اليابسة من مياه النهر، وأمكن للناس أن يشيدوا مدناً فوق المرتفعات تفادياً لمياه الفيضان.

ثم عرض لبناء الأهرامات الثلاثة في مدينة ممفيس، وذكر أن ملشيصاداق كان من أسرة سيدوس ابن ملك مصر والنوبة.

وذكر أن فرعون بيتشوبيس هو الذى أبدل إسم مدينة إيشادى إلى نيقىوس. وشرح كيف غمر النهر مجراه عند هذه المدينة، من المشرق إلى المغرب. ثم تحدث عن فترة حكم كورش وفتح مصر، ويوليوس قيصر، وكليوباترا وفترة حكمهم لمصر.

وذكر بعض المنشآت بمدينة الاسكندرية، وبناء حصن بابليون بمصر. وزمن حكم دقلديانوس لها. ثم أخبار القديس ثاوفليس بطريرك الاسكندرية، وقيام ثورة فوكاس (فوقا) فى مصر.

لكن الفصول الإحدى عشر الأخيرة، خصها بالفتح العربى، وأفاض بمعلومات مطولة كتبها كشاهد عيان. فكتب بإسهاب عن حوادث عصره من الباب ١١١ وحتى نهاية الكتاب. وما جاء به من أخبار الفتح الإسلامى بمصر كانت بيانات أصيلة وأكيدة.

ويختم كتابه بالقول: يقولون أن طرد الروم وانتصار العرب، كان بسبب ظلم الإمبراطور هرقل، وإضطهاده للأقباط الأرثوذكس فى أيام قورش البطريك الخلقيدونى...!!

وتتم الفصول بالباب ١٢٢ وفيه يقدم المؤلف الشكر على فراغه من هذا الكتاب، ويلخص العديد من الموضوعات، التى سبق وعالجها ليسهل على القارئ الإلمام بها.

أخيراً: نلاحظ أن الترجمة الحشوية جاءت ملأنة بالأخطاء، وغير منظمة، وفيها أسماء الأعلام والبلدان، ترجمت بطريقة مقربة، وأحياناً محرفة وغير واضحة. لذلك حرصنا فى بعض الأحيان على وضع الإسم الصحيح بين قوسين.

ويعتبر الكتاب محاولة أولى للظهور. ولكن مازال يحتاج إلى البحث، والتتقيق والمراجعة، متى توفرت المراجع، ولكنني أتمنى أن أكون قدمت مرجعاً تاريخياً للمكتبة العربية.

وأسأل الله القدوس أن يبارك هذا العمل بمجد اسمه بصلوات حضرة صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث وشريكه أبينا الطوباوي المطران الأنبا بيشوى حفظهما لنا الله لسنين عديدة آمين،

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

نبدأ حديثنا بذكر أول من خلقوا من البشر ... فمكتوب عن آدم وحواء أن الله بعدما خلقهما أعطاهما أسماء.

لكن آدم هو الذى أعطى أولاده أسماء، كما أنه سَمَّى كل المخلوقات الأخرى.

الفصل الثانى

حصل شيث ابن آدم على موهبة العلم من ربه.

فهو الذى أعطى الكواكب أسماءها. فسمى الأول (زحل)، والثانى (المشتري)، والثالث (المريخ)، والرابع (الزهرة)، والخامس (عطارد).

ومن جهة أخرى، أعطى للشمس اسمها، وكذلك القمر، فأصبح عدد الكواكب فى عرّفه سبعة.

كما أنه أول من كتب الأحرف باللغة العبرية...

الفصل الثالث

صار أبناء نوح كباراً وجبابرة، لذلك بدأوا فى بناء السفن.

وكانوا يجوبون البحار.

"نلاحظ أن المترجم إقتضب هذه المقدمة القصيرة، لأنها غامضة، وقال المترجم أنه لم يفهم معنى معظم الجمل، لأن بعض الكلمات حذفت خطأ من المترجمين الذين سبقوه أو ربما من النساخ".

الفصل الرابع

قيل عن قينان بن أرفكشاد الذى ولد من سام بن نوح، وأنه كان رجلاً عالماً، وراعياً، وهو الذى له الفضل فى إنشاء علم الفلك بعد الطوفان، وقد أكمله الهنود من بعده.

الفصل الخامس

كان هناك رجل من الهند يدعى (كونتوريوس) أو كوش وهو من أصل أثيوبى من قبيلة سام.

وأنجب هذا (أفرويد) وهو المدعو غرود الجبار. وهذا بنى مدينة أسماها بابل، وقد خضع له الفرس، ورفعوه إلى مصاف الآلهة، وأعطوه إسم نجم من السماء يدعى (أوريون) ومعناها بالعربية (جبارة) وكان غرود هذا أول من مارس صيد الحيوان، وأكل لحومها.

الفصل السادس

كان أكروتس مارداً جباراً، وهو من قبيلة سام بن نوح. وكانوا أيضاً يسمونه بسم أحد الكواكب وهو (عطارد). وكان له ابن يدعى (دومنس)، وكان رجلاً حربياً مقاتلاً مخيفاً.

كان أول من مارس الملك فى فارس وفى آسيا، وقد تزوج امرأة تسمى (ريا) (Rhea) آسيوية وأنجبت له إبنان هما: بيكوس (Pecus) ويسمونه أيضاً زيوس (Zcus) ونيوس ويترجم أيضاً فينوس.

ونيوس هو الذى بنى فى ملكه فى آسيا مدينة ملكية سميت باسمه (نينوى). أما عن الجدد (كروتس) فقد ترك ابنه فى مملكته، وذهب هو الى جهة الغرب لأنهم كانوا بلا ملك، فملك هو عليهم.

لكن ابنه (زيوس) لم يهدأ له بال، بل قام بثورة على أبيه كروتس وقتله. وسبب ذلك لأنه إفتس أولاده الآخرين، وصير ريا (التي كانت زوجته) أمًا له، مع أنها أم ابنه هذا الذي تبقى له.

الفصل السابع

أما بيكوس الذي يسمى أيضاً (زيوس) فكان أول من تزوج أخته، وأنجب منها ابناً دعاه بلليوس Belluis، وكان يشبه جده كروتس، الذي حكم في آسيا، بعد اختفاء أبوه، وجده.

وأخيراً بعد موت بلليوس، رفعه الفرس إلى مصاف الآلهة.

الفصل الثامن

... وبعد موت بلليوس ملك عمه نينوس في آسيا (أشور) بعدما تزوج امه (سميراميس)، فوضع أساس هذه العادة البغيضة، والتي أنتقلت منه إلى خلفائه الذين لبسوا بهذا العمل الشنيع حتى الآن.

هذا ولو أن هذا العمل شيء غير مشين في فارس، لأن الفرس يتزوجون أمهاتهم، وأخواتهم، وبناتهم.

الفصل التاسع

أما في الغرب، فبعد موت بيكوس ملك فونوس Faunus (الذي يدعى أيضاً هرمس) لمدة خمس وثلاثين عاماً.

وكان أول من اخترع صياغة الذهب، وكيفية صهره، إذ كان صائغاً. ولما علم أن اخوته غيورين منه، لدرجة أن كانوا يريدون قتله، هرب إلى مصر، حاملاً كمية كبيرة من الذهب، وظل هناك مدة من الزمن.

وكان يرتدى رداءً جميلاً مزينا بالذهب.

وكان يوزع صدقات كثيرة على الناس، ويهب عطايا للمصريين. هذا فقد قبلوه بكل إعزاز وفخر، وكرموا و كان يدعى معرفته بالمستقبل، فوضعوه في مصاف الآلهة، لدرجة أن عبده الفقراء، وأسموه (سيد الذهب).

الفصل العاشر

وهناك رجلاً يدعى هيفوسطس Hephoeetos كان قد حكم مصر، ورفعوه إلى مستوى الآلهة، وكان رجل حرب يحب المعارك، وكانوا يعتقدون أنه على دراية بخفايا الأمور، وإذا كان حداداً فكان أول من صنع أسلحة الحرب والقتال، وعمل الأحجار التي أستخدموها في الحرب، ومع ذلك كله فقد كان أعرجاً، إذ كان قد سقط في القتال من على ظهر جواده، فجرح في رجله وظل أعرجاً طوال حياته.

الفصل الحادى عشر

ونعلم من التاريخ المقدس أن ميتوشائيل (ميتوسالم) أنجب لامك (لاميش)، وهذا الأخير تزوج امرأتين إحداهما (عادة) والأخرى صلة. وأنجبت عادة يابال، وبعد عدة سنوات أنجبت أيضاً توبال، الذى أشتغل بالمطرقة والسندان والحديد. فعمل توبال ابن لامك حداداً قبل الطوفان إذ كان قد تسلم من الله موهبة العلم.

الفصل الثانى عشر

بعد موت هيفوستوس Hephoeatos الشهير (بشمس) حكم مصر ابنه المسمى أيضاً (شمس) مثل أبيه.

وأسس مدينة سماها على اسمه أى (هليوبوليس) وصارت فيها مقابر الملوك، كما
بيت فيها معابد لأعظم الآلهة.

الفصل الثالث عشر

وكان هناك رجل يدعى ميتا أونائوس، الذى جاء خلفاً لأيكاسبيرا
Aygashbera الشهير بديونسيوس، وهذا الأخير أسس مدينة تدعى بوسيرس
Bousiris (أبو صير) فى مصر العليا، وأخرى بنفس الاسم فى شمال مصر.

الفصل الرابع عشر

إن أوزيريس، أو كما يسمى اليونان (أبوللو) أسس مدينة سمود، وأقام بها معبداً
كبيراً. وهذه المدينة دعت فى الأقوال المأثورة بلفيجور Belpigor.

الفصل الخامس عشر

قيل فى كتابات العلماء المصريين فى ذلك الوقت ... من هو هيرمس
Hermas؟ انه كان رجلاً عجيب الشأن، آمن ببعض الأقوال الوثنية مثل: أن قوى
الآلة عظمى هى الخالق، وأنها هى إله واحد، فقد أعلن هيرمس إذن بين الوثنيين
وجود الثالوث الأقدس الواحد، وأظهر عظمته، وأنه مصدر الحياة، وهو المهيمن
على العالم، فصار معتبراً بين الوثنيين.

الفصل السادس عشر

هناك مدينة تعتبر هى الأولى فى معرفة زراعة الأرض، وبذر القمح، وكل أنواع
الحبوب الأخرى. وسر اتساع رقعة أرض هذه المدينة، بسبب الكميات الهائلة من
المياه المنحدرة من نهر جيحون، حتى أصبحت المدينة مغطاه بالبحيرات
والمستنقعات.

الفصل السابع عشر

ملك سيزوستريس (رعمسيس الثانى) فى مصر، والأقاليم المجاورة، وكان أول حاكم مسح الأراضي، وفرض الضرائب، فجمع غنائم كثيرة، وأسر كثيرين من كل سكان البلاد المجاورة، حيث سخرهم فى حفر الأراضي، وردم المستنقعات التى فى مصر، فأمكن الشعب أن يزرعوا الأراضي المستصلحة. وكانوا يدفعون ضرائب للملك عنها، وذلك من ثمار الأرض، ثم حفر الملك قناة تسمى Dik ديك حتى يومنا هذا.

الفصل الثامن عشر

بعد سيزوستريس حكم مصر (سايجون) ملك الهند لمدة خمسون عاماً. وكان يحب الناس، فطلب ألا يسفك دم أحد دون وجه حق. وقد سن قانوناً فى مصر، بالا يحكم على مجرم بالقتل، أو حتى يقاسى العذاب، بل أمر بأن تستبق حياة المذنبين، ويحكم عليهم فقط بالأشغال الشاقة - كل بحسب جرمته - فكانوا يعملون فى تنظيف الأرض، وردم البرك والمستنقعات بالأتربة.

حينئذ قام الأهالى بتشديد مدنهم على المرتفعات، بعدما انحسرت المياه عن الأرض نتيجة هذه الأعمال. وصار الشعب فى مأمن عن الفيضانات، وقد حدث بالفعل عدة فيضانات فى أيام حكم سيزوستريس، وذلك قبلما يتعلمون بأن يحفروا ويعمقوا مجرى النهر. وقد سبب ذلك الفيضان تسرب كميات هائلة من المياه، كونت مستنقعات كبيرة وقد حاولوا ردمها فلم يفلحوا.

ويرجع الفضل لسايجون ملك الهند بجهوداته المشكورة، فى إعطاء السكان مساكن على المرتفعات.

الفصل التاسع عشر

حكم مصر بعد ذلك رجل يدعى (خوفو)، وهذا أغلق معابد الآلهة والأصنام الأخرى التي كان المصريون يعبدونها، مضحين للشياطين وقد شيد في مدينة ممفيس أهرامات، وحمل المصريون على عبادة الشمس. وكلفه هذا العمل على دفع ١٦٠٠ هبة من النقود للعمال. هذا بجانب ما أنفق من الخضروات والكرات أبو شوشة، لأن هذه وجدت مقيدة بالسجلات القديمة، ومحفورة على الجدران بلغة القدماء المصريين، تشهد لمن يقرأها بالظروف التاريخية التي أحاطتها. ونتيجة لهذا العمل فقد أفلق الملك في هذه السنين كل حصيلة الضرائب، بسبب كثرة عدد العمال والبنائين المستخدمين، حتى أبتلع العمل كل ثروات المملكة دون أن ينتهي.

وقد وقع هذا الملك البائس في فقر وضيق، لدرجة أن كانت له أبنه جميلة الوجه، فوقعت فريسة لأغراء الشيطان، حيث أنها إرتمت في مكان العهارة، فأسلمت الفتاة نفسها للغواية، لكل من يريد أن يستمتع بشهواته، نظير أن يحفر حجراً كبيراً يضيفه إلى البناء.

وقيل أن أقل حجر وضع، كانت مساحته ثلاثين قدماً أو عشرين ذراعاً وقد انتهى أخيراً من بناء أحد هذه الأهرامات الثلاثة، التي أعتبرت ثمناً باهظاً لهذه العاطفة الخاطئة لهذه الفتاة البائسة.

الفصل العشرون

يقولون اخترع هرقل فيلسوف مدينة تيرا Tyra حرفة صناعة الحرير، والذي صنعت منه ثياب فونيكس (فونس) ملك تير الكنعاني، وكل خلفائه من بعده، وقد حدا ملوك البلاد الأخرى حذوه، حتى تميزوا عن بقية الشعب، لأن الشعوب القديمة كانوا يلبسون ملابس من الصوف.

فأصبح كل الملوك والقضاة بعد ذلك يرتدون الملابس الحريرية، وتركوا عنهم الملابس القديمة.

الفصل الحادى والعشرين

كان هناك رجل يدعى برسوس Persee، وكان يتطلع دائماً إلى أرض سوريا. لكن أبناء أعمامه (نينوس)، (زيوس) كانوا ينافسونه.

ومرة بينما هو ذاهب إلى... تقدمت إليه فى الطريق فتاة كانت تسير بمفردها، فأمسكها من شعر رأسها، ثم قطع رأسها بسيفه حيث ثبت هذه الرأس فوق رمح، إذ كان قد تعلم السحر من أبوه زيوس، وكان يحمل هذه الرأس معه فى كل حملاته الحربية.

ثم هم لي مضى إلى الهند، فاتجه ناحية سوريا، فعارضه الليكونيين، فهزمهم، رافعاً أمامهم رأس الفتاة الساحرة Gorgone. ثم أسس مدينة أيقونية التى كانت فيما مضى قرية صغيرة تدعى أماندرا Amandra. لأنه وضع فيها صورته مع رأس الفتاة البغيضة.

وذهب بعد ذلك إلى آشور Isaurie ثم سيسليا، فحارب من سكانها، لكنه هزمهم أيضاً بقوة السحر المعقود على رأس جورجوني. أما قرية سيسليا، التى كانت تسمى إندراسوس، فجعل منها مدينة كبيرة أسماها ترسوس Tarse.

ومضى من سيسليا إلى آشور، وهناك قتل إحدى الشخصيات العظيمة المدعى ساندانبل Sandanaple، ولم يبق أى اعتبار لأية قرابة بينه وبين هؤلاء الناس.

وبعدما استولى على هذه البلاد، غير اسمها إلى آشور، وكان سكانها من الفرس بحسب اسم بلادهم الأصلية (فارس) وبعد ما غير اسم بلادهم إلى اسم آخر، زرع

فيها أشجاراً أسماها برسنة Persee أو خووخة (أى شجرة الخوخ) تذكّاراً لإسمه إلى اليوم، ثم حكم سوريا لمدة ثلاثة وخمسون عاماً.

حدثت في هذه السنين عدة اضطرابات، فحدثت رعود شديدة مصحوبة بكميات عظيمة من الأمطار والسيول، لدرجة أن ملأت النهر الذى يخترق سوريا (درونطس). وقد إندفع وميض البرق من السماء على شكل نيران غطت وجه النهر، حتى هدأ وتوقف فيضان النهر وحينئذ اطمأن الناس.

فأندهش برسوس Persee لما حدث وقال: لابد أن الذين أحدثوا ذلك، هم أشخاص شيطانيين ولهم خبرة بالزراعة!

ولما انتهى من قوله اشتعلت النيران، فحفظ جزءاً منها عند عودته إلى سوريا، فجعلها الفرس سكان سوريا إحدى مقدساتهم، وقدموا لها العبادة والسجود، وبنوا لها معبداً أسموه النار الخالدة وكانوا يقولون: "أن النار هى ابنة الشمس المغلفة بالبللور الذى يشبه القطن، ولونه قريب من لون الماء، لأنه مولود منه وفى داخله مثل الماء".

الفصل الثانى والعشرون

كان من قبيلة يافث ابن نوح رجل يسمى أناخوس، وكان هو أول ملك على بلاد Argiviens الجزائر التى فى الغرب. وكان يعبد القمر، وجعله أهم مقدساته. وأنشأ فى تلك البلاد مدينة بإسم القمر أى Jopoles أو مابوليس، لأن الجزائريين يسمون القمر Jo فى أسرارهم حتى اليوم. وبنى لهذه العبادة معبداً وأقام مذبحاً، وصور هناك تمثالاً للقمر من البرونز، حفر عليه هذه الكلمات. (المملوء نوراً).

الفصل الثالث والعشرون

حكم بوسيدون ناحية الجنوب، وتزوج من امرأة تدعى ليبيا ابنة بيكوس، وأمها مابوليس. وقد أعطى بوسيدون اسم زوجته ليبيا على البلد الذي يحكم.

وأنجب بوسيدون ثلاثة بنين هم بوسيدون Poseidon، بليص Belus، أجنور Agenor .

وهذا الأخير تزوج امرأة تدعى ديرو. ثم أنشأ مدينة أسماها على اسم زوجته، أى ديروس وهى مدينة تير Tyr، وأنجب ثلاثة أولاد من زوجته هم سيروس، فينكس، وسيلكس وقد أصبحوا بدورهم حكاماً مشهورين.

بعدما مات أجنور Agenor، قسمت مملكته بين أولاده الثلاثة. فأخذ فينكس كنعان، والأقاليم المجاورة، وسمى أقليم فونسكى على اسم زوجته. وأخذ الثانى سوريا، وأعطى لها اسمه (سيروس) والثالث سيلكس أخذ الأقليم الباقي وسماه (سيليس).

الفصل الرابع والعشرون

قيل عن رجل من عائلة بيكوس أو (زيوس)، واسمه طوروس (Taurus)، كان يحكم قبرص. قام بحملة على تير، وكان قد وصل إليها وقت غروب الشمس، فاستولى على المدينة، وسلب كل ثروتها، وأسر شعباً كثيراً من المدن الأخرى المجاورة. وتزوج من امرأة تدعى أوروبا Europe، حيث أطلق اسم زوجته على تلك المنطقة. وأسس هناك مدينة جديدة أسماها جوريتا، على اسم والدته. ثم قفل مبحراً أثناء الليل وعاد إلى بلده قبرص.

الفصل الخامس والعشرون

كان هناك رجل يدعى ليوس Laius، له ابن يدعى دوكا (tokka)، وكان قد اكتشف أن ابنه على علاقة غير مشروعة مع أمه، فأمر جنوده، بأن يعلقوه من رجليه في شجرة مقطوعة الأغصان حتى يموت...

الفصل السادس والعشرون

قيل أن أول من عبد الأوثان بدافع من الشيطان، رجل اسمه (صاروش Saruch) من قبيلة يافث ابن نوح. وقد بنى لها المذابح، وكان يقدم لها العبادة والسجود.

الفصل السابع والعشرون

لكن ملشيساداق Melchisedec البار، والذي كان من بين الودعاء الذين عبدوا الله، إذ كان صديقاً وبلا خطية، وذكر اسمه في الكتب المقدسة، ولم يكن من قبيلة ابراهيم، بل بلا أب ولا أم ... وكان يكره آلهة الأمم، وصار كاهناً لله الحي. ورغم ذلك قيل عنه، أنه كان ينخرط من عائلة "سيدوس" ابن ملك مصر والنوبة. الذي أخذ عنه المصريون إسمهم.

ومعنى ملشيساداق، أى الملك البار. وعلى ذلك فإن سيدوس كما يقولون: كان لكم كنعان، كان من أصل قبيلة قوية، وقد سماه المصريون هكذا، بسبب بلاد الفلسطينيين (كنعان) التى كان قد أخضعها، وما زالت تسمى بهذا الاسم حتى اليوم. ولما استتب له الأمر مع أهل هذه البلاد، أسس فيها مدينة أسماها صيدون والى ما زالت جزءاً من كنعان الآن.

وإذا صدق القول، فإن والد ملشيصادق وأمه كانا وثنيان. ولكن الرجل قديس، كان يلوم والديه على وثنيتهما، ثم هرب منهم (كأنه أصبح بلا أب ولا أم)، وأصبح كاهناً لله الحي، ثم حكم كنعان، وشيد على الجلجثة، مدينة تدعى صهيون أو ساليم وهو يعنى فى لغة اليهود "مدينة السلام".

وحكم فيها نحو ١١٣ عاماً ثم مات. لكنه ظل طوال حياته طاهراً وباراً، كما كتب عنه يوسفوس المؤرخ والعالم، فى بداية كتابه "تاريخ اليهود".

وكان أول من قدم قرابين لإله السماء، من الخبز والخمر، فى هيئة أسرار مقدسة، أشارت إلى ربنا يسوع المسيح.

كما قال داود فى المزامير "أنت هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق" وفى مكان آخر "الله عرف فى صهيون وتعظم فى اسرائيل".

وعلى هذا فإن اليهود تسلموا معرفة الله من ابراهيم.

وساليم نفسها، هى القدس أو اورشليم. وقد سميت هكذا لأن السلام كان يسود صهيون أثناء حكم ملشيصادق.

أما عن اسم (العبرانيين) الذى أطلق على اليهود، فإن تسميتهم هذه ترجع إلى كلمة "عبر" التى أطلقت على ابراهيم الأصل.

وفى الحقيقة فإن أول ما فعله ابراهيم، أنه (عبر)، بعدما قام الأشرار ببناء برج، ثم فشلوا بسبب خطيتهم الرديئة، قام ابراهيم ومضى منفصلاً عنهم، وظل مرتبطاً بالله بإيمان.

لذلك فإنه بعد بلبله الألسن واللغات، ظلت لغة العبرانيين هى الوحيدة كما هى، فى تكاملها، ودقتها، فلم يصبها أدنى تغيير.

وقد احتفظ خلفائهم بلغة الملائكة، وهذه اللغة نفسها هي التي تحدث بها آدم، وكانت النتيجة، أن أصبح اسمهم عبرانيين، ولغتهم هي العبرية.

الفصل الثامن والعشرون

قيل عن رجل من أصل قبيلة يافث بن نوح، اسمه هيزيود Hesiode، وهو الذي اخترع الكتابة باليونانية، وعلمها أيضا، ويحكى أنه في عهد ملوك مصر، كان يوجد في ليديا Lydie، فيلسوفا منحدرًا من العمالقة، من أصل يافث، يدعى انديميون Endymion، قدم صلوات سرية للقمر، وأعلن له منه، في رؤية، اسم الله، وبينما كان هو ذاهبًا ذات يوم، سمع هذا الاسم المقدس، وبعدها قضى نحبه فحفظ جسده في ليديا، وكانوا يرونه في كل سنة عندما يفتحون تابوته، حيث يرقد.

الفصل التاسع والعشرون

قيل أنه في عصر يشوع بن نون حكم في أتيكا Attique ملك يدعى اوغيغس Ogyges، وقد حدث طوفان في أيام حكمه في هذا البلد فقط، فهلك الملك وكل شعبه حتى أصبح هذا البلد صحراء مهجورة لمدة ٢٥٦ سنة، وقد ذكر اهرىكانوس هذا الكلام في التاريخ القديم.

الفصل الثلاثون

في عصر موسى خادم الله، والمشرع العظيم، الذي قاد بني اسرائيل وأخرجهم من مصر، كان بيتسونيس يحكم مصر وهو أموسيوس Amosios الفرعون .. كان يستعين في الحكم بكتاب الساحران ، ينيس، وعبريس، اللذان قاوما موسى العظيم كلام الله.

وبرغم المعجزات والعجائب، التي عملها موسى بعصاه، إلا أن فرعون أبى أن يطلق بنى اسرائيل.

وقد ذهب بيتسوينس إلى مكان تنبؤات المستقبل التي كانت توجد في (منف) بالقرب من الوحي المشهور عندهم، وقدم له القرايين. وعندما سأل أحد العبرانيين هذا الوحي Taninns أجابه: "انه الله الكائن في السماء السرمدي" الذي ترتعد أمامه السموات والأرض، وبحشاه البحر، والشياطين ترتعب لذكره. ولكن الملائكة تمجده، لأنه هو الذي يمنح القوة والإرادة".

وقد سجل بيتسوينس هذا الوحي على عمود، ووضعه في معبد قريباً من مقياس النيل. وقد تهدم المعبد فيما بعد، ولكن مازال هذا العمود باقياً، بل كان هو الشيء الوحيد في مصر الذي لم يكسر، وظل هكذا حتى انهدم معبد الأوثان تماماً، حيث لم تكن هناك قوة تستطيع أن تحمي معبد منف، لأنه قد تهدمت كل المعابد بقوة ربنا يسوع المسيح.

وعلى هذا فقد غرق بيتسوينس، هذا الفرعون المعتوه، مع خيله وخيالاته في البحر الأحمر.

ومن المعروف أن بنى اسرائيل، عندما خرجوا من مصر، حملوا معهم ثروات المصريين، وكان هذا بإرادة الله، وحسب مشيئته.

لأنهم اعتبروا هذه الثروات بمثابة مكافأة لهم، نظير الأعمال الشاقة التي تكبدوها في العمل الشاق بلا إنقطاع.

فعضب فرعون لما علم بذهابهم، وسار بجيشه للاحقهم في طريقهم، فغرق في البحر هو وكل أتباعه، ولم يتبق منهم أحد.

أما بنو اسرائيل فمشوا على اليبس في وسط البحر إلى أن وصلوا إلى ما شاء الله الذي هو ممجد فوق كل المخلوقات.

لكن بنو المصريين الذين لم يهلكوا كالباقين، فقدّموا قرابين للشياطين وتركوا عنهم عبادة الله. هؤلاء المساكين أهلكوا نفوسهم، متشبهين بالملائكة الذين سقطوا، وثاروا ضد الله، وعبدوا صنعة أياديهم. فالبعض عبدوا البقرة، وآخرون عبدوا الثور، الكلب، الحمار، والبغل، والاسد، والسّمك، والتمساح، والكرات أبو شوشة... وكثيراً من المخلوقات الأخرى المشابهة.

الفصل الحادى والثلاثين

فى هذا الوقت، وفى حكم الملك السابق فى مصر، حيث كان السكان يعبدون الأوثان والمقدسات الأخرى... وكذا مدينة Absay أبشاي الشهيرة أو "نقيوس". كان ملك هذه المدينة يدعى بروسيس الذى معناه "من يحب المقدسات ذات الثلاثة أوجه".

هذا الملك كان يقيم على الضفة الغربية للنهر، وكان يحارب دائماً البربر المعوين "الموريتانيين"، حيث كانوا يأتون من بنتابوليس، وقاموا بمعركة ضارية، ولكن سكان هذه المدينة حاربوهم بقوة، وقتلوا منهم عدداً كبيراً. وبعد هذا الانتصار السعيد، لم يرجع البربر أبداً للهجوم على هذه المدينة مدة طويلة، بفضل الله وقدرته الإلهية وعظمته، التى أخرج كل شىء من العدم إلى الوجود.

وكان النهر الكبير الذى أسماه اليونانيون (إكريسورس) وسمى فى الكتاب الموحى به من الله جيحون. وكان يجرى فى البداية شرقى المدينة، ثم غير مجراه وأصبح يجرى غربها. فأصبحت المدينة كجزيرة وسط النهر. كان بها غابة من الأشجار تسمى Akreyas وهى نفسها الآس.

الفصل الثانى والثلاثون

وأورشليم التى أنشأها ملكيصادق، كانت تحت سيطرة الكنعانيين والفلسطينيين. وكان قد حاربها يشوع بن نون وفتحها، وأسمّاها Jebus (جبعون) وبعدها فتح كل ذلك الاقليم، أقام فى شكيم التى تسمى حتى يومنا هذا نيابوليس.

ثم فى عهد الملكين الحكماء، داود وسليمان، بعد تدشين هيكل الله المقدس، الذى جهز له داود كل الاستعدادات، ثم بناه فى أورشليم الملك سليمان، ثم أسمى أورشليم لذلك " مدينة الهيكل " أو الحرم، بسبب تقديمه الذبائح الناموسية، والسلام المعطى من الله.

ولأن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد، احتمل فيها الآلام.

الفصل الثالث والثلاثون

فى عصر القضاة، كان هناك قاض بين اليونانيين يدعى "دسودس" بمعنى أنه موهوب بمائة عين ثاقبة، فىرى من بعد ويلمح بما يفوق كل البشر، وهذا الشخص اخترع فى الغرب كل أنواع العمل اليدوى.

الفصل الرابع والثلاثون

عثر كل من بروميثى و ايميثى Promethee, Epimethee على منضدة من حجر من العصور القديمة، محفور عليها كتابة تقول: "أنه هكذا صعد إلى السماء، ولما كان فى السماء كان فى قلبه" Deucalion ومن جهة كتب الخصائص وتاريخ ما حدث فى عصر الطوفان وحوادثه العجيبة.

وقد فسر إيليا النبى هذه الأشعار كما قالها اليونان.

الفصل الخامس والثلاثون

انتقلت السلطة إلى الأثينيين في أتيكا Attique بعد الطوفان، وكان هناك ملكاً يدعى Elwafes ربما مشتقة من اسم Cecrops ككروبس.

وهو أول من جعل الوجبات أساسية، وأول من أمر الناس وشرع لهم بأن يتزوجوا فتيات عذراوات، ليصيروا لهم زوجات.

كما أمرهم أن يحفروا شبه نافورة في الأرض في خفية، حتى يمكن أن يسكب لهم فيها كميات من اللبن، تبدو كأنها نبع إلهي يخرج من الأرض.

وقبل فترة حكمه، كان نساء أتيكا Atteque، والأثينيين يعيشون معا في علاقات بلا قانون إذ كانت المرأة تعبر من رجل لآخر مثل الحيوانات، وكان كل فرد يتبع هواه. فلم يكن لأحد منهم زوجة خاصة، بل كانوا يتنازعون النساء بوحشية. وكانوا لا يعرفون أبناءهم الذكور أو الإناث حيث لا يوجد أب معروف بعينه ... فكان الأولاد المولودين من النساء، يعتبروا كأنهم أبناء لكل الرجال؟؟ بسبب العلاقات غير الشرعية بين الرجال والنساء.

ونعجب أن الكل كانوا مسرورين بهذا الفساد، في العلاقات الجنسية، لدرجة أن كروكوبس Cecrps مؤلف الكتاب اعتقد بأن إقليم أتيكا Attque هذا، كان يجب أن يباد من الله بطوفان وبعد هذا العصر فإننا نرى أن الشعب عاشوا بحكمة، ملتزمين بشريعة الزواج بين رجل وامرأة. وعاش Cecrops طوال حياته معتبراً ومبجلاً من الناس، لأنه جعل الأبناء يعرفون آبائهم كما يجب.

الفصل السادس والثلاثون

كان يعيش Orphee de thrace (أورفي) شاعر أوديسي، الذي كان يعرف عند اليونان بالحكيم الكبير، وترك لهم الكتاب المسمى ثاوغانيا Theogonie

وهذا يعنى فى لغتهم أصل الآلهة. وحسب ما ينقله المؤرخ (تيموثاؤس) كان يقول: "قبل كل العصور كان الثلاث المقدس، وهو الواحد القدوس خالق كل الأشياء".

الفصل السابع والثلاثون

يقولون أن العلماء الأثينيين كانوا أول من مارسوا الطب وفن شفاء الناس. وفى الواقع الفلاسفة هم أول من قاموا بهذا الكشف الراسخ، وهو استخدام الدواء الذى يناسب الأحشاء. وما زال كثير من الناس يذهبون إلى اثينا لهذا الغرض. لأن عمل الطب متقدم هناك.

الفصل الثامن والثلاثون

كان الملك سليمان ابن داود أول من بنى حمامات، ومجمعات فى كل مكان فى مملكته. لأن الشياطين كانت خاضعة له، فكان له هذا الفضل، خاصة قبلما يغضب الله الضابط الكل، بواسطة النساء الأجنبية اللاتى كن يعيشن معه، وقد دنسوا القدس بألتهنهم الوثنية.

الفصل التاسع والثلاثون

فى عصر القضاة الذين عاشوا فى فريجية، حيث الفيلسوف مارسياس Marsyas، وهو أول من عزف على المزمار، والبوق، والنفير. وشنف آذان الناس، وكان يدعى أنه إله، وبأنه موجد الطعام للناس عامة، وللنفات الصغيرة، فغضب الله عليه وعاقبه، حيث أصيب بالجئون حيث ألقى بنفسه فى النهر فغرق ومات.

الفصل الأربعون

عاش في ذلك العصر البطل هرقل، وقام بمساعدته أهل جاسون Jason ومساعدة أصحابه من الملاحين، في ذهابهم إلى هليانسبونت Hellespont.

وكان سكان هذه المنطقة لهم ملك يدعى سيزيك Cyzique، فهاجموا هذا الملك وحاربوه وقتلوه، ولم يكونوا يعلموا أنهم جميعهم أقرباؤه، وكان هو أصلاً من موطنهم، فندموا على فعلتهم هذه.

ثم اعتدوا على الناس في سيزيك ومعناها (سيد السبع صور) وما أن حصلوا على الانتصار حتى شيدوا معبداً أسموه Rhea (ريا) أى أم الالهة، ويقال أنهم كانوا قد ذهبوا إلى مقر المقدسين، ومقر الكهنة، واستجوبوا أحدهم قائلين: "عرفنا أيها النسي، وزير أبوللو، ماذا سيكون هذا البناء؟ ولمن يخص له؟

وقدموا الإكرام والهدايا إلى الشخص الذى كان يكلمهم، وهذا قال لهم: "لا يوجد إلا إله واحد في ثلاثة أقاليم، وإن هناك عذراء ستحفظ هذا العمل، الذى سيخصص به هذا البناء، وأن اسمه سينتشر على الملايين".

وقد كتب الوثنيون هذه النبوة بحروف من البرنز، على حجر من البللور، ووضعوها على أحد معابدهم.

وقد تحول هذا المعبد فيما بعد "أيام الامبراطور زينون إلى كنيسة، خصصت باسم القديسة العذراء مريم "أم الله".

وأمر الإمبراطور زينون بتجديد هذا البناء على نفقته. وهكذا تمت تلك النبوة التى تنبأ بها هذا النبي الوثنى الخاصة بمجىء ربنا يسوع المسيح.

الفصل الواحد والأربعون

وعندما ترك الأرجنوتس Les Argonantes الهليسبونت L'Helloopont يتجهوا ناحية جزيرة (الأمير)، حيث إتجهوا منها إلى شليسدون Chalcedoine راغبين في اجتياز بحر (بونت)، فهاجمهم سكانها حيث وضعوا في مقدمتهم رجلاً، قوياً كان سبب إنتصارهم.

ثم لما خشوا قسوة هذا الرجل القوى، هربوا من أمامه حتى نهاية الشاطئ آسفين.

حينئذ نظروا رؤية في السماء فوق الطبيعة، فيها رجل يرتفع فوق كتفيه جناحين مثل أجنحة النسر، وكان منظره عجباً وخاطبهم قائلاً: عندما تحاربون Amycus سوف تنتصرون عليه.

وبعدما سمعوا كلام الرؤيا تشجعوا، وهبوا بهجوم حتى هزموا أميكوس وقتلوه. حينئذ عظموا المكان، الذي شاهدوا فيه هذا الوجه السماوى، فشيدوا فيه معبداً، وفحتوا فيه تمثالاً، تذكراً لهذه الرؤية. وأسموا المعبد Sostheniun لأنهم قالوا أنهم أنقذوا باجتماعهم فيه. وسمى هكذا إلى يومنا هذا.

وفى عهد قسطنطين الكبير أشهر الأباطرة المسيحيين "عبد يسوع المسيح" بعدما جعل مقر حكمه فى بيزنطة، فى الامبراطورية الرومانية، جاء إلى سوزينيوم وأغلق معبد الأوثان بها وألغاه. ولما شاهد التمثال المقام هناك، عرف فى الحال أنه تمثال أحد الملائكة، ولكنه إمتلأ بالوساوس، مما جعله يتجه بالصلاة إلى ربنا يسوع المسيح، الذى وضع فيه كل إيمانه، قائلاً "عرفنى يا رب لمن هذا التمثال"، وفى أثناء نومه كشف له هذا السر وهو أن هذا التمثال كان لرئيس الملائكة القديس ميخائيل.

ولما علم الإمبراطور أن هذا الملاك هو الذى دفع الناس لمقاتلة Amycus، أمر بتزيين هذا المعبد، وجعل اتجاهه نحو المشرق، ثم كرسوه كنيسة باسم رئيس الملائكة

ميخائيل. وقد حدثت في هذه الكنيسة عدة معجزات شفاء للأمراض، ومن بعدها بدأ المسيحيون في بناء كنائس أخرى مخصصة للملاك القديس ميخائيل رئيس الملائكة، يقدمون فيها الذبائح المقدسة لله.

الفصل الثاني والأربعون

يتحدثون عن المسامير المقدسة التي وجدت مع صليب ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، التي سمر بها جسده المقدس، ان القديس قسطنطين صديق الله، أخذ واحداً وربطه في سرج حصانه، وآخر جعله شكيمة لحصانه، وألقى بالثالث في مضيق خليقونية، الذي تعرضوا فيه لمخاطر كبيرة، وبفضل هذا المسمار هدأت أمواج البحر، وتوطدت الامبراطورية في مدينة القسطنطينية. حيث كان في عصر زينون، عرش الامبراطورية في روما، ولكنه في ذلك الوقت فقط قرر مجلس الشيوخ جمع الامبراطوريتين في واحدة.

ونشأت إحدى هاتان الامبراطوريتان، بسبب ثورات البربر المستمرة، والأخرى بسلطان الرؤساء، حتى يكون هناك رئيساً في آسيا.

الفصل الثالث والأربعون

حكم شمشون آخر القضاة في بلد تسمى La Pathus (محرقة عن أوليطوس). وشمشون هذا كان له إبنان هما: لقونا Lacon، أخيا Achaeus فقسم إقليم مملكته إلى قسمين، واحتفظ بجزء لنفسه ووهب الآخر لإبنيه.

وبعد موته أسماوا أحد الاقليمين بإسم ابنه الأكبر أخيا والجزء الثاني بإسم الأصغر لاقونا إلى اليوم.

الفصل الرابع والأربعون

في هذا الوقت حكم في هيلاد Hellade (أياباتس) ملكاً يدعى Pelops وأسس مدينة أسماها على اسمه Peleponnese، واسم مملكته هو هيلاس Hellas حتى يومنا هذا .

الفصل الخامس والأربعون

هناك نص محذوف، وبعض أسماء أخرى محرفة مثل: فريجية Phrygie، (اسبرطة)، إليون Illion، بريام ...prium

الفصل السادس والأربعون

كان هناك رجلاً يدعى Palamedes بلاميدز ملىء بالحكمة والعلم، وكان أول من تعلم وعلم فن الموسيقى، على الكمان، والجيتار والقانون، وكل أدوات الموسيقى الأخرى.

الفصل السابع والأربعون

في هذا الفصل تضارب في المعاني "جزء عن تاريخ حرب طروادة وفي الجملة الأولى كلمة A 74 h، والكلمات الأخيرة للجملة الأولى مأخوذة من النص اليوناني، والجملة الثانية هي جزء من تاريخ Palladium. والجملة الأخيرة وما قبلها مأخوذة من مغامرات Ulysse في صقلية.

الفصل الثامن والأربعون

شيد سليمان ابن داود ملك اسرائيل بناء كبير في لتخليد ذكره حتى لا ينسى اسمه ولا اسم والده.

وأعطاه لرجل يدعى Aywanf وهذا معناه (النور) في كنعان. وأسمى البناء بالميرا (Palmyre). وحقيقة أن داود أبوه، هذا البطل الشجاع، كان قد هزم جلياط الفلسطيني وانتصر عليه، وقتله في هذا المكان، ولهذا أعطى للمدينة اسم Mezad مما جعل شعب Azmad الغرباء يستقروا فيها. وكان يسكن فيها عدد كبير من العساكر اليهود. ثم استولى على هذه المدينة أخيراً، نبوخذ نصر بعد معارك ضارية وتعب كثير، ودمرها وأشعل فيها النيران، حتى إختفت ذكراها إلى يومنا هذا.

الفصل التاسع والأربعون

أخذ نبوخذ نصر أيضاً مدينة ثيرا Tyr التي كانت جزيرة محاطة بالمياه، بعدما بدل جهوداً جبارة للاستيلاء عليها. ثم أمر جنوده الفرسان والمشاة، بإلقاء الرمال في بوغاز البحر، الذي يحيط بالمدينة لردمه.

الفصل الخمسون

في هذا العصر الذي وقع فيه بنى اسرائيل في السبي بواسطة نبوخذ نصر، الذي قام بهذا العمل بأمر من الله، ومعونة من ملائكته.

وقبلما يمضى ويحرق مذبح الرب، سبق أرميا الشهير بين الأنبياء، والمملوء غيرة على الخير، ودخل إلى القبة الثانية، المسماة قدس الأقداس وأخذ تابوت الرب العثى بالذهب من الخارج والداخل، ضمن ما يحتويه من الأشياء المقدسة، مثل لوحى العهد، وقسط المن، وعصا هارون الزدهرة والحاملة لوزاً. وقطعة الصخرة المأخوذة من الصخرة، التي أخرج منها موسى الماء للشعب، عندما عطشوا (هذه الصخرة كان يحتفظ بها موسى عندما كان يسير أمام الشعب عبر الصحراء، وكان يضربها بعصاه، فيتدفق الماء منها ليشرب الشعب، والمواشى).

لكن عند مجيء ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الثانى، سيسبق ذلك ظهور إشارة الصليب، وسيظهر تابوت العهد محمولاً بملائكة، وهو الذى أمر الرب موسى بصنعه. وسيأتى أيضاً أرميا الذى كان قد خبأه فى الصخر، وفى وقت قيامة الأموات ستظهر علامة الصليب، ويأتى بعدها ربنا يسوع المسيح المصلوب له المجد. وهذا الكلام وجد فى تعاليم أبونا القديس المضىء ايفانيوس مطران قبرص، الذى سجل لنا تاريخ الأنبياء فى كتابه "ما بعد دمار أورشليم ونهاية ملك اليهود".

الفصل الواحد والخمسون

بعدما هزم كورش الفارسى، استياج، أصبح ملكاً وهو ابن كمبيز. لكن كريسوس (ملك ليديا) كان شديداً قاسياً ومتكبراً، وكان يستولى على جملة ولايات قريبة وبعيدة عنه. وكان الملوك الذين يقبلون سيطرته، يدفعون له جزية لكى يكونوا فى سلام. أما الذين يقاومونه، فكان يقودهم أسرى إلى بلاده، ويستولى على ثرواتهم وأراضيهم، لأنه كان قوياً ومرعباً جداً، وسيلاً منتصراً آنذاك. وكان كورش فى قلق عظيم من جهته، وكانت له زوجة تدعى ترتانا، وكانت زوجة داريوس خليفة بيلشاصر فقالت له "يوجد بيننا نبياً من العبرانيين كان من بين أسرى صبيان اسرائيل، يدعى دانيال، فيه حكمة الله. وداريوس لم يكن يعمل عملاً بدون مشورته، وكان كل ما يخبره به هذا النبى يحدث فعلاً.

ولما سمع كورش هذا الكلام أرسل فاستدعى دانيال النبى، وأحضره بكرامة عظيمة، ثم سأله: هل سأنتصر على كريسوس أم لا؟ فسكت دانيال لمدة ساعة، ثم أجاب بتواضع: من يستطيع أن يعرف حكمة الله؟ ثم صلى طالباً الرب الهه أن يعلن له ما إذا كان كورش سيهزم كريسوس المتكبر الزاحف عليه بجيشه!

فاستجاب الله لصلاته وقال له: أذ أعطى هذا الملك حرية لبني اسرائيل واطلقهم من السبي، سيهزم كريسوس عدوه ويستولى على امبراطوريته. ولما أخبره دانيال بهذه الكلمات خر كورش على قدمي دانيال وحلف له قائلاً: بحياة الرب إلهك سأعيد بني اسرائيل إلى القدس بلادهم حتى يعبدوا الرب الههم.

وإفاء بالوعد نحو الله، فقد حفظ كورش المعروف لإسرائيل وسمح لهم بالعودة، وبعد ذلك فإن كريسوس بدأ الحرب بجيش ضخم، ليستولى على ولايات كورش. لكنه بعدما عبر نهر الكبادوك لكي ينزل بكورش الهزيمة الساحقة، إنهزم هو من كورش، ولم يقدر أن يهرب أو يختفى، لأنه كان محصوراً بالنهر الذي أمامه، لكن عدداً كبيراً من جنوده غرقوا في النهر، أما هو فلم يستطع الهرب، لأن الله شاء أن يوقعه في يد كورش، حيث أدركه عسكر كورش، وأخذوه مكبلاً بالسلاسل، بعدما قتلوا أربعين ألفاً من رجال جيشه، وأمر كورش بإعدامه في جذع شجرة، وقاسى بقية جيشه الإذلال. أما اسرائيل وملكهم المأسور، فقد سمح لهم بالعودة إلى بلادهم كما كان قد وعد دانيال النبي.

وبعدما عاد كورش إلى فارس، وزع ممتلكاته، وملك ابنه قمبيز على امبراطورية فارس وبابل، ولكنه كان رجلاً شريراً لم يقتف حكمة أبيه ولا خدمة الله إلهه.

وكان في ذلك الوقت يحكم مصر، الملك: إبريس (أبريز)، في مدينة طيبة وفي منف، وفي مدينتين أخريتين هما (سوفيرو، مؤهيب) Soufirou , Mouhib .

وكان قمبيز يعد الدسائس للشعوب المجاورة، فأرسل إلى القدس، وأمر بأن يمنعوا اليهود من إعادة بناء هيكل الله، وقاد حملة كبيرة من جيش كثير العدد، من فرسان ومشاه، من ميديا لكي يهاجم مصر، وسوريا، فلسطين لأنه كان فاتحاً للعالم كله وقد حاول سكان سوريا وفلسطين، أن يتصدوا لهجومه لكن دون جدوى. فخرّب عدداً كبيراً من مدن اليهودية.

ولأنه كان متكبراً غير اسمه إلى نبوخذ نصر، وكان إستعداده استعداداً وحشياً وميوله شريرة، إذ كان كارهاً للناس مع أن أبوه كورش كان عظيماً، مكرماً أمام الله الحي، منذ أمر ببناء هيكل الله والقدس بغيره وورع.

وأعاد الكاهن العظيم يهوشع بن صادوق، وزربابل الذى هو إدراس Edras وسمح لكل الأسرى اليهود أن يرجعوا إلى بلادهم فى فلسطين.

أما قمبيز الذى هو نبوخذ نصر الثانى، وبيلشاصر، فعلى العكس فإنهما أحرقا المدينة المقدسة والهيكل، ثم مضى قمبيز إلى غزاة وجمع كل جيشه وألات الحرب، وقاده إلى مصر لكى يغزوها، فحصل على النصر وأستولى على المدن المصرية: الفرما، سنهاور، وسان، وتل بسطة San et Bastah وأخذ أبريز، فرعون حيا إلى مدينة طيبة وقتله بيده هناك.

وكان هناك محارباً يسمى فوسيد (Phousied) وكان متمسكاً بالفضيلة وكارهاً للشر، وكان قد غزا سوريا أثناء الحرب بين الفرس والمصريين، وأسر أربعة أولاد لقمبيز مع زوجاته وعددهم أربعون، وحرقت منازلهم، ونهب ثرواتهم، واقتادهم إلى مدينة منفيس حيث سجنهم فى قصر الملك.

وعندما قامت حرباً جديدة بين المصريين والسوريين، فإستعاد هؤلاء تفوقهم وانتصروا على المصريين، وغزوا مملكة طيبة.

وبينما الجنود يمارسون علامة تعهدهم فى القتال، وكانوا يصوبون النشان، أصيب فواسيد بسهم فى الناحية اليمنى، فحمله الجنود المصريون قبلما يقضى نحبه، بعيداً عن هجمات السوريين، ولكنه لم يعيش إلا ساعة واحدة، ومات تاركاً مذكراته الشهيرة (وصيته) لمن يخلفه.

ولما لم يبق للمصريين قائداً مثل فواسيد هذا، ارتخت عزيمتهم وانسحبوا إلى مدينة

لكن قمبيز هاجم هذه المدينة أيضا وأستولى عليها ثم دمرها.

وغزا أيضا كل مدن الوجه البحرى شمالاً حتى شاطئ البحر، وجرد السكان من كل ثرواتهم، ودمر مدنهم وقراهم، وأشعل النيران فى منازلهم، فجعل من مصر صحراء جرداء لا بشر فيها ولا مواشى ولا نباتات ولا أشجار.

ثم توجه نحو الريف، وهاجم مدينة منف، وهزم الملك الموجود بها، وسلب ودمر مدينة بوصير التى تقع جهة منف وسلب ثروتها وأشعل النار فيها، وهرب أبناء الملوك الذين تبقوا بعد القتال إلى مدينة أخرى قريبة، حيث اختفوا فى قلعة وأغلقوا أبوابها. ولكن السورين حاصروا هذه القلعة، وهاجموها ليلاً وضربوا مدينة منف الكبرى.

وكان هناك أحد ملوك مصر ويدعى مودجاب Moudjob كان قد أخطر ابنه Elkad الكاد، سراً بأن يحصر له ثرواته وثروات ضباطه، وزوجات قمبيز (نبوخذ نصر) الأربعون، اللاتى كان القائد فواسيد قد أخذهن، ففتحوا أبواب القلعة ليلاً، وأخرجوا كل هؤلاء من طريق سرى لم يعرفه أحد إلى الصحراء. أما عن أولاد قمبيز الأربع، فاصطحبهم سكان مدينة منف وأصعدوهم على السور، وذبحوهم ثم قطعوا رؤسهم وألقوا بأطرافهم إلى أسفل حيث كان قمبيز.

وعندما رأى جيش قمبيز هذه الفعلة الشنيعة من سكان منف. هاجوا وماجوا، وهجموا على المدينة بدون رحمة، ونصبوا آلات الحرب وضربوا قصور الملوك، وقتلوا من فيها من أبناء الملكين، مدجاب، وسوفير، وكذا رؤساء الحرب الموجودين بالمدينة.

وعندما علم الكاد Elkade بموت أبيه هرب إلى بلاد النوبة، حيث قام قمبيز بهدم مدينة أمون (هليوبوليس)، ومصر العليا، حتى مدينة أشمون.

أما سكان مدينة أشمون، فلما أبلغوا بقدوم قمبيز، طرحوا عنهم الخوف، وتحصنوا في مدينة الأشمونيين، ثم أرسلوا إلى الكاد ابن مودجاب في النوبة، رسالة يدعونه للحضور إليهم، لأنهم يعترفون به ملكاً، بدل أبيه وكان قد حارب قديماً إقليم سوريا. فجمع الكاد جيشاً كبيراً من الأثيوبيين والتوبيين، وسار ضد جيش قمبيز، محارباً الضفة الشرقية لنهر جيحون، ولم يعبر الأثيوبيون من النهر مباشرة، ولكن السوريين عملوا خديعة إذ تحركوا كما لو كانوا يريدون الهروب، وابتعدوا عنهم. ولكن عند مجيء الليل عبروا النهر بحرص، حيث استولوا على مدينة الأشمونيين، وضربوها دون أن يلاحظ جيش الكاد ذلك.

وبعدما انتهوا من مدينة الأشمونيين تقدموا نحو مصر العليا حتى وصلوا مدينة أسوان حيث خربوها، وعبروا النهر في مواجهة مدينة أحيف Ahif وحطموا (فيلة) مثل بقية المدن، واستداروا على بقية المدن والنجوع الباقية وسلبوها، فجردوا مصر لدرجة لم يعد يوجد بها كائن حي، أي أصبحت صحراء، لا إنسان فيها ولا عصفور تحت السماء.

مما جعل الكاد يغير طريقته هو ورجاله الباقين، حيث ذهبوا لمقابلة قمبيز حاملين الهدايا على أنغام الأبواق والطبول.

ووقفوا على بعد، حيث سجدوا أمامه طالين العفو. فمنح قمبيز العفو لهؤلاء المصريين الأحياء الذين جاءوا يقدمون له الطاعة والخضوع، وعاملهم بلطف وأرسل بعضهم إلى ميديا والبعض إلى بابل، مولياً عليهم حاكماً من بينهم.

أما الكاد فلم يخلع عنه التاج الملوكي، بل على العكس، اجلسه على العرش، ولم يصحبه معهم.

وكان عدد المصريين الذين أخذهم قميز مع نحو خمسون ألفاً، ما عدا النساء والأولاد. وظلوا هناك في أسر فارس لمدة أربعين سنة، ظلت فيها أرض مصر صحراء.

حيث مات بعد ذلك في مدينة دمشق، وحكم بعده الحكيم الكبير Artexerxes (ارتزر كسيس) لمدة عشرون عاماً وكان مثالاً للفضيلة، لم يكف أبداً عن حب الله وحب الناس.

وكان قد أمر نحميا ضابط البلاط، ساقى الملك ببناء أسوار أورشليم، فعامل شعب اليهود بطيبة، لأن كلاً من داريوس، كورش كانا قد كرما إله السماء وخافاه، ولهذا كانا يشجعا كل مشروعات اليهود.

أما بالنسبة للمصريين فكان يعاملهم برفق أيضاً وكان يختار من بينهم عمالاً ضمن ضباطه. وأخيراً سمح لهم بالعودة في سنة ٤١٠ من أسرهم.

وبعد عودتهم بدأوا في بناء منازل لهم، في مختلف مدنهم ولو أنها كانت صغيرة. كما زرعوا الأشجار والكروم. وأختاروا لأنفسهم ملكاً يدعى فافاتورس Phavatouros حسب أمر ارتزر كسيس.

بعد ذلك كان هناك مصرياً أميناً ومريحاً، يدعى إسكينوفى Schenoufi. وهو رجل حكيم فاضل، ويعنى اسمه "الخبر السار"، هذا إهتم كثيراً في بناء المدن والجوع، وساعد في إعادة زراعة الأرض، لدرجة أن أعيد كل بناء الكفور في مصر، وفي وقت قليل. وأعيد تنظيم هذا البلد إلى ما كان عليه من قبل، وفي عصره لعبت مصر برحاء عظيم، وزاد عدد السكان كثيراً. وتضاعفت عدد ماشيتهم أيضاً وحكم إسكينوفى لمدة ثمانية وأربعين سنة كانت كلها رخاء وسلام، وكان الجميع سعداء لعودة الأسرى المصريين، ومات مشوباً بالإحترام والوفاء.

وقبل موته كما قد أمر بإحصاء المصريين، وكان عددهم يبلغ خمسمائة ألف نسمة. وبعد موته بقي المصريون فترة طويلة بلا ملك، ولكنهم كانوا يدفعون الضرائب للسوريين وللفرس معاً.

وعاشوا في سلام حتى اختاروا لهم فرعوناً آخر أقاموه كملك عليهم، ثم كانوا يدفعون له الضرائب.

ولكن الفرس لم يتركوهم يدفعوا الضرائب لملكهم، مع أن الفرس بقوا أيضاً فترة من الزمن بلا ملك، بعد موت ارتزركسيس العظيم الذي أظهر للمصريين لطفاً.

ثم من حكم بعد أرتزركسيس، قام بحرب ضد اليهود وأخضعهم له، ثم حارب المصريين أيضاً وهزمهم، وأستولى على ثرواتهم خاصة وأن مصر بلد خصبة جداً والحمد لله.

وكان نكتانافو Nectanafo آخر الفراعنة، ولكنه كان ساحراً وقد سأل الشياطين النجسين، لكي يعلموه إن كان سيحكم البلاد أم لا؟ فعلم من كبار السحرة بتصريح إيجابي أنه لن يحكم المصريون.

فغضب وحلق رأسه، وتنكر وغير وجه خلقتة، وهرب إلى الفرما أولاً ثم إلى مقدونيا حيث أقام هناك. فبقي المصريون تحت حكم جوليانوس Joulianos حتى جاء الاسكندر قاهر العالم، الذي قتل Hastates ملك الفرس.

وبعد وقت قصير، ملك على الفرس أوشيس Ochus، بعد موت أرتزركسيس بقليل، ولمدة اثنا عشرة سنة. ومن بعده ارتزركسيس لمدة ٢٣ عاماً، ثم داريوس المسمى اكريوز Akreyous لمدة ستة سنوات، وحينئذ هاجم الاسكندر الأكبر هذا الأخير وقتله، وأستولى على امبراطورية بابل. لأن الاسكندر بن فليب المكدوني كان قاهرًا للعالم.

الفصل الثانى والخمسون

كان هناك رجل يدعى إيمى Emee، تزوج ابنة لاتينس Latinus وتسمى لفينيا، فأسس مدينة كبيرة سماها بإسمها، ثم أقام نفسه حاكماً عليها.

الفصل الثالث والخمسون

وكان فى ايطاليا رجل يدعى بلاس، كان يحيا مع ابنه وكان قوياً وميلاً للحرب، لذلك استولى على عدد من البلاد، وأخضعها له بالقوة، واستولى على البلاد الخاضعة ل إيمى.

وعندما هاجمه إيمى، استولى على مدينه، وبنى بها منزلاً كبيراً جملة بالزخارف، للدرجة لم يكن مثله فى أى مدينة أخرى، وبنى أيضاً قصرأ سماه بإسمه (بلاس).

الفصل الرابع والخمسون

واعتلى العرش كروسيس، فأسس مدينة سماها إلبا، وعندما غادر ألبانيا وجاء إلى الروانيا التى هى نفسها إلبا والتى يعنى اسمها "ضياء".

الفصل الخامس والخمسون

كانت هناك امرأة كنعانية تدعى ديدون Didon، متزوجة من رجل اسمه سيكاوس، وكانت منتسبة لمدينة تسمى كارتيماس Chartimas، واقعة على شاطئ البحر، بين ثيرا وصور.

وكانت غنية جداً وكان لها أخ يدعى بيجماليون، يطمع فى الاستيلاء على أملاكها وثروتها، فقام على زوجها وقتله، ولكنها استطاعت أن تجمع كل أملاكها وثروتها، وأبحرت بسرعة من كنعان إلى ليبيا، وهى اقليم فى افريقيا، وأنشأت هناك

مدينة كبيرة أسمتها قرطاجنه، ومعناها بلغة البربرية (المدينة الجديدة) وصارت حاكمة عليها بكل حكمة حتى موتها.

الفصل السادس والخمسون

فى عصر اشعيا النبى، وآحاز ملك يهوذا، كان هناك أخوان أحدهما روميليس والآخر رومانيس، أسسا مدينة كبيرة بجانب المدينة الصغيرة فالنتيا، الواقعة فى إيطاليا بلد لاتينيس، الذى كان من قبل القصر الملكى المسمى بللاتيم، الذى جدده، وشيدا معبداً لزيوس إلههم أسمياه بلغتهم (الكابيتول) أى رأس المدينة، واستخدموا اسم رومانى من اسميهما ودعوه على اسم مدينتهم (روما) وكذا شيدا قصرأ عظيماً ملكياً بديعاً.

وحكم الأخوان معاً، وما لبثا أن نشأت العداوة بينهما، فقتل روميليس أخاه رومانيس، واستأثر لنفسه بالسلطة.

فأصبحت المدينة بزلزال حتى فزع الشعب من الاضطرابات التى اصابتهم، وخاف روميليس أيضاً واضطرب يائساً من الحياة.

فذهب واستشار الأنبياء الكذبة والشياطين النجسة، فأجابوا بأن مُلكه لن يكون له دوام ولا ثبات فى روما بدون أخيه رومانيس. حينئذ فكر فى وسيلة يقيم فيها أخاه من الموت ولكن دون جدوى.

وفى تلك الأثناء حدث اضطراب عفيف من جديد، وظهرت صورة مشابهة لأخيه تماماً من رأسه وحتى صدره.

فعمل تمثالاً من ذهب مطابقاً لصورة أخيه التى رآها، من رأسه حتى صدره، ووضعها بجانب كرسى العرش، وزينها بكل الزخارف.

وكان في كل رسائله التي يكتبها يقول: "رسائل مرسله منى ومن أخى... نحن الاثنان نقول، ونأمر وننفذ".

وظلت هذه الطريقة كتقليد يعمل به الرومان حتى اليوم. واحتفظ ملوكهم وقضااتهم بهذه الصيغة في محاكمهم التي كانوا يسمونها مسكن الكاهن، أو قاعة المحكمة (العدالة). وكان روميليس أول من أدخل في روما تقليد ركوب الخيل، وأنشأ السباق وكيف يهزم أحدهما الآخر. وإخترع هذه الممارسات الشيطانية أصل الخطايا والشرور، حتى أصبح الرومان أقوى فرسان العالم.

وأوجد روميليس معارك للنساء أيضاً، وترجمتها باليونانية (المنطاطون) مما أوجد فرصة للجنود أن يعضوا ويقيموا معهن، وكانوا قد اغتصبوا كل النساء المتزوجات والعذراوات وحتى الأرامل.

وخشية الفوضى التي صارت من هذه الحوادث والمخاصمات، فإن روميليس رتب أن يكون للنساء سباق بمفردهن، بعيداً عن الرجال، وقسمهن إلى مجموعتين: مجموعة الفتيات والشابات، ومجموعة النساء المتزوجات وذلك من كل البلاد المجاورة البعيدة، مكوناً مجموعة كبيرة من الفارسات.

أما النساء الغرباء عن هذه المنطقة الذين كانوا يأتون للمشاركة، فكان الجنود يستولون عليهم لإشباع رغباتهم معهن.

ولكثرة الفساد فقد خصص مدينة مجاورة لروما، كانت مشهورة بالفتيات الجميلات، دعاها (مدينة السبا) ثم منحهن هؤلاء الجنود الذين لم يكن لهم زوجات، وسماهم (المحاربين) وسمح بأن كل واحد يحاول أن يسلب الواحدة من الآخر فيما بعد.

ونتيجة لهذا فكان الرومان يأخذون النساء تبعاً لاحتياجهم. ولكن ليس على أسهل الخطف.

وأنشأ طبقة كهنة الأصنام وأسماهم كهنة أبوللو. وبنى جدران حول مدينة روما. وبنى معبداً في مدينة إبريس في شهر مارس وهو (الماجابيت) ومعناه أول الشهور، وكانوا يحتفلون في بداية هذا الشهر بعيد البريمس Primus. وبعدها يأمر روميليس الجنود بأن يحاربوا.

وأسموا هذا الشهر مارس، وحسب تقليد الوثنيين الذين كانوا يمارسون الشعوذة، وسجلوا هذه الممارسات بجهل واحتفظ الرومان بها كتقليد.

ولذا فإن آباءنا القديسين والرهبان المصريين المفرزين، يقدمون في بداية كل شهر ذبيحة غير دموية للثالوث الأقدس الواحد، ثم يتناولون من الأسرار المقدسة المحيية مرثمين بكلمات المزمور الثمانين " رنموا بالبوق في أول الشهر (القمرى) في اليوم الرسمي لعيدنا".

الفصل السابع والخمسون

خلف روميليس نوما Numa، وكان رجلاً حكيماً عاقلاً جداً، فأصدر قوانين سامية يحكم بها مدينة روما في الطريق الصحيح، وكان هذا الرجل السامى أول من صك النقود النحاسية، لكي تستخدم في التجارة، طريقة تبادل النقود. ولذلك تسمى النقود النحاسية حتى اليوم (فلوس). وأوجد مرتبتين: أحدهما لعلية القوم أو (النبلاء) والأخرى للقضاة الذين يعطون الأوامر للضباط وكل الجيش.

الفصل الثامن والخمسون

في عصر يهوذا الكاهن العظيم الذى كان فى أورشليم، حكم فيليب فى مقدونيا، وبعد جلوسه على العرش، حارب مقاطعة تسالى وأحرز النصر، وعندما أخضعها شيد فى مقدونيا مدينة أسماها تسالونيكى.

الفصل التاسع والخمسون

عندما اعتلى العرش الاسكندر بن فليب المقدوني، أنشأ مدينة الاسكندرية الكبرى في مصر وسماها باسمه والتي كانت تسمى قبلاً راكوتى في لغة المصريين.

ثم قام بمحاربة الفرس. ولما وصل إلى حدود أوما (لاروديسى أو أورديس) وشيد فيها مكاناً اجتمع فيه كل جيشه، حيث وزع كمية كبيرة من الذهب على قواده ومباطه وكل جيشه الكبير، وأسمى ذلك المكان (كريزوبوليس)، وهكذا يسمون سكان بيزنطة.

وعندما أغار على الفرس قتل عدداً كبيراً من جنود داريوس، حتى أفنى كل جيشه، وأصبح الاسكندر سيداً لكل امبراطورية داريوس، فأخضعها لسلطانه، وأسر ابنة داريوس، وهى عذراء تدعى روكسان ولكنه لم يسيء اليها بل تزوجها.

وأما ملكة الحبشة كنداكة فأكرمها الاسكندر، وقدرها لحكمتها العالية، عملت هذه الملكة كما يريد الاسكندر لانها علمت أفكاره، وكان معتاداً كلما يهزم ملكاً من ملوك العالم، يريد أن يكتشف آخر، ولكن الملكة كنداكة قامت بإيقافه وخاطبته قائلة: "إن كنت أنت الملك الاسكندر العظيم، وقد استوليت على العالم كله، ولكن استحوذت عليك امرأة! فأجابها " إنه بفضل حكمتك وذكائك وعقلك الراجح، استحوذت على، وأنا من الآن فصاعداً أحبك ضد أى إساءة أنت وأولادك، وسائر وجك".

ولدى سماعها هذه الكلمات ألقت بنفسها عند قدميه، وارتبطت معه بعد ذلك الوقت وتزوجها، فصار جيشها خاضعاً له. وقد قام الإسكندر بتقسيم امبراطوريته، بين أربعة قواده الذين ساعدوه فى الحرب وهم: فليب أخوه الأكبر، الذى أخذ مقدونيا وحكمها. وأورما حكم أوروبا وأعطى بطليموس لاجوس ملك مصر.

الفصل الستون

أصبحت مصر تحت حكم بطليموس فيلادلفوس، الذي معنى اسمه "المحبة الأخوية" والذي كان رجلاً موهوباً جداً وحكيماً (وسمى ابن لاجوس)، هذا الملك أمر بترجمة الكتب المقدسة من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية، بمساعدة الشيوخ اليهود في مدة ٦٢ يوماً، لأنه كان له ٦٢ مترجماً. وقد مات قبلما يتموا الترجمة.

الفصل الواحد والستون

انتيوخس أيفانيوس حكم في آسيا وسيلسيا، وفي المنطقة التي تمر بها نهر يسمى دراجون Dragon الذي يجري في إقليم أورينت Orente. وحكم في سوريا وبابل وفلسطين رجل يدعى سلوكس نيكاتور، وقد هاجم انتيوخس ملك آسيا وقتله، لأنه بنى بالقرب من نهر دراجون مدينة اسمها انتيجونيا، واستولى على أملاك منطقة جوبوليس وعلى قلعة تقع أسفل جبل سلبون Silpion.

كانت تسمى هذه المدينة قبلاً بوتيا Bottia، وشيد فيها مدينة أنطاكية الكبرى التي أسماها باسم ابنه انتيوخس، ثم شيد مدينة لذكرى ابنته وأسماها لادوكية (لاذقية).

وكان اسم المدينة أولاً (مازوديان). ثم أسس أيضاً مدينة اسمها (أبامي Apemee) وكانت تسمى قبلاً فارناكي.

الفصل الثاني والستون

وسيليكوس الذي هو بوسانيوس كان أول من كتب التاريخ وسجل السجلات التي أسماها ...

الفصل الثالث والستون

وقد عذب انتيوخس أيفانيوس المكابيون.

الفصل الرابع والستون

تاريخ قناصل قدماء الرومان، أولهم يوليوس قيصر الدكتاتور، والذي شغل السلطة العليا عند الرومان، قبل تجسد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. ولم يكن ميلاد يوليوس مثل سائر البشر الآخرين حيث يلد لهم النساء بعد الشهر التاسع، لكن في الواقع ماتت أمه أثناء غو الجنين، فتحرك الطفل في أحشائها، ولما رأى الأطباء تحرك الطفل، فتحووا بطن الأم وأخرجوا الطفل، واعتنوا به، ولذلك سموه "قيصر" ويعني بدمج أو مبتور ومنفصل (جاءت منها كلمة قيسارية) وعندما كبر كانوا يدعونه تريامفير (Triumvir)، وحسب قرار مجلس الشيوخ في روما تربي على السلطة فأصبح ملكاً، وعندما ثبت أقدامه واستقر سلطانه أصبح قوياً.

فصار الفرس والبربر في فزع منه. وجعل هذا القيصر أول شهر إرتفع فيه إلى الملك أول شهور السنة.

وأصدر تعليماته وأوامره إلى الحكام ومديري المديریات الذين كانوا يتولون السلطة في اقليم إمبراطوريته بذلك.

وجاء إلى الشرق ثم إلى الاسكندرية المدينة العظمى في مصر، حيث قابل ابنه بطليموس المسمى ديونيسيوس ملك مصر الملكة كليوباترا.

وكانت فتاة جميلة جداً فأحبها القيصر وتزوجها واعطاها مملكة مصر، ثم أنجب منها ابن أسماه (يوليوس قيصر) وكانوا يسمونه أيضاً سيزاريون، وشيد قيصر قصراً عظيماً وجميلاً في مبانيه فاخراً سماه بإسم ابنه سيزاريون، وعندما إعتلى قسطنطين الكبير إمبراطور المسيحيين عرش روما، حول هذا المبنى إلى كنيسة بإسم القديس

ميخائيل، التي تسمى حتى اليوم كنيسة سيزاريون، لأنها شيدت بواسطة يوليوس قيصر الصغير، قيصر الكبير.

الفصل الخامس والستون

يحكى عن ارشيلالوس Archelaus حاكم كبادوكية، وعن هيرودس Herode الشرير قاتل أباه (وهو أول من أكل اللحوم نيئة ودامية، ولم يكن يؤمن بالدين). حكم هيرودس هذا في اليهودية وكان خاضعاً لقيصر الأول، الذي اعترف به ملكاً طوال حياته مع ارشيلالوس، الذي شيد أيضاً في كبادوكية مدينة اسمها قيصرية الكبادوك، لكي يخلد اسم قيصر. وهذه المدينة كانت تسمى سابقاً (مازاكا) Mazaca.

الفصل السادس والستون

وأنشأ هيرودس أيضاً مدينة في فلسطين، اسمها قيصرية، كرامة للإمبراطور، وهي مدينة جميلة جداً وكانت تسمى قبلاً بقلعة إسراتون Straton (اسطراطو نستوفوس).

وجعل الطريق الموصل إليها يصل إلى مدينة انطاكية، ورصفه بالحجارة البيضاء على نفقته الخاصة، مخصصاً هذا الطريق في أول نشأته للملوك، ولا يستعمل إطلاقاً ثم أرسل جيشاً من اليهود إلى مصر، وأجبر مدنها على الخضوع للإمبراطور، وجعل سكان بنى الشرق يدفعون الجزية لقيصر.

الفصل السابع والستون

نزلت الملكة كليوباترا من فلسطين إلى مصر لكي تقيم بها، وعندما وصلت إلى القرما، أثارت الحرب على المصريين وهزمتهم، ثم جاءت إلى الاسكندرية وحكمت

فيها، كانت هذه المرأة متميزة بصفات شخصية، وتصرفات تتصف بالقوة والشراسة، فلم يقم قبلها من الملوك السابقين بمثل ما قامت به.

وقد شيدت بالاسكندرية قصراً عظيماً رائعاً، كان موضع إعجاب كل من يراه، فلم يكن مثيله في العالم كله آنذاك، حيث شيدته على جزيرة تقع شمال غرب مدينة الاسكندرية وخارجها، على بعد نحو أربعة أميال، وأقامت جسراً للعبور إليه بواسطة ردم الحجارة والرمال، فكانت أرضاً صلبة لصدماء البحر يحشون عليها بأقدامهم، بعدما كانت تعبر به السفن من قبل.

وكان يساعدها في هذه الأعمال الضخمة والمدهشة، رجل عالم وعبقري يدعى ديكسيفانس Dexiphanes، وهو الذي قام بدم الماء، وشيد في البحر طريقاً صلبة للمرور فوقها.

بعد ذلك حفرت كليوباترا قناة توصيل مياه جيحون حتى البحر، تمر في المدينة، وكانت السفن تستطيع الوصول إلى قلب المدينة، فحدث رخاء عظيم، وقد كانت المدينة قبل ذلك لا يصلها الماء، فاحضرت لها كليوباترا المياه بوفرة.

وكانت تنفذ كل هذه المشروعات برخاء لخير البلاد، إلى يوم وفاتها. فكانت تبنى المؤسسات الهامة والأعمال الجليلة بعدد لا يحصى.

هذه المرأة كانت أكثر شهرة وصيتاً وحكمة بين النساء، وقد ماتت في العام الرابع عشر من حكم أوغسطس قيصر.

بعد ذلك خضعت الاسكندرية، وكل بلاد مصر العليا للأباطرة الرومانيين، الذين حكموها بواسطة القضاة والقواد.

وقد حكم أوغسطس لمدة خمسون عاماً وستة أشهر، وفي السنة الثانية والأربعون من حكمه ولد ربنا يسوع المسيح الإله الحق بالجسد في بيت لحم اليهودية.

وقد ولد ربنا أيضا في العصر الذي صدر فيه المرسوم الذي يأمر كل الناس في الإمبراطورية بأن يقيّدوا أسماءهم، ويخصى كل شخص، لجمع الضرائب. وكان واضعوا هذا القانون هما إيمينس Eumeues، أتالي Attale، اللذان كانا يشغلا مركزاً مرموقاً في روما وقتئذ.

وكانت السنة الرومانية تبدأ بشهر مارس Primus، وكان فبراير يحتل المركز السادس فأمر أغسطس حينئذ أن يجعلوا شهر فبراير آخر شهر في السنة.

وقد وبخ القيصر القنصل Manluis de Capadoce مانيليوس الكبادوكي، الذي كان وقتئذ يمارس سلطته، وكان قد قرر ترتيب الشهور الذي كان معتبراً من الرومان. فاستبدلوا شهر فبراير ووضعوه في النهاية لأنه كان أقصر الشهور، واستبدلوه بالشهر الكامل المسمى بإسمه أغسطس والذي أصبح ترتيبه السادس، وسمى الشهر الذي يسبقه أي الخامس على إسم عم الإمبراطور أغسطس وهو يوليوس. وقبل الرومان هذا التعديل واحتفظوا به حتى اليوم. وهذان الشهران يسبقهما في الترتيب شهر مارس.

الفصل الثامن والستون

ولا يقبل المسيحيون الأرثوذكس أي قاعدة في نظام الشهور، إلا التي تلقوها، والتي ترجع إلى النبي أخنوخ Esdras الذي كان مشتعل بالذكاء. مثلاً: في أي يوم يقع السادس من شهر طوبة أو Ter ثير والذي هو أول الشهور الفرنجية، وفي أي يوم من السبعة أيام في الأسبوع هو الأحد أو الإثنين أو الثلاثاء... يكون هو بداية الشهر؟ ويستفيد الرومان من معرفة بداية الشهور لكي يتعرفوا ما إذا كانت أيام الأسبوع ستكون سعيدة أم غير ذلك؟!!

وقد أدخل سقراط الفيلسوف والعالم الفلكي، هذه الطريقة عند الرومان. وبهذا
أسس سقراط بتشريعاته كتابات أخنوخ النبي والقديس عند الوثنيين، فخدع بتأليفاته
البهیضة من كانوا یقرأون كتابه.

الفصل التاسع والستون

بعد موت الامبراطور أوغسطس، إعتلى العرش ابنه طيباريوس Tebere، الذى
أخضع كل اقليم الكبادوك إلى قوانين روما، بعد موت ارشيلالوس رئيس حكام
كبادوكية. وأسس فى مقاطعة ثراث أو ثراك مدينة أسماها طيبارية. وفى أثناء حكم
الامبراطور طيباريوس، صلب ربنا يسوع المسيح فى اورشليم.

الفصل السبعون

بعد موت كلوديوس حكم فى روما (نيرون) الشنيع والذى كان وثنياً، وكان
يشبع سلسلة جرائمه بالرديلة والشذوذ. وكان يقبل الزواج كإمرأة! وعندما علم
الرومان بأفعاله الشنيعة لم یقدروا أن یحتملوا حكمه، خاصة كهنة الأوثان. فألقوا
عليه اللعنات.

وقرر كبار الشعب وشيوخهم قتله. ولما علم بخطة المشايخ غادر هذا المجرم مقر
إقامته واختبأ. ولكنه لم یقدر على الهرب من يد الله القدير، وأصبح عقله وفكره
مريسة للكآبة والحزن. وذلك لأنه بعدما إستسلم لهذا الفساد (على طريقة النساء)
السلخ بطنه مثل إمرأة حامل، وحاولوا أن يجعلوه یلد، وفى أثناء مرضه، كان يتألم من
الام مبرحة، حينئذ أرسل للأطباء لیزوروه فى مكانه وينقذوه من مرضه، فمضى إليه
الأطباء إذ إعتقدوا أنه یحمل طفلاً فى بطنه. شجوا بطنه لإخراجه، فمات بهذه
الطريقة المخرنة.

الفصل الواحد والسبعون

بعد موت طيطس، إعتلى العرش أخوه دوميتيان، الذى كان فيلسوفاً عظيماً عند الوثنيين. لكنه أثار الإضطهاد على المسيحيين. وكبدهم عذابات كثيرة، فأمر بإحضار يوحنا الإنجيلي الرسول إلى روما، وكان ذلك بسماح من الله، وبإيحاء من حكامه. ووضعه فى منفى مع كل الذين كانوا يؤمنون بالله إيماناً حقيقياً، ولكنه تأثر بحكمته العظيمة فأعطاه حرية فى السر، بدون علم جيشه، وكهنة أصنامهم، ثم أعاده إلى مقر إقامته.

ولكنه عاد فاطاع إيجاءات السحرة وتوابع الشياطين، فنفى يوحنا مرة أخرى إلى جزيرة تسمى (بطمس)، ثم أسس دوميتيان مدينة أسماها بإسمه دمثينوبوليس، فى إقليم أشورى Isaurie، ولما قربت نهاية جرائمه ونفيه للشهداء القديسين، مضى إلى معبد طيطس ليقدم ذبيحة للآلهة. (لأنه كان يسمى مخلص)، حينئذ قرر جنوده أن يقتلوه، لأنه فى عناده وكبريائه الشديد كان يذلمهم، مع أنهم كانوا حكماء، ولم يروا منه قط أية عدالة، لذلك ثاروا ضده وقتلوه سراً، فلم يعرف الشعب بموته!!

وعملوا خدعة للشعب، إذ أخذوا ملابسه الحريرية، وعلقوها فى سلاسل لمبات المعبد، مدعين أن الامبراطور قد اختطف من الأرض ورفع فى الهواء بأيدي كهنة الآلهة.

وظلوا يضللون الشعب لوقت طويل، ثم أخيراً أعلنوا موت هذا البائس، فحدثت ثورة، خاصة لأنهم كانوا قد قتلوه فى المعبد، فنجسوه بهياجهم مدعين أنهم أبرياء، وأن معبدهم ظل طاهراً. وبعدما هدأت الثورة، توصلوا إلى أن يجلسوا (نرفاً) على العرش، وكان رئيساً للجيش وشيخاً ذا فضائل عالية، وحكيماً ومحباً للإنسانية. وقد طلب فى الحال أعاده القديس يوحنا الحبيب من مكان نفيه، وتوصيله إلى

المس حيث تنيح بسلام. ولكن المكان الذى دفن فيه جسده لا يعرفه إلا ربنا يسوع المسيح له المجد.

وكان الامبراطور نيرفا ملكاً صالحاً، أنشأ أبنية ممتازة، إلغى عادة الصفع بالصفع (أى المعارك) التى كانت سائدة بين الشعب، وبعد إقامته لهذه الإصلاحات. مات هذا الامبراطور، عن عمر يناهز الأربعة والثمانون، بعد حكم دام عاماً واحداً.

الفصل الثانى والسبعون

كان الامبراطور تراجان خليفة نرفا، الذى ارتبط بعبادة تكريم الأوثان، وكان هو ثالث إمبراطور يضطهد المسيحية، لدرجة أنه كان فى كل مكان شهداء كثيرون يحملون العذابات الكثيرة .

وقد قبض على اينياس بطريك أنطاكية خليفة بطرس وأمر بإصطحابه إلى روما مكبلاً بالسلاسل، وألقائه أمام الأسود، كما أمر بالقبض على خمسة نساء مسيحات من أنطاكية، واستجوابهن هكذا: من تعبدون؟ ومن تزجون الرحمة حتى تندفعون هكذا إلى الموت ؟!

فأجبنه: "نحن نموت من أجل المسيح يسوع، الذى سيعطينا الحياة الأبدية بعدما نخرج من هذا الجسد القانى".

حينئذ غضب الوالى الوثنى بشدة، لكونه وثنياً لا يريد أن يسمع عن عقيدة الديانة، وأمر بأن تلقى هؤلاء النسوة القديسات فى النيران، ثم أمر بجمع رماد أجسادهن، وإلقائه فى مرجل النحاس الذى فى الحمام العام، الذى كان قد شيده لعليداً للذكراه. وكان كل من يستحم فى هذا الحمام، يصاب نتيجة أبخرة تخرج منه، فيسقط على الأرض، فكانوا يحملونه بأقصى سرعة!! وكان كل من يرى ذلك يدهش. أما المسيحيون فكانوا يفتخرون بإسم ربنا يسوع المسيح ويمجدونه مع القديسين، وبنسخه ون من الوثنيين.

عندما علم تراجان بهذه الظاهرة، أمر بتغيير مرجل النحاس، وخلع مواسير النحاس التي اختلط فيها رماد النساء القديسات، ثم جمع هذا الرماد ووضعه في خمسة تماثيل من النحاس، ووضعه في هذا الحمام. ولم يزل يتحدث باحتقار عن الشهداء وكان يقول: "أنهن لم يمتن بسببى ولا لأجل إلههم، بل متن بلا سبب".

في هذا الوقت إستشهدت إبنته أدروسييس، وكذا يونا إبنة الملك النيل فيلاسارون، مع كثير من العذارى الأخريات اللأئى استشهدن بالنار بأمر هذا الشرير.

وحدث أثناء إقامة ترجان في أنطاكية، أن هذه المنطقة التي إضطهدت من قبل ثلاث مرات، وقاست من غضب الله، وترعزعت بزلزال أثناء الليل ... وليس مدينة أنطاكية وحدها، بل أيضا جزيرة رودس التي حدث لها هزات ذات يوم بعد صياح الديك.

وحدث أن تجمع اليهود الذين يقيمون في مدينة الاسكندرية، وكذا سكان إقليم قيروان Cyrene، وأقاموا لهم رئيساً يدعى لوكاس ليجعلوه ملكاً عليهم. وعندما علم تراجان أرسل ضابطاً يدعى ماركيوس تاربو، Marcius Turbo بجيش قوى يصحبه عدد كبير من الفرسان والمشاة، وكذا رافقه عدد كبير من الفرق عن طريق البحر في السفن. وذهب هو بنفسه إلى مصر وأنشأ فيها حصناً به قلعة قوية لا يمكن الاستيلاء عليها. ومدّها بالمياه الوفيرة وسماها بابليون مصر.

ونعلم أن أساسات هذا الحصن، كانت من قبل قد شيدت بواسطة نبوخذ نصر ملك مادي، والفرس هم الذين أطلقوا إسم حصن بابليون عليه. وكان ذلك في الوقت الذي إستولى فيه على مصر بإرادة الله بعد تحطيم أورشليم، ونفى اليهود الذين قاوموا نبي الله، في مصر فإقترفوا ذنوباً فوق ذنوبهم.

فجاء نبوخذ نصر إلى مصر، بجيش كبير وإستولى عليها لأن اليهود الذين فيها كانوا قد ثاروا ضده، وكانوا قد اسماوا الحصن بإسم بلده بابل.

أما تراجان فجاء وزاد فى ارتفاع سور هذا الحصن، وزاد أبنية الحصن الأخرى، كما أمر بحفر قناة قصيرة العرض، لتوصيل مياه جيحون إلى مدينة Clnyrma كليزما وتصل إلى البحر الأحمر، وسمى هذه القناة قناة تراجان على إسمه، ثم أنشأ قلعة أخرى فى منوف. وبعد كل هذه الأعمال مرض ومات فى العام العشرون من ملكه.

الفصل الثالث والسبعون

وبعد موت تراجان حكم فى روما ابن عم تراجان، وهو هديران، وقد أسس هديران فى مصر العليا مدينة رائعة أسماها أنصنا Antinoe محرفة عن Ensina. وبعد ذلك رفعه الكفرة إلى مصاف الآلهة لأنه كان غنياً جداً، ومات ميتة عنيفة.

الفصل الرابع والسبعون

وخلف هديران إليوس أنطونيوس بيوس، وكان إنساناً فاضلاً جيد الرعاية والاهتمام بشعبه، وكان الرومان يدعونه قيصر، خادم الله، ويبدو أثناء حكمه رجلاً خيراً.

ويجمع المؤرخون، أنه أول من ألغى العادات البالية والظالمات التى كانت عند الرومان قبل حكمه، فكان يقرر كل ما هو عادل. وقد كان الرومان يقترفون المظالم، ويصادرون نصف ثروة الأغنياء بعد موتهم لصالح الدولة لذلك ما كانوا يستفيدون من الوصايا التى يضمن به الأباء معيشة أبنائهم.

ولم يستطع من سبقوه أن يبتلوا هذا التقليد، ولكنه وحده استطاع تغييره، فقرر أن كل شخص له حرية التصرف في ثروته، ويعطيها لمن يشاء. كما أنه وضع كثير من الإجراءات المنصفة والعادلة، ووضع وصادق على قوانين مطابقة للعدالة.

وجاء إلى مصر، ثم مضى إلى الاسكندرية حيث عاقب كل من أساء مخالفاً، وكافاً الذين تصرفوا حسناً، لأن التسامح والوفاء، وطول الأناة كانت متأصلة فيه.

وأقام في الاسكندرية بوابتين في شرق المدينة وغربها، كما شيد في مدينة أنطاكية أيضاً مسرحاً أسماه... وذلك بأحجار بيضاء احضرها من مصر العليا، وشيد أيضاً حمامات، أكاديميات في كل مدن امبراطوريته. ثم عاد بجيش ضخم إلى روما. وبعد أن بقي بها بعض الوقت، مات في السنة الثالثة والعشرين لحكمه، عن عمر يبلغ السابع والسبعون، تاركاً ثروته لابنه مارك، وهذا الأخير شابه والده في فضائله وحسن استعداداته، فكان يعمل كل ما هو حق وعادل ومات على دين والده.

الفصل الخامس والسبعون

كان خليفته ديسيوس (داكيوس) Dece الشرير، عدو الله الذي نظم اضطهاداً عنيفاً ضد المسيحيين، وثبت الديانة الوثنية وقوانينها الدنسة، حتى يستأصلوا المسيحية من المملكة. ونتيجة ذلك سفك دم عدد كبير من القديسين، وكان يبحث عمن يعبدون الله الحق في كل مكان. وهذا الرجل الشرير جلب من افريقيا كثيراً من الحيوانات المتوحشة ذكوراً وإناثاً من الصحارى، وكثيراً من الشعابن والزواحف السامة، ذكوراً وإناثاً وأرسلها إلى المشرق، وإلى الجزيرة العربية وفلسطين. حتى إلى حصن كيريزيوم لكي ينقض بهم على البربر الثائرين.

الفصل السادس والسبعون

خلف داكوس رجل يدعى أورليان، وبعد جلوسه على العرش أعاد بناء سور روما، الذي كان متهدماً، في مدة وجيزة. وشدد على سكان روما حتى ينهوا هذا العمل، مشرفاً بنفسه عليه بكل همه وبدون كبرياء. وسن قانوناً منظماً للعمال، حيث أمر أن يقيدوا أسمائهم، حتى يرفعهم إلى المرتبة الأولى ويكرمهم في الامبراطورية ليخدموا الأباطرة.

وسبب هذا القانون، أنه قاسى كثيراً في سبيل إنهيار سور المدينة. وأصبح تقليداً عند الرومان، أن كل الفلاحين والصناع والبحارة الذين يجوبون البحار، الكل يسجلون أنفسهم في سجلات الدولة.

وسمى الامبراطور العمال على اسمه الخاص، (أورليانس)، وسجل اسماءهم في سجل خاص، وهذه السجلات مازالت موجودة للآن.

الفصل السابع والسبعون

عند ترأس دقلديانوس لحكم مصر، اعترف به الجيش وهبوا لمساعدة ذلك المستبد الأثيم مضطهد المؤمنين، المرعب الذي لا مثيل له. ولكن مدينة الاسكندرية ومصر رفضتا الاعتراف به والخضوع لسلطانه.

فجهز دقلديانوس جيشاً عظيماً لغزوهم، بمساعدة معاونيه الثلاثة في الامبراطورية، مكسيميان ذو الجنس الملعون، وكونستانس، وغاليريون.

بعدما جاء إلى مصر أخضعها، وخرب مدينة الاسكندرية، ولكنه لم يقدر أن يخضعها له تماماً، إلا بعدما بنى قلعة شرق المدينة ظل فيها لمدة طويلة، وبجهد كبير وجيش ذو عدد وعدة، استطاع أخيراً أن يهزم مقاومة المدينة، بواسطة بعض من سكان المدينة الذين بينوا له مكاناً ليتوغل فيه.

وأشعل دقلديانوس النار في الاسكندرية حتى احترقت تماماً، وصيرها تحت سلطانه، وكان مؤمناً بالعقيدة الوثنية، يقدم القرابين للشياطين النجسة، ويضطهد المسيحيين، متشبهاً بالحيوانات المفترسة، كارهاً للفضيلة متحدياً لله، ومدعياً أنه إله الامبراطورية الرومانية. ولهذا فقد قتل كل الأساقفة، والكهنة، والرهبان، وقتل كثيرين رجالاً ونساءً وأطفالاً، مستخدماً أعدائه أكلى اللحوم البشرية، الذين ملأ بهم كل موضع، فسكب دماء عدد لا يحصى من القديسين، وبدون رحمة، كما هدم الكنائس وأحرق الكتب الموحاة من الله، ومنذ الوقت الذي صار فيه دقلديانوس حاكماً لمصر. والذي استمر لمدة ١٩ عاماً، بدأ اضطهاداً عاماً للمسيحيين. في ذلك الوقت أرسل إلى الاسكندرية أمراً، بقطع رأس الآب القديس البطريق أنبا بطرس خاتم الشهداء. كما أمر بقتل كل أساقفة مصر، الذين وجدتهم متمسكين بالعقيدة الأرثوذكسية، وكل من يعيشون حياة مقدسة.

وكان الناس يعتقدون أنه عدو ليسوع، جاء ليقضى على العالم أجمع. كأنه مأوى للشرور ومصيب للجرائم، وكان مساعده يتصرفون بنفس الطريقة، أذ كان مكسيميان يقترف جرائم كثيرة، ومكسيميان الثاني اللذان كانت حكومتهم في الشرق كان هو الآخر، عدواً لله يقوم بممارسات بشعة، يشبه حيواناً مفترساً.

ولكن على العكس زميله كونستانس في حكم آسيا، لم يقترف عملاً يلام عليه، بل كان يحب الناس ويعاملهم برفق. فقد أصدر مرسوماً رسمياً للمسيحيين في كل مقاطعته، أن يتبعوا أوامر الله الواحد الحقيقي، ومنع اضطهادهم أو معاملتهم بأي نوع من العنف، أو مصادرة أملاكهم، أو مضايقتهم بأي وسيلة. أو أن يمنعهم أحد من إحتفالاتهم الدينية في الكنائس، حتى يتيسر لهم أن يصلوا لأجله ولأجل حكومته.

ولم يمض ثلاث سنوات على اضطهاد دقلديانوس الجبار الذي شنه ضد المسيحيين حتى مرض مرضاً شديداً وفقد عقله.

فاتخذ مجلس الشيوخ الرومانى قراره، بخلعه من الحكم ونفوه فى جزيرة مغطاه بالغابات، تسمى جزيرة فاروص واقعة فى الغرب، وظل فى منفاه بهذه الجزيرة، حيث كان بعض المسيحيين الهاربين من الإضطهاد، يقومون بإطعامه بما يصلب به عوده، وعاش فى هذا المنفى إلى أن إستعاد عقله. وطمع فى السلطة، فطلب من مجلس الشيوخ أن يرجعوه إلى القصر، حيث كان يقيم أولاً وأن يحتفلوا به، ويعترفوا به امبراطوراً كما كان، لكن الضباط فى الجيش رفضوا طلبه، منضمين إلى المجلس وقالوا: "هذا الرجل الذى فقد عقله وأصابه الجنون ولذلك عزلناه، فلا نقبل أن نعيده ثانية".

فزاد إكتابه نتيجة ذلك الحرمان، ولم يستطع أن يحقق رغباته، لانه عدو الله، وشهادته القديسين! فبات يزرف سيولاً من الدموع، وكانت المصائب تحيط به من كل ناحية، وأظلم عقله أكثر فأكثر، حتى فقد بصره وفنيت حياته ومات.

وأما مكسيميان، فكان يمارس شروراً كثيرة أكثر من دقلديانوس، وكان منهمكاً فى أعمال بشعة، بإيحاء من الشياطين، إذ كان يشق بطون الحوامل، ويقدم قراييناً من البشر، والحيوانات للشياطين النجسة.

وبعد سنتين من موت أبيه شق نفسه ومات ميتة شنيعة، بيد نفسه هو وليس بيد آخر.

ومكسيميان الطاغية، وهو نفسه غاليريوس، ولو أنه لم يكن يسمح بنفس الجرائم التى إرتكبها دقلديانوس فى الشرق، وفى افريقيا وفى المدن الكبرى، وفى الاسكندرية ومصر وبنطا بوليس، إلا أنه كان يعامل الشهداء القديسون بلا رحمة، كان ينفى البعض، ويقدم الآخرين للحيوانات المفترسة، أو يقتلهم بالسيف أو يلقيهم فى النار، كما كان يهدم الكنائس، ويحرق الكتب المقدسة، ويبنى معابد الآلهة التى كانت خربة. فلم يرحم النساء الحوامل اللاتى كان يشق بطونهم، ويخرج منها

الأطفال الذين، كان يقدمهم قرباناً للشياطين النجسين، وأخيراً كان يجبر كثيراً من الناس على عبادة الأوثان. ولكن لم ينجو من عقاب الله. فأصيب في صدره بسعال مضنى جعله يتألم، وانتفخت أمعاؤه وظهر منها ديداناً خطيرة، وأصبحت رائحة فمه كريهة لا تطاق، حتى لم يقدر أحد على الاقتراب منه.

ولما لم يجد وسيلة تخفف عنه الآلام، أصبح في موقف خطر، فكان يائساً من الحياة. فتحقق أن مرضه الذى أصابه كان عقاباً له من المسيح الإله الحق، بسبب تعذيبه للمسيحيين، وبعد أن تيقن من ذلك، أمر أتباعه بأن يكفوا عن إضطهاد المسيحيين.

فتركه المرض الذى عاقبه به الله، وإسترجع صحته بسبب هذا العمل الإنسانى. لكنه بعد ما رجع إلى صحته، وبعد ستة أشهر من توبته، فكر من جديد فى شن إضطهاداً على المسيحيين وقتلهم، ونسى يسوع المسيح ربنا ومخلصنا، الذى كان قد شفاه من مرضه الخطير.

وأنشأ أوثاناً جديدة فى مدينة أنطاكية، مجاهداً فى نشر أعمال الشياطين والسحر. ولكنه أصابه الإنتقام، إذ قامت ضده حرباً فى أرمينيا، وسادت المجاعات كل أنحاء الامبراطورية، فلم تعط الحقول ثمارها، وفرغت الصوامع، فإفتقر كثير من الأغنياء، ومات السكان من قلة الغذاء .. ومات الناس يتضورون من الجوع، والأين والبكاء. ولكثرة الموتى لم يجدوا من يدفنهم. وحزن كل وثنىوا الغرب، وصاروا فى حداد آسفين على دقلديانوس وإبنه مكسيميانوس. حينئذ أرسل مكسيميانوس إبنه مكسينيتوس إليهم. وكان ابن الطاغية هذا مكاراً منافقاً منذ البداية، فأوجد لنفسه صيتاً حسناً وكان مجتهداً فى خداع الناس فى الوقت الذى كان يرضى فيه الرومان ويكرم ديانتهم، فأمر بأن يتوقف إضطهاد المسيحيين، مظهراً نفسه بأنه أحد خدام المسيح، متظاهراً بحب الناس جميعاً أكثر ممن سبقوه!

لكنه بعد فترة ليست كثيرة إنكشف خداعه، وتحول مثل سابقه إلى ذئب في عريته، بل أنه فاق أسلافه خداعاً، ورذيلة، فأصبح متوحشاً لدرجة لم يكن يسمح بأى نوع من الشفقة والرحمة!

وأساء معاملة الناس، حتى إستنفذ كل أنواع الملهذات، فكان يغتصب النساء المزوجات شرعياً، وكان يتاجر بهن ليس سراً فقط ولكن فى العلانية. ثم يرجعهن بعد ذلك إلى أزواجهن.

وليس ذلك فقط بل أنه إتبع الظلم والإستبداد، الذى قاسى منه شعبه، إذ أصدر أوامره بالاستيلاء على ثروات الأغنياء، مبتدعاً أعذاراً كثيرة. وأما عن الذين لا يملكون فائضاً يعطونه، فكان يأخذ كل ما يجده لديهم، وبهذا قتل آلافاً عديدة من الأشخاص، حتى يستولى على ثرواتهم.

ولم يزل يقترف هذا المستبد مثل هذه الأعمال، حتى تحول كل سكان روما إلى الفقر والعجز، معاملاً إياهم بغير طبيعة عادات هذا البلد. وعلى العكس من ذلك كان كونستانس خادماً لله ذو سمعة طيبة حكيماً فى كل تصرفاته وحذراً.

ولأنه كان فاضلاً ومحبباً، فكان كل الشعب يصلون لأجله، ويقدمون له الهدور، مكرماً من كل القضاة والجيش والشعب، وهو الذى أسس مدينة بيزنطة، وكان يسلك بأمانه الطريق المستقيم.

ثم مات ومضى إلى الله، تاركاً ابنه المشهور، أى قسطنطين المحبوب من الله، وكان مشعباً بالفضيلة ومكرماً، لأنه كان ولى عهد، وخليفة ذلك المحسن العظيم، وخادماً للثالوث الأقدس، ولما أصبح امبراطوراً، كان يتمم إرادة الله فى كل وقت، وكان يحب كل مخدومى امبراطوريته، ويعاملهم برفق، وكان يسير طوال فترة حكمه برفق وورع وتقوى فصار عظيماً أمام الله الأبدى.

وكان جميع الجيش والشعب، يكرمونه لأنه كان محبوباً من الله، ومملوءاً نشاطاً وحماساً، وفي عهده أخذت المسيحية مكانتها وقوتها، وظهر التسامح والإحسان، والنور والحكمة، فأزال كل معوق من الطريق، دون استخدام العنف، وقاد رعيته في عبادة الله. ولم يتوقف قط، بأن يأمر بإعادة بناء الكنائس، التي قد تهدمت. ولم يسمح بأن توضع العقبات في سبيل المسيحية، وعبادة الله المقدسة، التي تقدر بها ليكون ملكاً وقوراً فاضلاً.

وقد اتخذ له رفيقاً في الحكم في روما، وهو زوج أخته كونسنتيا ليسينوس، الذي لم ينتقص عن صفات قسطنطين الامبراطور الأمين صفة واحدة، لأنه قد أقسم بأن يصنع الخير، وألا يكون عدواً لربنا يسوع المسيح ولا لأتباعه.

حينئذ جاء من الشرق مكسيميان المستبد، والمتسلط عليه من إبليس، والذي كان قد اغتصب الحكم لنفسه، قبل قسطنطين الامبراطور الأمين. ثم رفض أن ينقل المرسوم الصادر من قسطنطين، المختوم بخاتمه. بل أنه في حقيقته كان يشن الحرب، على كل البلاد والأقاليم الواقعة في حكم ليسينس، حتى مدينة القسطنطينية، دون أن ينجح في أن يستولى عليها.

فاتفق قسطنطين التقى، مع زوج أخته ليسينس، وإستعدا لمحاربة هذا المستبد. وإتجه قسطنطين لمحاربة مكسينيس، الذي كان مركزه في روما، وكذا ليسينس ضد مكسيميان المستبد في الشرق.

عندما علم مكسيميان المستبد، بمسيرة قسطنطين خادم الله نحوه، أسرع لمحاربته مجتازاً بسفنه نهر ايطاليا. ثم أقام جسراً متيناً قرب مدينة روما، لمرور المحاربين المنضمين معه. وذلك بإيحاء من تنبؤات كاذبة أعلنها له وحي شيطاني، وذلك لأنه كان يجهل أن معونة السيد المسيح كانت تسند قسطنطين التقى!

فعبّر مكسينيس المستبد وفرسانه ورجاله نهر ايطاليا، عن طريق الجسر، للإلتحام بقسطنطين الورع وجيشه، ولكن هذا الأخير توقف على مسافة قبل أن يبدأ المعركة، وانتظر حتى يرى ظهور علامة على إنقاذ الله له.

بينما تباهى الأعداء بقوتهم. ونام قسطنطين ليلته مليء بالقلق والحزن، غير أنه رأى في حلم صورة الصليب المقدس في السماء، وعليه هذه الكتابة "بهذه العلامة ستهزمه" فنهض في الحال وبدأ المعركة وانتصر على خصومه، حتى أهلكهم عن آخرهم.

وأراد مكسينيس قائد الجيش أن يهرب، مع جيشه إلى مدينة روما، لكن شاء الله، أن يسقط الجسر الذي عبروه فغرقوا جميعاً في الهوة، وقد فرح شعب روما وإبتهجوا لهلاك المستبد، وإرتدى مجلس شيوخ مكسينس وضباطه، وباقي جنوده، أبهى الثياب، وكل الشعب والفلاحين وأولادهم، حملوا الشموع المشتعلة وذهبوا بصحبة رجال الموسيقى، لمقابلة الامبراطور قسطنطين خادم الله، وليس شعب روما فقط بل كل المدن والأقاليم إبتهجت أيضاً، وشعب مدينة القسطنطينية.

ولم يتكبر قسطنطين ولم يفتخر رغم إنتصاره، كما يفعل الملوك الآخرين، إنما على العكس أظهر كثيراً من التواضع والخضوع لله، شاكراً وممجداً لربنا يسوع المسيح، ملك الملوك ورب الأرباب.

ثم دخل روما دخول الظافر، فهلل له كل الشعب ومن كانوا هاربين من الموت أثناء المعركة جاءوا وخضعوا له. ومضى قسطنطين بعد ذلك إلى القصر حاملاً تاج النصر.

ثم أخبر الشعب بالمعجزة التي إختص بها، والنصر الذي حققه عن طريق العلامة التي رآها في السماء، على شكل الصليب المقدس.

ولدى سماع الشعب لهذه القصة صاحوا قائلين: عظيم هو إله المسيحيين، الذى خلص مدينتنا وشعبنا من أيدي المستبدين.

وأمر الملك على الفور، بغلق البرابى الوثنية، وفتح أبواب الكنائس فى روما وكل المدن. وقام القديس سيلفسترس بطريرك روما، بالتعاليم الحكيمة، وتلقين الإيمان الحق للملك وحاشيته.

مضى قسطنطين بعد ذلك لمحاربة الفرس، فإنتصر عليهم ومنحهم السلام، وعامل بلطف المسيحيين الموجودين، وغمرهم بالهدايا، التى من بينها بوق كان يستخدم فى التزمير أمام الملك. وإستبدل قضاة الأقاليم، وكل الوكلاء بموظفين مسيحيين، وشيد الكنائس الجميلة فى كل الأقاليم والقرى، ثم بعث أمه الامبراطورة هيلانة الحجة للإله، إلى مدينة اورشليم المقدسة، لتبحث عن خشبة الصليب المجيد، الذى كان قد علق عليه ربنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد. وكان ذلك فى عهد الأب القديس أنبا مقاريوس مطران اورشليم، ثم بنت هيلانة حينئذ كنيسة القيامة المقدسة رائعة، وأعادت بناء مدينة اورشليم بأكثر بهاء مما كانت عليه قبلاً. وما زالت قائمة هكذا إلى يومنا هذا.

بعد ذلك بنى الامبراطور قسطنطين، كنيسة رائعة الجمال ومدهشة بمقاييس كبيرة فى مدينة بيزنطة، وبعد أن إنتهى من بناء المدينة سماها بإسمه أى القسطنطينية، بعدما كانت تسمى بيزنطة. وكان الملك يحب الإقامة بها، وجعلها مسكناً للمسيح، وجمع أيضا الكتب المقدسة ووضعها فى الكنائس.

بعد ذلك جمع ثلاث مائة وثمانية عشر قديساً فى مدينة نيقية وثبت الإيمان الأرثوذكسى، وبات مستحيلاً أن نعدد أعماله الجليلة التى تمت فى عهده.

كان هناك رجلاً مسيحياً من مستخدمي الدولة، وكان أكثر حكمة وتميزاً، هذا كان يسعى باجتهاد، لكي يبين عظمة الصليب، الذي علق عليه ربنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد.

وقام الثلاث مئة والثمانية عشر أسقفاً، المجتمعين في نقيّة بتكريم الامبراطور قسطنطين، خادم الله وامه النقية الامبراطورة هيلانة، وكرسوا لهما بناءً خاصاً يليق بكرامتهما، مسجلين فيه ما يدل على عظمتهما من البداية حتى النهاية.

ولما رأى مكسيمينوس المستبد، هذا الرجل الفاسد والطاغى أنه على وشك هجوم من ليستنيوس الذي كان يشارك الحكم في الشرق، وكان قد قاد جيشه لمحاربة مكسيمينوس. وعلم النهاية الغير سعيدة لحرب مكسيميناس ضد قسطنطين خادم الله، وكيف هزم وإنتهى، أرسل مكسيمينوس رسالة صلح يطلب فيها السلام من ليكسينوس.

فأرسل ليكسينوس رسالة إلى قسطنطين يعرفه بأن مكسيمينوس يطلب السلام، وأنه يقبل الايمان المقدس بالمسيح، متخلياً عن أخطائه الشخصية، وبأنه عقد ميثاقاً معه! فرد قسطنطين عليه برسالة يوافق أن يقبل مقترحاته، وكان مكسيمينوس يضمّر فساد ضميره وخداعه وغدره، ولكن أخفى كل ذلك ووجه خطاباً بمكر لكل الوكلاء الذين تحت سيطرته يمنعهم فيه من مضايقة المسيحيين، ولما تلقى أتباعه هذه الرسالة عرفوا كل شيء، وفهموا أنه لم يعمل هذا من تلقاء ذاته، ولكن خضوعاً لريائه المتسلط عليه. فلم يحترموه لأنهم علموا أنه كان قبلاً يسب القديسين.

وأما الامبراطور قسطنطين، فلم يكن يمانع المسيحيين المكرمين من عقد اجتماعاتهم، وبناء كنائسهم، لكنه أكثر من هذا كان يهتم بأمانه بالديانة المسيحية ففاضل في سبيلها، وكان يهرب من الوثنية، وكان يحرض جميع الرؤساء بأن يدعوا الكنيسة المسيحية في سلام.



كان هناك رجل يدعى جيلاسينوس، من مدينة مارمى (مارنামী) الواقعة على بعد ميل من دمشق. كان يتوسط جمع من الوثنيين، من سكان هليوبوليس اللبنانية، وكانوا قد اجتمعوا في المسرح، وأحضروا بعض الممثلين وأحضروا حوض كبير من النحاس، وسكبوا فيه مياه باردة، وبدأوا في تقليد من يعمدون من المسيحيين. فجاء أحدهم وغطس في الماء مثل المعمدين. وبعدها خرج ألبسوه رداءاً أبيضاً، ولكنه بعد ذلك رفض أن يقلد ويمثل هذا الدور من جديد، إذ أعلن أنه مسيحي وأنه يود أن يموت على اسم المسيح، لأنه عاين معجزة عظيمة في الوقت الذي كانوا يسخرون فيه من المعمودية المقدسة هكذا. وتركهم ومضى، فباغتم كل الحاضرين وغضبوا، لأنهم كانوا وثنيين، ثم نزلوا من المسرح وأمسكوا هذا الرجل، ورجموه بالحجارة حتى مات، ونال إكليل الشهادة الغير الفاني، وحسب من جملة الشهداء القديسين، فحضر والديه مع عدد كبير من المسيحيين، وحملوا جسده ودفنوه بالمدينة، ثم بنوا كنيسة في المكان الذي وضع فيه جسده هذا كان يدعى جيلاسينوس رحمنا الله بشفاعته.

أما مكسيميان الشرير فلم يتخل عن أخطائه الشنيعة، ولم يتأثر بروح التقوى التي إقتناها الأباطرة الأتقياء معاصروه، الذين عاشوا بتقوى مستتيرين بالحكمة والعلم. إذ كان هذا المستبد مملوكاً للشيطان وكان يضلله. ولما لم يكن يتمتع بسلطان بدون حدود فكان خاضعاً للأباطرة، ولم يكن حراً في اختيار ما يناسبه بالصحة لذلك كان يتطلع إلى محاربة الأباطرة أحياء المسيح. وبدأ في كسر الاتفاق الذي كان قد عقده مع ليسيانس وحاول أن يعمل على تخويله وإهلاكه، لأنه كان عنيداً ومتغطرساً فلم يعمل غير ما يقوده فكره الخاص، وحرص الشعب كثيراً لكل الأقاليم التابعة لمقاطعته.

وبإيعاذ من الشياطين الذين كانوا يسرونه، جمع آلاف الرجال لكي يحارب

تفكيره، فإستطاع ليسيانوس أن يهزمه، وقتل كل المحاربين الذين كان يعتمد عليهم. وشنت ضباطه حتى إستسلمت بقية الفرق الأخرى، وجاءوا إلى ليسيانوس خاضعين تحت قدميه.

عندما رأى مكسيميانوس ذلك فزع لأنه كان جباناً، وترك ساحة القتال خجلاً، وهرب راجعاً إلى مقاطعته. وصب جام غضبه على كهنة الأوثان وعلى مقدساتهم، وأمر بقتلهم مع السحرة الذين كانوا أقنعوه بالأنظمة الخلابية والمضللة، بعدما تيقن بوضوح كذبهم، فلم يقدروا أن يقوموا بمساعدته فى الحرب، ثم أمر بقتلهم أيضاً خاصة أنهم كانوا يرتكبون أثاماً شنيعة، وأنكر قوة الشياطين التى كانت تسيره.

لكنه كان ضعيفاً وغير قادر أن يمجّد إله المسيحيين، إذ كان يرفض الحكمة والبركة، فلم يسع لسلام قلبه.

ثم أصدر ليسيانوس أمراً بمحاربة باقى الخصوم الذين كانوا ما يزالون. وهذا حدث فى السنة العاشرة لإضطهاد المسيحيين، الذى تزعمه والد مكسيميان، ودقلديانوس عدوا الله.

وفى هذا الوقت لم يبد مكسيميان نداماً صادقاً، ولا طلب أن ينال سلامة بعد هروبه من ساحة القتال، وأصبح فريسة لحزن عميق، وأصابه الله بمرض خطير، فأكلت نيران هذا المرض جسده، فاشتعلت فى بطنه، وتآكلت أطرافه وبرزت عظامه، وهلكت أمعاؤه وغير المرض منظره، وانخلعت عينه من شدة الآلام وفارقت روحه جسده ...

وهكذا إختفى أعداء الله الثلاثة أى دقلديانوس وأولاده الاثنين. وقبلما يموت مكسيميان، فهم أن كل ما حدث له كانت نتيجة شروره التى مارسها ضد المسيحيين القديسين وثورته ضد المسيح.

واستولى ليسانس على الشرق وأخضعه تحت سلطانه وكذا بقية الأقاليم المجاورة، فباتت الكنيسة فى هدوء وسلام، حيث أنشأ الأبنية الدينية وتلاوات الكنيسة بنور المسيح. ولم يستمر الوضع هكذا، لأن إبليس الشرير الذى يجول مثل أسد يريد أن يبتلع بمكر، ويبحث دائماً عن إغراء المؤمنين وضلالهم، قد أضل أيضاً ليسانس وجعله ينسى كل أعماله المجيدة السابقة، فأتجه لإرتكاب أعمال من عمت أبصارهم، مع أنه كان قبل ذلك غيوراً فى طاعة الله، ولم يتبع طريقهم الردىء، ولم يكن معادياً للإمبراطور قسطنطين، ولكن بات قلبه غير راضياً عن الحق، كما كان ولكنه تناسى العهد والقسم الذى أقسمه، والإتفاق الذى إتفقاه معاً.

فأدرك الشر وبیت النية لقتل قسطنطين الامبراطور الفطين، لكن المسيح الإله الحق أفسد خطته، مع أنه كان فيما مضى قد مجد وعبد يسوع المسيح، فلما جحدته أسلمه الرب يسوع المسيح إلى موت قاس بدون رأفة لأنه إرتكب حمقاً.

ظل ليسانس فى إضطهاد المسيحية، يهاجم قسطنطين الورع، وبدأ أيضاً فى إغلاق الكنائس وهدمها. وقتل المؤمنين القديسين وعزل وتجريد المسيحيين المؤمنين الذين كانوا بين جنوده من وظائفهم، ومارس ضغوطاً على الأغنياء، وأقام وكلاء عنه فى كل المدن والقرى، ليمنعوا الشعب من ممارسة طقس الله المقدس الا وهو صلاة المسيحيين من أجل قسطنطين الامبراطور الأمين. فأجبرهم على ترك طقس الله وممارسة طقوس العبادات المزيفة، مسترسلاً فى إرتكاب العديد من الأعمال الإجرامية. ولم يكف قسطنطين الملك عن تمجيد الإله الحق وعبادته. فجمع جيشاً كبيراً تحت قيادة كريسبس (Crispe) قيصر الذى كان قد عينه، وكان شجاعاً، حسن الرعية نحو رجاله، وخادماً تقياً لله. فجمع جيشه وسار مقابل أعداء الله، يرشدهم ويقودهم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، وقوته غير المتزعزعة.

وكان قسطنطين مستعداً أن يدافع عن الدين المقدس الذي جحدته هذا المستبد ليسينوس، بالرغم من أنه كان زوج اخته، ليعلم المقدسات المزيفة. فهرع قسطنطين لكي يعاقبه، فطرحه على الأرض، وحطم كل جيشه في مذبحه رهيبه.

وكل هذه المصائب أصابت ليسينوس، لأنه أنكر المسيح وكسر العهد الذي قطعته على نفسه، وخالف العهد الذي كان قد أبرمه مع قسطنطين، فاستولى قسطنطين على قسمه وضمه لإمبراطوريته، فملك على الشرق والغرب شمالاً ويميناً. وعاش قسطنطين في سلام مع كل العالم. وكان مباركاً من الكل، وكان يدافع عن حدوده إمبراطوريته كما يحق، حتى أن جميع أعدائه خضعوا له واعترفوا بقوة ربنا وإلهنا يسوع المسيح ابن الله الحقيقي، ثم رفع ابنه كونستان وكونستانس، إلى مصاف الأباطرة وأعطاهما كرامة ومجداً. ثم مات دون اضطراب أو أذى، لأن ربنا يسوع المسيح الإله الحق، كان يحفظ إمبراطوريته حتى الجيل الثالث، وكان كورستان السعيد يشبه أباه، إذ كان يتبع الطريق الصحيح حتى نهاية حياته، فكان يمارس فروض الفضيلة. وبعد موته عرف سكان اليمن الله، وإستناروا بنور وبهاء ربنا يسوع المسيح له المجد.

وكان ذلك بتأثير حياة امرأة تدعى ثاؤغنسطا كانت راهبة عذراء، وإختطفوها من ديرها الواقع في أراضي الرومان، وأخذت أسيرة حيث قدمت لملك اليمن. وكانت هذه المسيحية موهوبة بدرجة عالية بفضل ربنا، وكانت كثير من حالات الشفاء تحدث على يديها، وقد هدت ملك الهند نفسه إلى الإيمان الصحيح. فأصبح مسيحياً بقدرتها، وكذا كل سكان الهند، ثم طلب ملك الهند من الامبراطور ألتقى ثاؤغنسطا أن يرسل لهم أسقفاً، لأنهم أخبروه باهتدائهم إلى الله، واعتناقهم الإيمان الحقيقي، فإمتلاء الامبراطور فرحاً عظيماً، وأرسل إليهم مطراناً قديساً يدعى ثاؤغنسطا الذي شجعهم وقواهم وعلمهم الإيمان بالمسيح إلهنا، حتى أصبحوا مهئين للمعمودية التي هي الميلاد الثاني.

كان هذا كله بفضل صلوات هذه العذراء القديسة ثاؤغسطا، والمجد لربنا يسوع المسيح، الذى وحده يصنع المعجزات ويحفظ الأمانة للذين ينتظرونه. كل هذا حدث فى الهند.

وفى الواقع أن سكان هذه المناطق، قد إستقبلوا رجلاً نبيل المولد يدعى أفروديت، من الهند أصلاً، وكانوا قد رشحوه مطراناً، فعين ورسم من قبل أثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية، هذا جاء وقص على الأب البطريك، أن هؤلاء الناس تقبلوا عطية الروح القدس وحصلوا على سلام تام لنفوسهم، بفضل المعمودية المقدسة وأصبحوا مستأهلين لهذا العمل.

أما عن الإمبراطور قسطنطين حبيب المسيح، فكان يرافقه ملاك منير من الرب، وكان يقوده ويعرفه إرادة الله، ولم يفارقه أبداً إلى يوم مماته، وكان يوقظه كل يوم ويقيمہ للصلاة لله. ولم يحدث هذا لأى امبراطور آخر، ولا رؤية عجائب من السماء. فإن قسطنطين مات باراً شاكراً الرب ودخل الراحة، وله تذكار أبدى.

الفصل الثامن والسبعون

وبعد موت قسطنطين الكبير قسموا إمبراطوريته بين أبنائه الثلاثى كونستان، قسطنطين، كونستانس، وإقتسموها بالقرعة. فكان نصيب كونستانس آسيا وتسلم حكمها، وكان نصيب قسطنطين القسطنطينية. فأستقر فى مقر والده، أما كونستان فحكم روما عاصمة الامبراطورية الرومانية، ولكن نشأ العداء بين كونستان، وقسطنطين بسبب تقسيم الامبراطورية وتبعاتها، وكان كونستان هو الأصغر ووصل بهم العداء إلى استخدام الأسلحة فى الحرب، حتى مات قسطنطين فى المعركة. وأما كونستانس فحكم فى بيزنطة التى هى القسطنطينية، وخلال فترة حكمه ظهرت بدعة أريوس، فقبل بدعته وأصبح أريوسياً. وبعد إرتداده هذا، هاجم سابور ملك الفرس الامبراطورية الرومانية، واستمرت الحرب طويلاً بينهما،

وفى النهاية عقدوا صلحاً وأصبح هناك سلام وصداقة بين الامبراطورية الرومانية وفارس.

وبعد عودة كونستانس إلى بيزنطة، بنى جسراً على نهر بيرام فى سيسليا وهو بناء عجيب.

وحدث أيضاً فى خلال حكمه أن المدينة الشهيرة نيقية التى إشتهرت بالثلثمائة والثمانية عشر أسقفاً، قاست من زلزال مخيف بسماح من الله، لكى لا يستطيع أن يجمع الأريوسيين بها، ويفسدوا الايمان الأرثوذكسى المقدس، الذى وضع بواسطة أبائنا القديسين الثلثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين إجتمعوا بها سابقاً، فى عصر قسطنطين الكبير ذو الذكرى العطرة، إن غضب الله الآن هو الذى منع الأريوسيين من الاجتماع فيها.

ظهرت بعد ذلك إشارة الصليب المقدس فى السماء وفى وضوح النهار، فى أعلى المكان الذى صلب فيه ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وقبل وصول الانبا كيرلس مطران أورشليم، والمطارنة الذين كانوا يصحبونه. حينئذ كتب الأنبا كيرلس والمطارنة الذين معه، خطاباً إلى كونستانس بخصوص هذه الظاهرة العجيبة والمعجزة الكبرى التى حدثت.

وأما الامبراطور كونستان، فكان مليئاً بالغيرة بالنسبة لعقيدة والده، ومرتبطاً بأمانة بديانة الله، متشبهاً بإيمان أخيه، الذى مات فى الحرب، وكان يلوم أخوه الذى كان يحكم فى آسيا، لانه لم يحفظ الايمان الذى تسلمه من أبيه قسطنطين البار، وكان أخاه هذا قد أصدر عدة مراسيم ضد أثناسيوس الرسولى البطريك الاسكندري، وكأنه خلف والده على عرشه، لكى يرضى الهراطقة أى الأريوسيين، فكانت الكراهية والعداء، تفرق بين الاخوين الأباطرة كونستانس، وكونستان. ولم يكن سبهما موت أخيهما فقط، بل لأن كونستانس لم يتبع طريق أباه فى الفضيلة

والإيمان، في الوقت الذي كان القديس أثناسيوس بطريرك الاسكندرية قديساً يسلك في الحق، الذي يكرهه كونستانس الذي كان يغضب ربنا يسوع، وهذا جعل كونستان يزيد كراهية لأخيه.

بسبب هذا مات كونستان الذي عاش بحسب قلب الله، وهو ساخط على أخيه كونستانس، بسبب أفعاله المشينة. وبعد موته أرسل الامبراطور كونستانس، ضابطاً ومعه أمراً بقتل القديس أثناسيوس أمير الكنيسة الشهير، الذي كان حتى ذلك الوقت محمياً من كونستان ضد مكاييد أخيه الردئية، وخوفه من أخيه كان يخفي أفكاره الاجرامية. فبعد موت كونستان كشف عن أفكاره الدفينة، وأراد قتل البطريرك. ولكن يمين الرب العالية، حمت القديس أثناسيوس الذي هرب مختفياً.

وأما الضابط المرسل مع قواده ليقبض على أثناسيوس الرسول، فكان من أتباع ماني، فقام ضد المسيحيين يسبهم، حيث لم يكن الأريوسيين فقط هم الذين يقلقون الكنيسة، بل كان هناك المانيين، الذين أخذوا يضطهدون المسيحيين أيضاً، وكانوا يقومون بالثورات والمذابح ضدهم.

وبعد ذلك قام قائد روماني قوى، بثورة ضد مدينة روما يدعى ماجينيس فإستولى على الحكم. "في وقت غروب الشمس" (صحتها إستولى على امبراطورية الغرب كما يذكر سقراط). وبدون إذن من كونستانس مضى إلى أوربا، وقام بحرب ضد كونستانس وكان نتيجةها سقوط عدد كبير من الضحايا من الطرفين. ووقع ماجينيس المغتصب أخيراً ومات، وانتصر كونستانس وإستولى على كل أملاكه.

لكنه بعدما إنتصر لم يعط الشكر لله، مثل ما كان يفعله الأباطرة المسيحيين الذين سبقوه، فكان مرتبطاً بعقيدة الأريوسيين.

وجمع كونستان مجمعاً من الأساقفة المنشقين في ميلانو أى في ايطاليا، وهؤلاء المنشقين الذين رفضوا الايمان المستقيم وأنكروا ديانة الثالوث الأقدس. وأجبرهم

على كتابة حروم على أثناسيوس الرسول بطريك الاسكندرية من الأسرار المقدسة وكذا على بقية الأساقفة التابعين له. وها هي أسماء الذين نفاهم مع أثناسيوس الرسول:

— ليبير بطريك روما خليفة يوليوس

— بولان قائد الجول Gaules

— دنيس قائد إيطاليا

— لوسيفير قائد جزيرة سردينيا.

وعين أوجزنتيوس الأريوسي أسقفاً لاقليم إيطاليا. ونفى كونستانس أيضاً الشيخ الحليل وأب الاعتراف أوسيوس Osius مطران الغرب، وطرده أيضاً ونفى الآباء القديسين الذين حضروا مجمع نقيه عن كراسيهم. ولما جاء الامبراطور كونستانس إلى روما، جاءت النساء ترحوه بإعادة البطريك ليبير من المنفى، فاعاده إلى روما. ولكن بعد عودة البطريك ليبير، فإن فليكس التابع له كان قد إتصل بالأريوسيين، ونودي به بطريكاً بعد طرده سيده، لذلك لم يكن راضياً بإعادته، وعامله بجفاء وكبرياء وكعدو له. فطردوه من روما ونفوه أيضاً في الغرب.

وأرسل كونستانس غلليوس Gallus ابن أخيه من الشرق أثناء الليل. وكان غالليوس مسيحياً حقيقياً إذ كان قد حارب ماجينيس وقتله. ثم عاد بعد ذلك إلى القسطنطينية، وعينه كونستانس إمبراطوراً لروما وأرسله ليقم فيها.

وبعد وصوله غادر جوليان أخوه ذو السمعة السيئة إقليم بيشنيا، وذهب إلى القسطنطينية وظل إلى جوار الامبراطور كونستانس، لكن كونستانس كان قد أمر بقتل العديد من أهله. مما جعل جوليان يخشى أن يفترى عليه أيضاً وهو بجوار الامبراطور.

ولو أن جوليان من قبل قد أقام في كنيسة نيقوميديا بصفة قارئ وفي الوقت نفسه كان محارباً شجاعاً إلا أنه كان مضطرباً بسبب ما حدث من الوسائس من جهة العقيدة المسيحية.

وكان جالوس يحكم في روما بإرادة الإمبراطور كونستانس، الذي كان هو زوج أخته، وكان يحبه، لكن لم يعيش إلا فترة وجيزة ومات.

ولكننا نرى أن جوليان بعد ذلك انضم لجيوش الرومان، وكف عن قراءة الكتب المقدسة، وترك شعر رأسه يكبر، وأصبح قائداً كبيراً، ثم عين امبراطوراً في أوربا، طبقاً للتقاليد المسيحية. بأمر الامبراطور كونستانس، لكنه لم ينتظر حتى يوضع التاج الامبراطوري على رأسه طبقاً للتقاليد.

ثم ضل جوليان بسبب الايحاءات والسحرة، وأصبح خادماً للمقدسات الخاطئة، متطلعاً للمراتب العالمية، وأوجد عداوة بينه وبين الامبراطور كونستانس.

وبدأ يحول المؤسسات المقدسة إلى مساكن للشياطين ومعابد للأوثان. وكان الوثنيون يضطهدون المسيحيين المساكين، وكانوا يذلونهم بالسخرية والاستهزاء، ويجردونهم من أملاكهم ويقتلونهم، ويسومونهم بكل أنواع العذاب، والاساءة ليس لمدة قصيرة بل لزمان طويل، كانوا يزأرون عليهم كالحوانات المتوحشة، وحدث في ذلك الوقت أن أحضر عابدوا الأوثان خطباً لكي يحرقوا جسد القديس يوحنا المعمدان، لكن تدخل ربنا يسوع المسيح أفسد خطتهم، فهرب هؤلاء الناس الأشرار منزوعين من رؤيا مخيفة.

وكان حاضراً في هذا المشهد بعض من شعب الاسكندرية فحملوه وسلموه سراً الى القديس اثناسيوس البطريرك. وقبل هرب القديس اثناسيوس سلمه إلى قاضياً من كبار سكان المدينة وإئتمنه عليه، وهذا وضعه في منزله.

وقد عرف هذا السر بعض الكهنة، والقديس بطريرك ثاؤفيلس الثالث بعد الناسيوس، والذي كان موجوداً آنذاك عند نقل جسد القديس يوحنا إلى الاسكندرية، وكان قارئاً وابصاليّياً، وخلف القديس أثناسيوس البطريرك الأنبا بطرس، الذي خلفه أيضاً أخوه تيموثاوس الأكتمونى أى المسكين، وخلف هذا الأخير البطريرك ثاؤفيلس الذى هدم المعبد المسمى (....) وحوله إلى كنيسة. وهى المبنى الكبير والفخيم ذو الأبهة. وقد كرسها البطريرك ثيؤفيلس بإحتفال عظيم، لتكون موضعاً لجسد القديس يوحنا المعمدان.

وأمر البطريرك بوضع جسد القديس يوحنا فى قبر شيد خصيصاً وسط الكنيسة ورتب إحتفالاً كبيراً بهذه المناسبة، وصار شعب المدينة فخورين بطريركهم وغمروه بالمديح والثناء.

الفصل التاسع والسبعون

يحكى عن القديس ثاؤفيلس بطريرك الاسكندرية، أنه ولد من أبوين مسيحيين فى مدينة الفرعون منفيس. وكانت تسمى أركاديا فيما مضى.

وتيمم منذ طفولته الناعمة مع اخته الصغيرة، وكانت له عبدة أثيوبية كانت ملكاً لوالديه. وذات يوم عند بزوغ الفجر، أخذت هذه العبدة الطفلين من يدهما، وفادتهما إلى معبد المقدسات النجسة، وهو معبد أרטاميس وأبللو، لكى تجعلهما يعبدان بطقوس الوثنيين الخاطئة.

وحدث عندما دخلا هذان الطفلان إلى المعبد، أن الأوثان وقعت على الأرض ونهشمت. عندئذ خشيت العبدة من إنتقام كهنة الأوثان المرعبة، فهربت بالطفلين ومضت بهما إلى (نقيوس).

وهناك فى نقيوس خشيت أن ينكشف أمرهم، فسلموهم إلى كهنة الأوثان، فهربت بالطفلين إلى مدينة الاسكندرية، منقادة بذلك بإلهام إلهى مقدس.

حيث أنها نالت عفواً من الله، وندمت وأخذت الطفلين وأدخلتهما إلى الكنيسة ليتعلما العبادات المقدسة التي للمسيحيين، وكشف الله في الحال للأب القديس أثناسيوس بطريرك الاسكندرية حال دخولهم الكنيسة، حيث وقفوا في المكان الذي بالقرب من المنبر، فأمر القديس أثناسيوس بالتحفظ على هؤلاء الثلاثة، الذين حضروا حتى نهاية القداس. وبعدها إقتادوهم إليه، فاستجوب العبد بهذه الكلمات: لماذا تصرفت هكذا؟ لماذا لم تساعدك آهتك الخالية من العقل؟ بل بالحرى على العكس عندما رأت أولاد الكنيسة، وقعت على الأرض وتكسرت؟! لذلك فمنذ الآن هذان الابنان ملكي.

فأندهشت العبد من كلام القديس! سيما لما رأت أنه عرف سر ما حدث في المعبد، فتخرجت ورأت أنها لم تقدر أن تخفى ما فعلته، فقامت وخرت عند قدميه، وطلبت منه الصفح، ثم طلبت أن يعمدها. فعمدها القديس فاستنارت بالنعمة وأصبحت شخصاً جديداً.

ثم أرسل الأب البطريرك البنت الصغيرة إلى دير العذارى لتحفظ فيه إلى حين زواجها، وبعدها تزوجت رجلاً من المحلة (وهي مدينة شمال مصر كانت تسمى قديماً "ديدوسيا") وانجبت القديس (كيرلس) الكوكب العالى الذى أضاء فى كل مكان بتعاليمه، وهو اللابس الروح القدس وأصبح بعد القديس ثاؤفيلس خاله بطريركاً.

أما القديس ثاؤفيلس، فحلقوا رأسه وجعلوه مع الأغنسطسين، وتربى بعناية كما يتربى القديسين، حتى كبر وأصبح شاباً حسب قلب الله، وتعلم كل كتب الكنيسة الموحاة من الله، وكان متقناً كل نواهيها.

وبعد ما نال رتبة الشماسية، إمتلأ غيرة لديانة ربنا يسوع المسيح وسلك بقداسة وبر، تمنطق بالكرامة، وإرتدى الوقار الذى للرتبة الكهنوتية العظمى، فجلس على عرش مار مرقس الإنجيلي فى مدينة الاسكندرية عندما سيم بطريركاً. فأثار كل

المدينة بشعلة إيمانه المقدس، وإستطاع أن يجنب كل بلاد مصر، من عقيدة الأوثان المردولة. فلم يسمح بأى عابد للتماثيل أن يكون له إقامة، وهكذا كان قد تنبأ عنه القديس أناسيوس الرسولى.

الفصل الثمانون

بدأ يوليوس البائس فى تشييد معبداً لليهود فى أورشليم، والذي كان قد هدمه الرومان، وقدم فيه القرابين، لأنه كان محباً لسفك الدماء، لكن ربنا يسوع المسيح له المجد، أبطل كل مساعيه ففشل كل ما كان يشرع فيه وما كان يأمر به.

وأن سابور ملك الفرس، الذى كان مسالماً، لذلك كان يدفع الجزية للامبراطور فسلطين محب الله. لكنه قام بحملة مخاربة الرومان. فى هذا العصر الذى ختم فيه القديس الشهيد حياته المقدسة.

فحدث أن الامبراطور جوليان عدو الله، مصطحباً أتباعه من السحرة والمخادعين، بعدما قدموا الذبائح للآلهة فى مدينة تدعى كاسباس، الواقعة على أرض الطاكية على بعد ستة أميال منها، والتي كان بها تمثال أبوللو، تقدم بالسير بجيشه الرومانى لمهاجمة الفرس، فمر بالقرب من مكان منعزل، لكنه وجد فيه كثير من الناس مجتمعين: رجالاً، ونساء، وأطفال. إذ كان كثير من المرضى ينالون شفاءهم بعلافة القديس دوميس خادم الله.

فسأل الامبراطور: لما كل هذا الجمع؟ فأجابوه: هنا راهب يعمل المعجزات ويشفى المرضى. لذلك جاء كل هؤلاء لينالوا البركة والشفاء على يديه وهم فيسبحون.

حينئذ استشاط جوليان غضباً، لكنه أرسل جندياً إلى القديس دوميس يقول له: لقد ألفت فى هذا الكهف لترضى ربك، فلماذا إذن تحاول إرضاء الناس الآن، ثم قال له بلهجة التهديد: لماذا لا تحتفى؟ فأجاب القديس: لقد سلمت روحي وجسدى

بين يدي إله السماء الاله الحقيقي يسوع المسيح. وأنا لى سنين عديدة أقيم فى هذا الكهف. أما هذا الجمع الكثير، فقد أتى بإيمان إلى هذا المكان، وأنا لايمكننى أن أطرده أحداً.

فلدى سماع الامبراطور لهذه الكلمات، حتى أمر بغيظ أن يسدوا باب المغارة على القديس، وظل مغلقاً حتى تنيح القديس الشيخ فيها! هكذا انتهت حياته المقدسة فى الثالث والعشرين من شهر Hamle فنال الإكليل الغير المضمحل فى ٢٣ مارس، وسجلت حياته ورسمت أيقونه مباركة له.

ولم يمض وقتاً طويلاً حتى أصيب هذا الامبراطور المستبد جوليان بعقاب من الله. فحين مضى لمحاربة الفرس عابدى الاوثان مثله، مضى إلى هناك دون عوده، فلم يبصر الامبراطورية الرومانية ثانية، هذا بعكس ما أعلن له المشعوذين بقولهم: "اجتمعنا نحن الآلهة، وقت دخولك النهر لمساعدتك".

فخضع هذا البائس بكلامهم، ولم يستطع أن يقول شىء أمام كلامهم اللين المخادع.

وكانوا يسمون ذلك النهر "نهر النار" بسبب وجود الحيوانات المقدسة فيه، وظل هذا الاسم حتى الآن.

وكان جوليان ملتصقا بالشر، لدرجة دعى نفسه بالمقاوم لكلمة الله فاصبح عدواً لله الخالق له المجد، فوضع رجاؤه فى العبادات الخاطئة، وكان يستشير الجن والشياطين، وكانوا هم بدورهم يضلوه بمشوراتهم الباطلة، مع انهم كانوا عاجزين عن إنقاذه، بل كانوا يربكون عقله بأفكار مشوشة.

فصار عدواً لربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذى بذل دمه لأجل جميع الناس، وهو الذى ثار لخدمته المسيحيين من أيدي أعدائهم.

لقد سفك جوليان دم عدد كبير من المسيحيين خلال حكمه، ونظم اضطهاداً عديداً ضد كل الذين يذكرون اسم يسوع.

وبينما كان هذا المخادع يستعد لمحاربة الفرس، جاءه الانتقام الإلهي من ربنا يسوع المسيح، إذ قُتل بيد خادمه مار كوريوس الشهيد.

وقد رأى باسيليوس اللاهوتي أسقف سيزاريه الكبادوكي حلمًا، في الليلة التي فيها قتل هذا المستبد، فرأى السموات مفتوحة وربنا يسوع المسيح جالساً على عرش مجده، ثم نادى بصوت عظيم "يامار كوريوس سوف تقتل جوليان عدو المؤمنين" وكان مار كوريوس واقفاً يرتدى درعاً لامعاً، ومزيناً بالورود، ولدى سماعه أمر ربنا يسوع، اختفى لحظة، ثم ظهر برهة، واختفى للمرة الثانية.

ولما ظهر للمرة الثالثة قال: لقد قتلت الامبراطور جوليان كما أمرت يا سيدي، ومات !! .

فاستيقظ الأب الأسقف مرعوباً، خاصة أن جوليان كان يكرم القديس باسيليوس لأنهما كانا صديقين حميمين منذ طفولتهما، وتعلما معاً، وكان باسيليوس لا يكف عن إرسال الخطابات لصديقه، ليحثه على ترك الخطية، ولكن جوليان لم يستمع، ولم يقبل نصائحه.

ثم دعى الأنبا باسيليوس كهنته، وبعض المؤمنين المتدينين لصلاة نصف الليل، بعد انتهاء الخدمة في الكنيسة، وبعدها قص عليهم الحلم الذي رآه، ثم ختم قوله بهذه العبارة "هل حقاً يكون جوليان قد مات؟! فإضطرب الاكليروس والشعب من هذا الباء، وطلبوا من الأب الأسقف إن يكتف الأمر حتى يصبح الخبر أكيداً.

لكن رجل الله لم يصمت، بل على العكس أشاع الخبر، ولم يخف شيئاً، لأنه وثق فيما أعلنه له ربنا يسوع المسيح.

ولم يمض الوقت الطويل حتى أذيع في كل الأقاليم نبأ موت جوليان الجبار، الذي أنهى الله حياته على يد القديس الشهيد مارقوريوس، فأصبحت رؤيا القديس باسيليوس حقيقة!

مات أذاً هذا الجبار الذي كان يقود جيشه الى الدمار، ويعرضه لكل انواع الآلام.

حدث مرة أنه أمر بقطع أنوف اثنين من الفرس اللذان كانا يقومان بمقام المرشدين للجيش، لكنهما بمكر قاداه في الصحراء والجبال حتى تاه في أماكن خالية من الماء، قاصداً ملاقات الفرس، فهلك الجنود الرومان في تلك البقاع من الجوع والعطش والتعب. وهكذا استخدم الفرس المكر والخديعة حتى قادوا جيش الرومان إلى الدمار.

ولم يفهم جوليان مما حدث أنه عقاب ظاهر من الله، بل قضى كل حياته البالغة نحو أربعة وثمانون سنة كلها في الأعمال الاجرامية.

بعد موت جوليان اجتمعت كل الفرق الرومانية، لتعلن عن اختيار امبراطوراً جديداً. وقد وفقهم الله بمعونته على اختيار (جوفيان) الذي كان مسيحياً أرثوذكسياً، وخادماً تقياً غيوراً فيمالله. ولم يقبل في بادئ أمره أن يكون امبراطوراً، غير انه اختير رغماً عن إرادته، إذ كان برتبة جنرال، وكان كبير القواد.

وقد نودى به امبراطوراً، وحصل على تاج الامبراطورية. وقبلما يمارس جوفيان عمله، صعد على مكان مرتفع، ووجه خطابه الى الشعب، والجيش بصوت عال قائلاً: "إن كنتم تريدونني امبراطوراً عليكم، يجب عليكم أن تكونوا مسيحيين مثلي، أي آمنوا بيسوع المسيح، واتركوا عنكم الآلهة المزيفة، وصيروا اعداء لها.

عندئذ صاح الشعب والجيش معاً. نحن مسيحيون. ومن الآن فصاعداً نحن عبدة
يسوع المسيح ملكنا، ونكرم صليبه المجيد. ورفعوا هتافاتهم أمام الامبراطور، حيث
غصروه بالمدائح.

وعندما علم الفرس بموت جوليان، وتعين جوفيان التقى خلفاً له، أرسلوا له
سفارة لكي يتعاهدوا معه على إيقاف الخصومة والحرب، طالبين السلام.

فاسقبلهم الامبراطور جوفيان بسرور، وصارت هناك صداقة بين الرومان
والفرس، واستتب السلام.

وبعد ذلك وافق الفرس على أن يدفعوا جزية لجوفيان، وهو بدوره منحهم
القبضاً للجزية لمدة سنة.

ولما كان جوليان سابقه الذي مات، قد هدم، وخرب عاصمتهم تماماً، أمر
جوفيان ببناء مدينة أخرى لهم، خارج حدود امبراطوريتهم، ودعا هذه المدينة
(أميد). وأحاط المدينة بأسوار متينة، وجعل لها حصون، وأسكنها شعباً كثير العدد،
فأصبحت تضارع المدينة القديمة، التي كان جوليان الجبار قد خربها.

وقد طلب حاكم هذه المدينة بإلحاح من الامبراطور جوفيان ان يسمى هذه
المدينة باسم روما، لكن جوفيان رفض، بسبب السلام والصداقة التي صارت قائمة
بين الرومان والفرس في ذلك الوقت.

الفصل الواحد والثمانون

غادر الامبراطور المسيحي جوفيان بلاد فارس، بعدما انتهت الحرب، وأرجع
الجنود الذين هربوا من الموت سالمين معافين. أما الذين وجدتهم يتبعون جوليان الجبار
بقلوبهم ونياتهم السيئة، أمر بإبادتهم فوراً.

ثم أمر بفتح كنائس القسطنطينية، وغلق معابد الأوثان وأرجع للمسيحيين البلاد التي كان قد اغتصبها جوليان منهم، كما عين في كل أقاليمه حكاماً مسيحيين.

وبعدما هدم معابد الأوثان، انتقص عدد الوثنيين. وحرّم أيضاً مذهب الآريوسيين، الذين كانوا أعداء للمسيح، لأن الامبراطور كان أرثوذكسياً بالحق، وكان يعبد الثالوث الأقدس الواحد، واهب الكل حياة.

كانت مآثر أفعاله الحسنة، وإيمانه الأرثوذكسي الراسخ، يسطع مثل ضوء الشمس، وكان مملوءاً بالفضائل، مسرفاً بكرم في عطاياه لكل أحد في عصره.

وقد كتب جوفيان رسالة إلى كل أقاليم الامبراطورية الرومانية جاء فيها: "من جوفيان الخائف الله، الامبراطور العظيم سيد الأرض، إلى كل مسيحي امبراطوريتي. أوصيكم بالله، أفرح معكم بخصوص الكنيسة المقدسة، التي أصبحت وسط البلاد مثل السرة وسط البطن لقد انتصرت الكنيسة على كل الذين قاوموها انتصاراً مبهرًا.

بعد ما نالت من التعذيب والايلام على يد الامبراطور السابق جوليان، والذي أمر بغلق الكنائس.

إنني أمر بإعادة فتحها، وأن يعاد لها سلامها، حتى يستطيع رجال الكهنوت المقدس أن يجتمعوا ويتباحثوا فيها، ويرفعوا صلواتهم إلى السماء، فيتقبلها الله بنعمته.

فبادروا إذن بفتحها ليتيسر أن تؤدي خدماتها، ولتكرم أساقفتها، وليقبل إلى الكنائس كل جيش وشعب روما، لأنها وهبت لهم من قبل ربنا الطويل الأناة والكثير الرأفة والتحنن، لكي يمارسوا الصلاة والتضرع بحرارة قوية".

ووجه جوفيان أيضاً رسالة أخرى إلى القديس أثناسيوس الرسولي، بطريرك

امن جوفيان الامبراطور الى القديس اثناسيوس حبيب الله. نحن نقدر شخصك، وسلوكك الحكيم، وعلاقاتك القوية مع الأباطرة، وفضائلك المسيحية، ومجهوداتك السبيلة لقضية إيمان ربنا يسوع المسيح له المجد. ونحن نطلب منك يا معلمنا المبجل والذي تحمل الآلام الكثيرة، ولم تخضع لحظة لأولئك الذين اضطهدوك، ولم تتقهقر أمام المخاطر التي انصبت عليك، بل انتصرت على الكراهية والغضب، ولم تتزعزع بهذا أمثلة، في إتباعك خطوات الايمان الارثوذكسي الصحيح حتى النهاية، تاركاً مثال حياتك البطولية لخلفائك الذين قلدهم إيمانك القوى وفضيلتك.

نحن نطلب منك إذن العوده إلى ولايتنا لتستأنف تعاليمك النافعة، وترعى كنيسة الله، وتحكم وتسوس شعب المسيح.

وأرجوا أن ترفع صلواتك المقبولة أمام المسيح لأجلنا، ولأجل امبراطوريتنا، حتى نحصل على السلام بفضل صلواتك. وانا نؤمن ونثق أن نحصل على معونة من الله العلي، عندما نطلب ذلك من فمك النقي المقدس، ولأن كلماتك موحاه من الروح القدس ونحن نبعث إليك بهذه الرسالة نحثك على إنارة الشعب بنور المسيح، كما وان تزيل عبادة الأوثان التي يمقتها الله، كما وان تبيد هرطقة الأريوسيين الذين طردناهم، فنحصل على سلام الكنيسة بصلواتكم".

وبعدما قرأ القديس اثناسيوس الرسول الشعلة المضئية للمسكونة، هذه الرسالة، استدعى الاساقفة القديسين وعلماء البيعة وعقد مجمعاً.

ثم كتب رسالتين مجموعتين إحداهما عن الله الكلمة أحد أقانيم الثالوث الالهدس، والآخرى عن أحكام يسوع المسيح.

ثم وجه رسالة إلى القديس باسيليوس، الذي كان مهتماً بالبحث في أحكام الله كان هذا مضمونها.



"لقد انضم تماماً الامبراطور جوفيان البار الى العقيدة الارثوذكسية بأكثر همة، هذه العقيدة التي أقرها مجمع نيقية، فلتفرح أنت معنا إذن، لأن لنا امبراطوراً أرثوذكسياً ثبت العقيدة الحقّة للثالوث الأقدس".

وقد ختم الامبراطور، جوفيان حياته بتقوى وسلام، صانعاً ما يرضى الله، وحينما كان متجها الى بيزنطة، أصيب بمرض، وبعدما عبر كيليكيا وغلاطية، جاء الى مدينة تدعى (ديدستانا) حيث مات هناك. ولم يكن العالم مستحقاً أن يملك امبراطوراً نظيره، إذ كان طيباً تقياً، نقي القلب، رحوماً، متواضعاً ومسيحياً أرثوذكسياً.

الفصل الثانى والثمانون

يعد موت جوفيان، صار هناك حزن شديد بين الضباط بسبب موته، وكان حاضراً معهم فالانتينيان ينتحب معهم، وبينما هم منشغلون باختيار امبراطوراً آخر، تقدم (سالوست) القائد العظيم، الذى كان يتمتع بسلطة كبيرة بين الضباط، وكان يرأس الجيش، وأبدى رأيه قائلاً: "فالانتينيان هو الأفضل فهو أصلح امبراطور يناسبنا، وكان فيما مضى جنرالاً فى الجيش ولكن جوليان قد نفاه بسبب إيمانه الأرثوذكسى الصحيح".

فوافق ضباط الجيش على رأى سالوست، ونودى بفالانتينيان امبراطوراً، وأعلن ذلك فى كل الأقاليم بصوت المنادى العام.

قائلاً: "فالانتينيان الرجل العادل المسيحي، والأمين فى قوله، والمخلص قد إعتلى

العرش"

وبعدما ملك فالانتينيان، قام بتعيين سالوست رئيساً للوزراء وقائداً للجيش، وكان سالوست يطبق العدالة خلال ممارسته لوظيفته، وينشر الحق فى كل الأقاليم،

وفرّح به الامبراطور، لأنه رأى سيادة العدل في مملكته. ثم عين فالانتيان (فالنس) أخاه امبراطوراً، وأرسله الى القسطنطينية، بينما هو أخذ حكم الغرب واستقر في روما.

وكان كثيرين من قضاة الغرب يستغلون سلطتهم، ويقترفون أعمالاً لاتليق، متلبين الرشوة.

حدث أن إقترف رودان، وهو ضابط في البلاط عملية نصب تجاه أرملة، إذا استولى على أموالها. فذهبت هذه الأرملة وشكت أمرها للامبراطور، الذي أمر رودان بشدة، إرجاع كل ممتلكاتها إليها.

ومنذ ذلك الوقت وكان الامبراطور يزداد إعتباراً واحتراماً من كل ضباطه وجيشه وكل شعبه، لأنه كان يكره أعمال الخداع، وكان يحكم طبقاً للعدالة والقانون. ولم يكن يستثن أحداً قط حتى لو كانت زوجته (مارينا)، التي كانت قد اشتهرت حديقة من امرأة بستانية، فقد راعى الوسطاء مراعاة خاصة في ثنها بالنسبة للامبراطورة على حساب صاحبها، فلم تدفع الامبراطورة لها القيمة الحقيقية ولما سمع الامبراطور لم يعفها من ذلك، فأرسل رجالاً خائفين الله لكي يثمنوا هذه الحديقة بدقة، مستحلفاً إياهم رسمياً وقدموا له تقريراً غاية في الدقة، حيث وجدوا أن الامبراطورة قد حملت صاحبها خسارة مهولة، فلم تدفع الا جزءاً ضئيلاً من ثمنها. فغضب الامبراطور جداً من الامبراطورة لدرجة أن طردها من القصر، وهجرها، مبعداً له زوجة أخرى غيرها، تدعى جوستين، حيث قضى معها بقية حياته. أما الزوجة الأولى فنفاها عن المدينة، وأرجع الحديقة الى صاحبها.

أما ابنه الذي أنجبته من الزوجة القديمة، والذي أسماه جراسيان فرفعه الى درجة امبراطور، لأنه وجد منه أعمالاً تستحق الشاء.

ثم مرض فالانتينيان ومات فى قصر يدعى "وطن" ثابتاً على إيمانه وعقيدة
الثالوث الأقدس.

كان خليفته هو أخوه فالنس الذى كان قبلاً مسيحياً مستقيماً، لكنه ما لبث أن
إتبع عقيدة الآريوسيين المردولة، فأصبح يضطهد الأرثوذكسين، ووهب كنائسهم
للهرطقة الأشرار، وكان يصادر أملاك سكان بيزنطة والمدن الأخرى ظلماً.

وحدث فى مدينة نيقية، التى اجتمع فيها المجمع المقدس، أن ارتفع ماء البحر
حتى غطى المدينة بكل مساكنها وذلك فى أيام حكم هذا الامبراطور وكان يحكم
مدينة الاسكندرية عاصمة مصر فى ذلك الحين، رجل يدعى (تاثيان) وهو الذى شيد
بوابتين عظيمتين من الحجارة، فى مكان يسمى بروشيوم Bruchium. حيث يمر
من خلالها النهر الكبير. كما زود مصر بكثير من الاستحكامات.

فى ذلك الوقت أيضاً حدثت معجزة بواسطة القديس أثناسيوس الرسولى حامى
الايمان، وبطريك الاسكندرية.

قد طغت أمواج البحر على المدينة، وتوغلت فيها مهددة بغرقها، حتى الى المكان
المسمى هيباستاديون Heptastadion! فصحب القديس كهنته ومضى الى
شاطئ البحر، ممسكاً بالكتاب المقدس بيده، ثم رفع يديه الى السماء وصلى "قائلاً"
يا سيدى الاله الذى لا تخلف وعودك أبداً، أنت الذى وعدت نوحاً بعد الطوفان، الا
تجلب طوفاناً على الأرض مرة أخرى ...".

وبعدما انتهى القديس من صلاته، انحسرت مياه البحر، رجع الى حدوده،
وسكن غضب الله، وهكذا انقذت المدينة، بفضل صلاة القديس أثناسيوس
الرسولى، والنجم المضى.

الفصل الثالث والثمانون

هناك أباطرة عظام مشهورين أمثال، جراسيان، وثيودسيوس كانوا مملوئين غيرة للخير، وخدام لله.

وقد خلص أحدهما المؤمنين القديسين من القيود التي كبلهم بها الامبراطور فالس، وأبطل اضهاد المسيحيين.

وأما الآخر فكان يحب الله من كل القلب بحرارة، وقد رد للمؤمنين كنائسهم. وهدم عبادة الاوثان، وحرم مذهب الاريوسيين الأشرار، وأقر وثبت الايمان الأرثوذكسى الحق خالياً من الانحرافات . وفى ذلك الحين جاء القديس اغريغوريوس الناطق بالالهيات الى القسطنطينية وجاء بكل حرية ليثبت الكنائس، بعدما كان مجبراً على الهرب والاختباء من مكان لآخر ومن مدينة لأخرى.

وقد شيد ثيودسيوس كنيسة مقدسة عبارة عن بناء رائع بمدينة القسطنطينية، بعدما طرد منها أودوكسيوس (مقدونيوس) عدو الروح القدس. ثم أرسل رسالة الى باسيليوس أسقف سيزاريه الكبادوكى، وإلى اغريغوريوس أسقف نيقصص وإلى امفيلوشيوس أسقف ايقونية ، والفيلسوف اللاهوتى، وأوصاهم أن يشتوا الكنيسة على الايمان الحق ويظهروا ما عظمة الروح القدس وحقيقته.

ونرجع إلى قصر الامبراطور ثيودسيوس صديق الله. حدث بينما كان ذاهباً إلى برنطة بصحبة جراسيان الامبراطور الورع أن رأى حلماء، وكان ميليس بطريرك انطاكية (ملاطيوس) يضع على رأسه تاجاً امبراطورياً، بارادة الأمراء، وكان هناك رجلاً أريوسيا يقيم خارج المدينة، وعندما وصل إمفيلوشيوس إلى البلاط الامبراطورى، وجد ثيودسيوس وولديه أركاديوس وأنوريوس جلوساً على عرش الامراطورية، لأن ثيودسيوس جعل والديه أباطرة فى حياته.

ولما تقدم الاسقف نحوهم قدم التحية لثيودسيوس، ولكنه لم يحيى أبناءه! حينئذ جرح ثيودسيوس في كرامته، لأن الأسقف لم يحيى أبناءه. وعندما لاحظ الأسقف أن الامبراطور لم يسر به، قال له: أعلم أيها الامبراطور، أنه هكذا يتصرف الهراطقة الكفار، الذين لا يحبون الابن، والروح القدس الثالث الواحد مع الآب في الجوهر، وأنت لم تطردهم من ولايتك!

وعندما سمع الامبراطور هذا الكلام إمتنع، وأقر بأن هذا الأسقف على حق، وأنه من أفضل القديسين المؤمنين، والتزم بالصمت. ثم أعلن حماسه لقضية الأرثوذكسية، بأن أصدر قانوناً في الحال يمنع بقاء أى هرطوقي على أرض الامبراطورية الرومانية، ولا في النجوع أو القرى أو الحقول.

وأثناء إقامة الامبراطور ثيودسيوس في آسيا، ظهر مغتصب يدعى مكسيم، وكان مواطناً من إقليم بريطانيا.

هذا قام على جراسيان الامبراطور الورع وقتله، بعدما نصب له فخاً، ثم إستولى على ولايته بالقوة. وجعل إقامته في روما.

أما فالنتينيان أخو جراسيان فلجأ إلى تسالونيكي مغتاضاً وكان مكسيم جباراً ولا يهتم فيما لله، بل كان أريوسياً. ثم ظهر شخص آخر يدعى أوجين، وكان يعمل طبيباً وثنياً.

وكان يضطهد خدام المسيح، ويمارس أمور السحر والشعوذة كأنها شيء عادى. قام هذا الرجل بمساندة الجيش، فإستولى على ولايات فالنتينيان وأمر بقتله بتهمة الخيانة.

ولما علم ثيودسيوس بهذه الأحداث، جمع جيشاً عظيماً لمقاتله هذين المغتصبين (مكسيم، وأوجاديوس) وقتلها بمعونة وارشاد ربنا يسوع المسيح الذي كا يخدمه.

هكذا أخذ ثيودسيوس بثأر الامبراطورين جراسيان، وفالينتيان، واستولى على الامبراطورية الرومانية بأكملها، وأخضعها تحت سلطانه. ثم وهب الحرية للمؤمنين الأرثوذكس في سائر امبراطوريته، وطرد الأريوسيين الكفار.

وجمع مجعاً بالقسطنطينية نحو مائة وخمسون أسقفاً قديساً، ليحارب البدع والهرطقات في كل إقليم الامبراطورية، وأبرز عقيدة الله الواحد الثالث الأقانيم، وثبت الايمان الارثوذكسى.

وحيث أن الآباء الأساقفة اجتمعوا برأى واحد، وكانوا ممثلين من الروح القدس، كاملين في أفكارهم وكلماتهم وأعمالهم، لذلك ساد السلام كل ربوع الكنيسة، فاغتاظ الشيطان عندما رأى ذلك، واجتهد في تمزيق وتشتيت أعضاء الجسد الواحد أى الكنيسة المقدسة.

عندما ذهب إغريغوريوس اللاهوتى لحضور الجمع المسكونى، وكان قائماً بمدينة القسطنطينية ينيرها بتعاليمه، لكن البابا ثيموثاوس بطريرك الاسكندرية، حثه بأسلوب هادىء ملائكى أن يترك مدينة الامبراطورية (القسطنطينية)، ويرجع إلى مقر كرسيه، وإيبارشيته القديمة في نيزيانزة، لكي يرعاها ويسوسها، لأن القانون الكنسى لايسمح للإسقف أن يترك كنيسته لو كانت فقيرة لكي يشغل كنيسة أخرى كبيرة وغنية!

وأوضح الأب البطريرك أن هذا العمل منافيا لقانون الآباء. لكن الآباء أساقفة الشرق الحاضرون معهم والذين سمعوا ما جرى من حديث، لم يتفقوا مع بطريرك الاسكندرية، هذا بجانب أنهم اختلفوا أيضا في موضوع آخر، وذلك لأنهم اعتبروا ان البابا ثيموثاوس البطريرك إدعى لنفسه حق تعيين بطريرك القسطنطينية (مكسيم) الذى كان رجلاً فاضلاً مكرماً، قاسى كثير من الشدائد والاضطهادات من الأريوسيين. وكان هناك خلاف بين الأساقفة الشرقيين والمصريين.

وقد تدخل اغريغوريوس، وكان وسيطاً فأوجد الاتحاد بينهم. أما مكسيم الذى رسم فى القسطنطينية بدون رأى الأساقفة فاستقر بالمدينة، مما جعل إغريغوريوس يترك مدينة الامبراطورية حسب رأى كل الأساقفة، ويرجع الى ابيارشيته القديمة. ولم يكن اغريغوريوس يهتم بأمور العالم، إذ كان قلبه راسخاً كالصخرة فلم يتأثر لما حدث. ولكن حزن عليه كل شعب القسطنطينية لأنه كان قد أنقذ المدينة من السقوط فى عقيدة الأريوسيين.

ثم قاموا على مكسيم وأخرجوه من المدينة، وكل الأساقفة الذين كانوا تحت رئاسته. وأعادوه الى الدير الذى كان يرأسه من قبل.

وبعد ذلك اختاروا رجلاً حكيماً وورعاً يدعى نكتاريوس، من عائلة كبيرة من مدينة القسطنطينية، ورشحوه للبطريركية بحسب رأى المائة والخمسون أسقفا الذين كانوا مجتمعين بالمدينة وأقاموه رغماً عنه بطريركاً على المدينة، وكان كل الشعب معجبين به. وبعد رسامته، اجتهد فى محاربة الأريوسيين، مدافعاً بغيره قوية عن الايمان الأرثوذكسى.

وسرعان ما أستتب الأمر، وعادت الوحدة الى صفوف كل الجمع، فعاد الآباء الأساقفة الى أقاليمهم وهم سعداء.

أما ابليس عدو جنسنا، فلم يكف عن إثارة الفتن والاضطرابات ضد البطريرك نكتاريوس.

وحدث أن قام الامبراطور ثيودوسيوس، صديق الله، على رأس جيش كثير العدد، ليحارب المعتصب مكسيم الأريوسى، الذى كان يقيم عند ميلان، وقبلما يشتبك الجيشان معاً أو حتى يلتقيا وجها لوجه، قام الأريوسيين بنشر أخبار كاذبة فى مدينة بيزنطة، وهى أن الامبراطور ثيودوسيوس، قد هزم فى المعركة، وأن كل جيشه أبيد، فأصبح المسيحيون الأرثوذكس فى خوف ورعب.

وبعض الأرثوذكس خوفهم استسلموا للأريوسيين، الذين فى شرهم وثورتهم اشعلوا النيران فى مقر البطريك نكتوريوس. ولما علم الامبراطور ثيودسيوس، صديق الله بإساءاتهم، هاجم مكسيم المعتصب بجيش كبير، وقتله.

فى ذلك الحين شيد البطريك القديس ثاوفيلس فى الاسكندرية، كنيسة رائعة، وأسمّاها باسم الامبراطور ثيودسيوس، وكنيسة أخرى اسمّاها على اسم ابنه أركاديوس.

وهناك معبد بمدينة سيرايس، كان البابا ثاوفيلس قد حوله إلى كنيسة، فكرسها باسم أنوريوس ابن ثيودسيوس الثانى وهذه الكنيسة الأخيرة، كانت تقع فى مواجهة كنيسة القديس بطرس خاتم الشهداء، وكانت تسمى أيضا كنيسة الشهداء القديسين قزمان ودميان واخوتهم.

عاش المسيحيون إذن تحت حكم الامبراطور ثيودسيوس فى سلام وقام هذا الامبراطور بتنفيذ عدداً من المنشآت العظيمة فى كل نجوع مدينة أنطاكية. وأنشأ سوراً جديداً يربط الجبل بقلعة الامبراطور يبير الأول، كما أمر بإقامة أسواراً حول الحقول والحدائق التى كانت بلا سور.

حدث بعد ذلك حوادث عصيان، وتمرد وفوضى فى مدينة تسالونيكي، سببها وجود الأريوسيين. وقامت معارك بين الشعب والضباط، وأخذ الأريوسيين فى رجم الضباط بالحجارة، وتوجيه الإهانات للامبراطور. ولما علم الامبراطور بهذه الجرائم، تظاهر أولاً بأنه ماضى إلى روما، ثم جاء بمكر إلى تسالونيكي برفقة كل جيشه، ودفع جنوده وسط الشعب حتى قضوا على الأريوسيين، وبلغ عدد القتلى نحو خمسة عشرة ألفاً.

وقام البطريك ميلاتيوس يُونب الامبراطور على هذه المذبحة الكبرى لأنه كان متأثراً جداً بما حدث. فأبدى الامبراطور غضباً شديداً تجاه البطريك! ولكنه ما لبث

أن ندم، لدرجة أنه عاقب نفسه بالصوم، وتوزيع الصدقات، وبالصلاة والتذلل، وسكب الدموع الغزيرة، لعله يحصل على المغفرة، وتحمي خطيته.

ثم ما لبث أن حدثت ثورات وقلاقل في مدينة انطاكية، لأن الامبراطور أمر بجمع ضرائب غير عادية في كل اقاليم مملكته، اذ كان متعجلاً في خوض حروب في تلك الأقاليم، فكانوا يقبضون على الشعب ويعذبونهم

فلما رأت جموع الشعب في انطاكية أنهم يشنقون إخوتهم بلا رحمة، اشتعلت نار الغضب فيهم، وقاموا بثورة حيث طرحوا من أعلى السور التابوت البرنزي، الذي كان يحتوي على جسد البارة فلاسيل Flacile (وهو تمثال لزوج الامبراطور ثيودوسيوس مصنوع من البرنز)، ثم سحلوه في الطريق.

وعندما علم الامبراطور بهذه الأحداث، غضب بشدة، وإستدعى قضاة المدينة وأمر بنفيهم إلى لادوكية.

أما عن ضباط انطاكية الذين أساءوا إلى الامبراطور، هذه الاساءة الشنعاء فعاقبهم بأن أمر بإشعال النار في المدينة وكل من كان بها.

وكلف سيزار رئيس المدينة، وهليليك القائد، بهذا العمل. حينئذ تصدى لهم راهباً قديساً كان آتياً من الصحراء، وقال للضباط المكلفين بحرق المدينة: "إكتبوا إلى الامبراطور ثيودوسيوس، وقلوا له على لسانى، لاتنس أنك بشر مثلنا، ولو أنك امبراطوراً! ولو كنت رئيساً عظيماً، الا أنك تحت هذه الآلام عينها، فأنت خاضع لنفس الشقاء كأي مخلوق على صورة الله. وحينما تدين صورة الله هذه فأنت تخطئ إلى الله، الذى خلق الإنسان على صورته إعطاه نفساً عاقلة، فإن كنت قد غضبت من أجل تمثال من البرنز أخرس قد تحطم، فكم بالخرى سيغضب الله عليك وعلى حكمك، لأنك لاتستطيع أن تخلق شعرة واحدة من رأس واحد من هؤلاء

الأشخاص الذين تريد إهلاكهم، فهو وحده ملك العالم، وهو الذى أعطاك هذا السلطان".

وكان فى ذلك الوقت كاهنا يدعى يوحنا، وكان يعلم ويعظ فى تلك المنطقة، قبلما ينتخب بطريكاً ويسمى "كريزوستوم" قام فى ذلك الوقت وهرب من المدينة لأنه خشى أن يقتل بواسطة الأريوسيين، ممتنعاً عن القاء تعاليمه النافعة.

ولما علم الامبراطور بكل ما حدث، ندم ورجع عن حمو غضبه، وأعاد قضاة المدينة الذين كان قد نفاهم من أنطاكية. كما أطلق الذين فى السجون، ووجه رسالة إلى شعبه قال فيها "حقاً لقد حزنت بسبب موت زوجتى "فلاسيل" التى كانت تحب الله، والتى أهلكوها وأهانونها، ولم تكن تستحق ذلك منهم، ولهذا فإنى أردت أن أعاقبهم!

لكنى الآن أريد أن أَرْضَى الله محب البشر، لعله يَرْضَى عَنى، ويَهَبْنى معونة من لدنه، وينصرنى على الكفار، والبربر، وكل أعدائى.

لذلك فإنى أسامحهم، ولتنجو مدينة أنطاكية من الحريق، وليعيش شعبي فى سلام وبلا اضطراب".

وعاش الامبراطور ثيودوسيوس بعد ذلك فى روما، بعدما أباد كل المغتصبين، وقتل كثيراً من الهرطقة.

وما لبث أن أقام الخبازون الأبيار فى ذلك الوقت وعملوا الانفاق، وشيدوا الأبنية التى يعدون فيها العجيين، لكنهم إقترفوا فيها الأعمال المشينة ضد البشر، خاصة الغرباء منهم، والعملاء، وكثيرين ممن يحضرون للأكل والشرب، أو لممارسة الأعمال المشينة والمخلة بالآداب.

وكان بائعى الخمر هم الذين يعرضون كل هؤلاء خفية على الخبازين، وهؤلاء الأخيرين يمسونهم ويحتجزونهم بالقوة مثل أسرى لا يستطيعون الهرب، وإذا

استجدوا وصرخوا، فلا أحد يسمعهم، لأنهم كانوا يأسرونهم فيستخدمون بعضهم في إدارة الطواحين، والآخرين يتركونهم في أماكن الدعارة، حتى شيخوختهم فلا يطلقونهم أبداً.

غير أن الله كشف أمرهم، لأنهم أمسكوا أحد جنود الامبراطور، وأدخلوه بحيلة إلى هذا المكان الذي يوجد فيه الطواحين، فظل يعمل حتى تعب وتعذب لمدة طويلة بما فوق قدرته، لكنه جاهد ليهرب أخيراً، وأخرج سيفه، وقتل كثيرين ممن كانوا يحاولون إبقائه بالقوة، فخاف الباقون وتركوه يهرب. فمضى وأخبر الامبراطور بما كان.

فأمر الامبراطور بإحضار الخزائين ومعاقبتهم بقسوة، وأمر بهدم مخابئهم أما النساء العاهرات، فأمر بأن يمرروا بفضيحة في كل روما، بصحبة أصوات الأجراس، حتى يعرف الجميع مقدار جرمهم.

ومرر أيضاً بصحبته الخزائين الأشرار. وبهذا استطاع الامبراطور أن يمحو هذه الجرائم تماماً.

وقد ختم ثيودوسيوس حياته الفاضلة بسلام، تاركاً تذكيراً فاضلاً لحلفائه، هي سيرته المقدسة بلا شر منتقلاً بوقار من هذا العالم الزائل، إلى العالم الأبدى.

الفصل الرابع والثمانون

بعد موت الامبراطور ثيودوسيوس، صديق الله، إنتقلت امبراطوريته إلى ابنه: أركاديوس، وأنوريوس .. وكان قد أنجبهم من زوجته البارة (فلاستيل). وعينهم أباطرة في حياته، فأعطى أركاديوس (القسطنطينية)، وأنوريوس حكم في روما.

وقد وضع جسد الامبراطور ثيودوسيوس في كنيسة الرسل القديسين بالقسطنطينية.

وكان أركاديوس، وأنوريوس ثابتين في الإيمان المسيحي وكاملين. ومرض أنوريوس الصغير، ولما علم أخوه أركاديوس، سافر إلى روما ليزوره، وكان أنوريوس يولاً، يمارس في قصره الامبراطوري حياة الرهبنة والوحدة، ويحيا بطهارة وعفاف، وكان يجاهد ليقتنى الفضائل، فيذل نفسه بالاماتات والحياة النسكية الصارمة، إذ كان يلبس منطقة من جلد على حقويه تحت رداءه الحريري الامبراطوري، وكان يصوم معظم أيامه، وينام على الأرض، ويواظب على الصلاة وترتيل المزامير، فكان يكره الملك الأرضي ويتوق إلى المملكة السمائية. فصار مثلاً يرضى الله إذ كان يمارس أنواع الفضائل الروحية، التي لم يكن والده نفسه قد مارسها، حافظاً نفسه من أي شيء يهين اسم الله.

كانت عند معاصريه عادة شريرة، وهي أن يقف رجلان في الحلبة ينازلان بعضهما بعضاً، ومن كان يهزم الآخر، كان يقتله، دون أن يكون في عرفهم مذنباً في شيء.

وحدث أن راهباً جاء من الشرق إلى روما يدعى تيليماك، وهو قديس يشبه الملائكة في حياته. هذا لما رأى مثل هذه المشاهد الدامية الوحشية، وجه نداءه إلى المتحاربين، وأمرهم باسم يسوع المسيح، أن يكفوا عن المعارك برفضهم هذا العمل الشيطاني، وهو قتل الإخوة. فما كان من المتحاربين أن وضعوا أسلحتهم جانباً، ثم انهالوا بالحجارة على القديس المتوحد رجل الله وسفكوا دمه وقتلوه.

وما أن علم الامبراطور القديس بهذه الحادثة، حتى أمر بإبطال هذه العادة تماماً من مدينة روما، ثم ألغاه من سائر بلاد مملكته، فساد بعد ذلك سلام الله المملوء بحداً.

هذا الامبراطور حطم أيضاً معابد الأوثان الشريرة، وحولها إلى مبان مقدسة، خاصة بالشهداء والقديسين.

حدث أثناء إقامة الامبراطور أركاديوس في روما، أن قام ضابط من الجيش يدعى "جانياس" من اصل بربرى، وثار ضد الامبراطور، ومعه عدد كبير من الجنود، ورفعوا الأسلحة في وجه الامبراطور، فأحدث شغب كبير، جعلت الإمبراطور أركاديوس يضطر إلى مغادرة روما في الحال عائداً إلى بيزنطة.

لكنه إزداد غيرة لمذهب أبوه الأرثوذكسى، بعدما قتل جانياس الكافر المعتصب، الذى كان يتبع مذهب الأريوسيين البؤساء فحدث سلام بعد ذلك. ثم مرض الامبراطور أركاديوس صديق الله، فى زمن البابا يوحنا فم المذهب، فعين ابنه ثيودسيوس الصغير إمبراطوراً فى حياته.

بعدما إرتقى ثيودسيوس الصغير العرش، حدثت ثورة كبيرة فى روما، كان سببها أن كثير من شيوخ المجلس، كانوا يكرهون هذا الإمبراطور القديس، لأن حياته كانت فاضلة، وكان خائف الله ينفذ كل وصاياه.

فترك الإمبراطور ولايته، وذهب خلصة إلى مدينة راواى أو (راوان). وأثناء ذلك رحل أحد قواد اقليم غاللما ويدعى (أتالاريك) على رأس فرقة كبيرة العدد راغباً أن يستولى على روما. وعندما صار فى مواجهة المدينة، قام بالتحالف مع أعداء الامبراطور، الذين قدموا له جزية المدينة، لكنه رفض أخذها.

ثم إقتحم القصر الإمبراطورى، وحمل كل الكنوز التى فيه، واختطف أيضاً (بلاسىدى) أو (بلاديا) أخت الإمبراطور أونوريوس التى كانت عذراء، ثم عاد هذا الغازى إلى (غاللما). وكان هناك ضابط يدعى كونستانس (قسطنطيوس) الذى أعاد الفتاه المخطوفة إلى اخيها الامبراطور أونوريوس، وذلك دون علم ذلك الغازى. فسر به الامبراطور وكرمه، ثم عينه وزيره الأول، وبعد ذلك رفعه إلى مركز الامبراطور، حيث زوجه اخته العذراء.

بعد ذلك سافر الاثنان، أى الامبراطور أونوريوس، وقسطنطيوس من رافنا، واستوليا على مدينة روما. وأمر بقتل هؤلاء الأشخاص الأربعة المغتصبين وهم: قسطنطان، جوليان، ودوفان، ومكسيم. الذين تزعموا الثورة ضد ملكهم الامبراطور أونوريوس. ثم صادر ممتلكاتهم وكسر شوكتهم.

ثم سلم الامبراطور أونوريوس صديق الله أمور الامبراطورية إلى كونستانس زوج اخته، ومضى هو إلى القسطنطينية حيث شارك ابن اخيه ثيودسيوس الحكم. لكنه ما لبث أن عاد إلى روما بعد فترة وجيزة لأنه مرض مرضاً خطيراً، حيث تقلصت أطرافه، ومات تاركاً هذا العالم الفانى بتولاً، ومعدم الأبناء.

وأنجب كونستانس امبراطور روما إبناً، من أخت الامبراطور أونوريوس (بلاسيدي) وأعطاه اسم "فالانتيان" وفى هذه الأثناء ظهر مغتصب آخر اسمه يوحنا، قام وإستولى على الولايات التابعة لهم بالقوة.

أما ثيودسيوس الصغير، فحكم فى القسطنطينية وحده، بعد موت عمه أونوريوس. وعندما عبر سن الطيش، إذ كان غير متزوج، عرض نفسه للأزمات بسبب إرتباطه لآخواته "أركاديا، مارينا، بلخاريا" اللآئى كن يحثنه بالضغط على أن يتزوج، وينجب أطفالاً.

وكان يجيهن بأنه يريد أن يتخذ زوجة، فتاة متميزة، جميلة، ومحبة لله، وعاقلة، ومتعلمة.

ولما بحث له فى كل الأنحاء عن هذه الصفات، لم يجدن. لا من بنات الدم الملكى، ولا من العائلات الشهيرة.

وأخيراً قابلن فتاة كانت قد حضرت إلى القسطنطينية، وكانت تفوق بجمالها كل نساء عصرها.

هذه الفتاة تدعى اثنائيس، وكانت قد أتت لترفع شكواها إلى الامبراطور بسبب الظلم الذى لحقها - إذ كان والدها المدعو هيراقليط له ابنان، الأول يدعى فاليريان (أو لانديانوس) والثانى يدعى دينسيوس، وابنة هى التى ذكرناها.

وكان الأب قد أوصى عند موته أن يسلم الابنان أختهما هذه، مائة مثقال، كجزء من الميراث.

ولكن الابنان إعتبرا أن هذا هو كل ميراثها، فغضبت الابنة ورفضت أن تقبل هذه النقود قائلة "الا استحق أن أتساوى بإخوتى فى الميراث؟

ولكن الأخوان رفضا أن يحققا لها مطلبها، وطرداها من منزل أبيها. حينئذ أخذتها خالتها وقادتها من إقليم هلالاد إلى مدينة ... عند أحد أعمامها.

هناك التقت بأخت أحد الفلاسفة ... هذه المرأة كان موطنها بيزنطة، وكانت لها مكانتها العالية، فجعلت هذه الفتاة فى مواجهة أخوات الامبراطور!!

ولما سألن عنها، علمن أنها فتاة عذراء، فقربوها منهن فى القصر وحدثوا الامبراطور عنها.

وأن الامبراطور ثيودوسيوس إقرب منها وشاهدها على علم منها فأعجب بها. ولما علم أنها وثنية من قبيلة الفلاسفة، أدخلها إلى الإيمان المسيحى فتعمدت، وسميت باسم أفذوكسية، ثم تزوجها بحسب الشريعة المسيحية.

وأقام الإمبراطور إحتفالات الزواج تكريماً لها، ونودى بها إمبراطورة.

وعندما علم أخوتها أنها أصبحت زوجة للإمبراطور ثيودوسيوس، وأنه نودى بها إمبراطورة، خافا وهربا مختئين داخل البلاد. ووجهت لهما أختهما نداءً تطلب منهما أن يحضرا إلى القسطنطينية، ولما حضرا أعطتهما مركزاً عالياً بالقرب من الإمبراطور. فعينت جينسيوس عمدة على الليريكون وفاليريان قائداً للجيش. لأنها

قالت لهما: لو لم تكونا قد تصرفتما بحماقة تجاهي، ما كنت جئت إلى العاصمة، وما كنت أصبحت إمبراطورة! .

فإني جئت بإرادة الله إلى ههنا، ولذلك إنني لن أفعل معكما بحسبما فعلتما بي! .

حينئذ خرجا منها وانحيا تحت قدميها إلى الأرض وعظماها .

وانجبت الإمبراطورة أفدوكسية بنتاً واسمها أودوكسيس على اسم أم الإمبراطور ثيودوسيوس .

وفي أثناء حكم هذا الإمبراطور حصلت منازعات وانقسامات في كنيسة القسطنطينية بسبب نفى البطريك القديس يوحنا فم الذهب، الذي كان قد عزل في عصر أركاديوس والد ثيودوسيوس . لأن الإمبراطورة أودوكسيس كانت قد غضبت عليه بخصوص حديقة الكروم التي كانت تملكها إحدى الأرامل .

وعلى أثر ذلك حدث زلزال شديد في العاصمة، وأبدى الإمبراطور حزنه الشديد، وكذلك كل أعضاء مجلس الشيوخ، ورجال الكهنوت والشعب على نفى هذا البطريك لدرجة أنهم كانوا يمشون حفاة الأقدام عدة أيام .

كما أن الآشوريون إستولوا فجأة وبدون توقع، على مدينة سلوكي في سوريا، ومدينة طبرية .

وبعدما سلبوا كل المنطقة تماماً، رجعوا ثانية إلى آشور، بلدهم مارين بالجليل المسمى أمانص Amanus فكل سكان القسطنطينية إلى وقت كبير لا يعلمون لأى شيء نفى القديس يوحنا فم الذهب، إلى وفاة أودوكسيس زوجة الإمبراطور .

وقد عاصر أتيكوس بطريك القسطنطينية مثل هذه الحوادث، وبسبب حكمته وتصرفه الدقيق، نجح في إقناع الإمبراطور ثيودوسيوس أن يكتب للقديس كيرلس بطريك الاسكندرية وخليفة البطريك ثاوفيلس، حتى يوافق على أن يدرج اسم

يوحنا فم الذهب ضمن أسماء مجمع بطاركة القديس، الذين تنيحوا من قبل. فقبل البابا كيرلس هذا الاقتراح بفرح وسعة صدر، لأنه كان يحب يوحنا الذهبي الفم الأرثوذكسي المعتقد والتعليم حبيب المسيح.

وفضلاً عن ذلك، كان يبجله كعالم كبير، وصار لهذه المناسبة فرح كبير في الكنيسة. وعلى أثرها وهب الإمبراطور ثيودوسيوس هبات وعطايا كثيرة للكنائس، كما أمر ببناء ما تهدم منها.

فقام شعب الاسكندرية بغيرة مقدسة وجمعوا كمية كبيرة من الأخشاب، وأحرقوا مقر الفلاسفة الوثنيين.

وكل هذه الحوادث لم تنس الإمبراطور ما حدث في روما، بل أرسل إليها ضابطاً يدعى (أسبار) على رأس جيش عظيم حتى يحارب المقتصب يوحنا السابق ذكره، فأنصر على هذا الكافر، وخلص فالتينيان ابن خالته.

(وهو نفسه ابن كونستانس وبلاسيدي)

وقربه إليه، وزوجه ابنته التي إنجبتها له الإمبراطورة أفدوكسية، ثم أنجب منها فالتينيان بنتين: أسمى واحدة أودوسيوس والثانية بلاسيدي.

وإختار ثيودوسيوس رجلاً من الفلاسفة يدعى (سيروس) وعينه حاكماً للإقليم، وكان رجلاً عاقلاً وشهماً نزيهاً ومتمسكاً بالعدالة، جريئاً في الحق، وكان يحب التعمير.

ولما كانت أسوار القسطنطينية متهدمة منذ أمد بعيد، رممها وأكملها في وقت قصير، وكان محبوباً جداً من شعب القسطنطينية لأجل وداعته وعدم تكبره.

وكان الإمبراطور ثيودوسيوس يلاحظ مدى تكريم الشعب لسيروس الحاكم عندما كان يقدم له الشعب التحيات خلال إحدى المجاعات.

فلم يفتر بعض الحقودين عليه، أن يتهموه عند الامبراطور ثيودوسيوس بأنه ينوى أن يتزعم ثورة ضد الإمبراطور ليغتصب الملك منه.

فلقى هذا الإفتراء قبولاً لدى الامبراطور، ثم أمر بالقبض على هذا الرجل، ومصادرة أملاكه، ثم عذبه بمعاملات قاسية.

ولم تكن تلك الاتهامات السابقة هي السبب الوحيد الذى جعل الإمبراطور يغضب عليه وكان يريد قتله، بل لأنه سمعهم يصيحون قائلين: "إنه مثل الامبراطور القديم قسطنطين!!"

وما أن علم سيروس بما حدث، حتى فر هارباً واختبأ فى كنيسة .. فى إقليم آسيا، وهناك أقاموه رئيساً لمدينة أزمير التى كان سكانها قد قتلوا أسقفها. وبعدما إرتقى كرسى مطرانية أزمير رفع صلاة حارة طويلة إلى السماء، شاكراً له، أنه انقذه من موت كان لا يستحقه.

ولما كان مصاحباً لهذه الأحداث عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح الذى كان قد حل، دعاه الكهنة إلى إرتقاء المنبر حسب تقاليد الأساقفة، حتى يكلمهم عن مجد وعظمة ملك العالم وعن ميلاده المجيد. لكن سيروس كلمهم أولاً عن خطورة الموت الذى نجى منه واسترسل فى خطابه طويلاً وأخيراً قال: "إعلموا أيها الإخوة أن اليوم هو تذكار ميلاد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وتجسده، ليتنا نعطه المجد اللائق به، لأنه بإرادته وحده تجسد فى أحشاء القديسة العذراء مريم، وهو الكلمة الأزلى الخالق، له المجد مع الآب المساوى له، مع الروح القدس واهب الحياة، الثالوث الأقدس الأبدى".

وكان كل شعب المدينة يحبون سيروس ويكرمونه، لأنه كان بطل همام يقوم بكل وظائفه المقدسة، وأعماله الرعوية، وبكل غيره يقوم بوظيفته الكهنوتية حتى يوم مماته، محاطاً بالوقار والاحترام.

حدث بعد ذلك مع الأسف، أثناء حكم الامبراطور ثيودوسيوس، أنه بعد موت أساقفة القسطنطينية وهما أتيكوس، وسوسينيوس. أنهم إستدعوا نسطوريوس من أنطاكية إلى القسطنطينية لكي يعلم فيها. وكان يعمل كراهب وطبيب، وكان متعمقاً في الكتب المقدسة، فأقاموه بطريركاً. لكنه أصبح فيما بعد داهية بالنسبة للإيمان المسيحي في كل البلاد، وتحول يعلم تعاليم خاطئة كلها تجاديف عن الله، ورفض الاعتقاد بأن السيدة العذراء والدة الإله، فكان يسميها "أم المسيح" مدعياً أن المسيح ذو طبيعتان.

ونتج عن هذه البدعة إنقسامات خطيرة وقلق في القسطنطينية، فطلبوا من الإمبراطور ثيودوسيوس أن يدعو إلى إجتماع مجمع من أساقفة العالم. واجتمع مائتان من الأساقفة بأفسس، وحرّموا نسطوريوس من السرائر المقدسة، ونفوه هو وأتباعه.

وكان يوحنا بطريرك أنطاكية متفقاً معهم أولاً، ولكنه رجع مع كثيرين بعد ذلك إلى عقيدتنا المقدسة، وتناولوا الأسرار مع المائتين من الأساقفة، ومع أبينا القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية وايدوا الإيمان المستقيم، ورفضوا نسطور لأنه كان يعلم تعاليم أبوليناريوس الخاطئة. ولم يتبق من يتبعون نسطور إلا عدد ضئيل، بينما أنتصر الإيمان الأرثوذكسي وأصبح المؤمنون أكثر عدداً.

وفي ذلك الأثناء إنضم إليهم في النهاية أرخيلالوس كونت الشرق، وأصبح واحداً من أتباعنا في العقيدة الأرثوذكسية.

فلم يبق إلا عدد قليل بقوا على خطأ نسطوريوس. وبقيت الكنيسة في سلام في حكم ثيودوسيوس الامبراطور صديق الله.

شغل كرسي القسطنطينية بعد ذلك، في عصر ثيودوسيوس البطارقة الحكماء: مكسيميانوس، وبروكلوس.

أما بروكلوس الحكيم، فكان في طفولته قد درس بإجتهاد عظيم، وعندما أصبح يافعاً، حصل على امتياز البقاء في مدينة الامبراطورية وذلك نادراً حدوثه، لخدم الله. وكان يلزم البطريك أتيكوس، مواظباً على تعاليم الله وتدوينها. ثم عين دياكوناً، ولما وصل إلى السن المناسب رسموه قسيساً، وعينه البطريك سوسينيوس خليفة لأتيكوس أى بطريكاً على كرسي سيزيك.

ولكن سكان هذه المدينة رفضوا هذه الهبة الغالية، الذى قدم لمعونتهم إذ كانوا غير مستحقين أن ينالوا هبات الله المختارة على يديه.

فبقى بروكلوس فى وحدته وخلوته فى بيزنطة، فى الوقت الذى كان فيه نسطور البطريك يكدر صفو الكنيسة، بإظهار كراهيته لسيدتنا القديسة مريم والدة الإله. حينئذ وجه بروكلوس خطاباً عن سيدتنا مريم العذراء والدة الإله، وألقاه فى كنيسة القسطنطينية أمام الشعب مجتمعين. وهاجم فيه بشدة نسطور، الذى كان تفكيره يقوده إلى الضياع.

بدأ بروكلوس خطابه بقوله: "نحن نحتفل اليوم بعيد السيدة العذراء، ونعلن بلساننا هذه الكلمات... لنمجد مريم أم الله..." فلما سمع الشعب هذه الكلمات فاضوا بالمديح، مطوبين سيدتنا ومقدمين الثناء لها بغيرة عظيمة.

وكان لخطابه أيضاً تأثير كبير فى قلب الأمبراطور ثيودسيوس، وكل الشعب، فأرادوا أن يرفعوه إلى كرسي القسطنطينية البطريكى خاصة بعد ما نفى نسطوريوس.

أما باقى عظماء المدينة، فأعترضوا على ذلك بحماس، مدعين بأن هذا الرجل كان اسقفاً على مدينة صغيرة، فكيف يمكن أن يجعلوه راعياً لهذه المدينة العظيمة؟! .

فعينوا مكسيميان بطريركاً على القسطنطينية. وكان هذا كاهناً يخاف الله، لكنه كان يشابه بروكلس في الحكمة والعلم. وقد شغل الكرسي البطريركي لمدة عامين وستة أشهر. ثم تنيح بسلام بعد حياة حافلة بالتقوى والعبادة.

وقبلما ينتهوا من مراسيم دفن مكسيميان، أمر الإمبراطور ثيودوسيوس بتعيين بروكلس على كرسي القسطنطينية.

وقد حرر كلسوس بطريرك روما رسالة إلى بطريرك الاسكندرية وإلى اساقفة آخرين، بخصوص هذا الموضوع.

ورد عليه هؤلاء بهذه الكلمات: "إن قانون الكنيسة لا يعترض على ذلك... أي أن يشغل بروكلس الكرسي البطريركي في بيزنطة لأن هذه هي إرادة الله!!".

وبناء على ذلك، شغل بروكلس الكرسي البطريركي بأمانه ووقار، راعياً بحكمة مصلحة شعبه في عاصمة الإمبراطورية.

وقام يحارب أنصار نسطور الهرطقة. ثم وجه رسالة إلى أرمانوس الشهير يرفض فيها ثيودور الموبسيتي، ونسطور الهرطوقي، وحرّمهم من الشركة المقدسة وأمر باستبعادهم.

وهكذا نجا الشرق من هرطقة نسطور في عصر مكسيميان الوقور، وعاشت الكنيسة أيضاً في سلام.

وأعاد البطريرك بروكلس، جسد القديس يوحنا فم الذهب إلى القسطنطينية، بعد ما مضى عليه نحو خمسة وأربعون سنة، منذ أن نفى هذا البطريرك إلى جزيرة تراس، أيام حكم ثيودوسيوس الإمبراطور السابق، صديق المسيح.

وأمر بروكلس بوضعه في كنيسة الرسل القديسين، حيث يرقد أجساد باقي آبائنا البطارقة القديسين الذين كملوا مشوار حياتهم في التقوى والإيمان الأرثوذكسي بمدينة القسطنطينية وأمر بضم أجساد الأساقفة الآخرين، الذين كانوا

قد نفوا دون وجه حق، ولم يمكنهم أن يحضروهم في عصر اتيكوس الورع، وحدث أنه بعدما تم نقل هذه الأجساد إلى هناك، أن انصار القديس يوحنا فم الذهب، الذين كانوا قد إنشقوا عن الكنيسة، عادوا ثانية إلى حضنها. فانتفى الانقسام عن الكنيسة والأفراد المنشقين، انضموا إليها ثانية، فجمعهم بروكلس حوله، وفي تلك الأثناء قال موعظة جذيرة فيها كرم القديس يوحنا فم الذهب، وطلب من الله أن يغفر لأقرباء الامبراطور ثيودوسيوس الصغير خطيتهم التي إقترفوها تجاه هذا القديس.

حدث أيضا أثناء حكم هذا الامبراطور، أن البربر الذين هربوا بعد فشل يوحنا المغتصب، تجمعوا ثانية وأغاروا على أراضي روما.

ولما أحيط الإمبراطور، صديق الله علماً، رفع قلبه وفكره نحو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد، بالصوم والصلاة ثم بالرحمة والإحسان إلى الفقراء بكرم وسخاء، وظل يؤدي أعمالاً مجيدة لله ببر، ممارساً كثير من الخدمات الأخرى، ثم أخبر بروكلس بذلك...

وأمر بروكلس الكهنة والرهبان، أن يصلوا إلى الله من أجل الإمبراطور، حتى يحقق له النصر على أعدائه، وحتى يكلل جهوده بالنصر فلا تضيع باطلاً، فاستجاب الله لتوسلاتهم ومات القائد البربري المدعو روميلوس.

والذي حدث حقيقة هو أن الله ضربه بصاعقة، إذ سقطت نار من السماء، أهلك عدد كبير من البربر مع قائدهم ومات كثيرون بهذه الميته الشنيعة، وعلم كل شعب الأرض بهذا الحادث، وتيقنوا من قدره اله المسيحيين، وتقوى وإيمان ثيودوسيوس الامبراطور.

ظهرت في تلك الآونة امرأة وثنية وفيلسوفة بالاسكندرية، تدعى هيباسي، وكان كل عملها الانشغال بالموسيقى، وأعمال السحر والتنجيم. وكانت تغري كثيرين بحيل إبليس، لدرجة أن مدير هذا الإقليم كان يجلبها، وقد إستمالته هي بفنها

السحري، فجعلته يكف عن الذهاب إلى الكنيسة التي كان معتاداً الذهاب إليها،
ربما كان يمضى إليها بالكاد أو عن طريق الصدفة.

وليس تصرفه هكذا لأجل نفسه فقط، بل كان يدفع الكثيرين في هذا التيار،
ويستقبل المنجدين بلطافة.

ويوماً كان حاكم الإقليم (أورست)، حسب تقاليد اليهود المقيمين في
الاسكندرية، كان حاضراً وكان كل سكان المدينة مجتمعون في المسرح، وأراد البابا
كيرلس وهو خليفة البابا ثاؤفيلس، أن يعلم لماذا إجتمعوا وعلى أى شيء؟! فأرسل
أحد المسيحيين المدعو هيراكس، وهو رجل كفء، ومثقف، وكان مخلصاً للبطريرك
الجليل، ومحترم تعليمه وكلامه، وكان أيضاً متعمقاً في الديانة المسيحية ساخراً من
الوثنيين.

هذا لما رآه اليهود في المسرح صاحوا قائلين: لم يحضر هذا الرجل إلى هنا بنية
خالصة، بل ليثير الاضطرابات!

مما جعل أورست حاكم الإقليم، وكان يكره أبناء الكنيسة المقدسة، يأمر بالقبض
على هيراكس، ثم أمر بضربه أمام جمهور المسرح، على الرغم أنه لم يقترف ذنباً!

ولما علم البابا كيرلس بذلك، غضب جداً على هذا الحاكم، وليس فقط بسبب
هذا الحادث وحده، بل لأنه كان قد قتل راهباً جليلاً من دير بيرنودى يدعى
أمونيوس، مع رهبان آخرين. وعندما أحيط الحاكم العسكرى بهذا الحادث، أمر
اليهود قائلًا: "كفوا عن خصومتكم ضد الكنيسة".

لكن اليهود لم يغيروا هذا الأمر التفاتاً، إذ كانوا متكئين على مساندة حاكم
الإقليم الآخر. لهذا حدثت جرائم كثيرة، وأثار هؤلاء مذبحة بأن نصبوا فخاً، لأنهم
أخذوا رجالاً كثيرين منهم، وضعوهم في شوارع المدينة أثناء الليل، وجعلوا البعض
منهم يصيحون: كنيسة القديس أثناسيوس الرسول تحترق! النجدة أيها المسيحيون!

ولم ينتبه المسيحون لهذه الخدعة، وخرجوا مسرعين على أصوات الصيحات، ففي الحال إنقض عليهم اليهود وقتلوهم، وكثر عدد الضحايا.

ولما علم المسيحيون الباقيون بهذه الجريمة الشنعاء، التي ارتكبتها اليهود ذهبوا وأخبروا الأب البطريك، ثم اندفع كل المؤمنون متوجهين بعنف وهم غاضبون، إلى معابد اليهود، واستولوا عليها، وحولوها إلى كنائس. ووضعوها في إحداها رفات القديس جاورجيوس.

وأما اليهود القتلة، فطردهم من المدينة، وسلبوا ممتلكاتهم وأرغموا الباقين على الرحيل بلا شيء على الإطلاق، ولم يستطع الحاكم أورست أن يحميهم.

ولما هدأت الثورة بدأ جموع المؤمنين تحت قيادة الحاكم بولس الذي كان خادماً لربنا يسوع المسيح، في البحث عن تلك الإمراة الوثنية، التي أغرت سكان المدينة، وحاكمها بخداعاتها السحرية، فاكتشفوا الموضع الذي كانت تقيم فيه.

حيث وجدوها جالسة على عرش عملته لنفسها، فأنزلوها من فوقه، وجروها نحو الكنيسة الكبرى المسماة، سيزاريون، وكان ذلك أثناء فترة الصوم المقدس. فخلعوا عنها ملابس العظمة، وجروها في شوارع المدينة ليراها كل أحد، حتى ماتت ثم مضوا بها إلى مكان يسمى سينارون حيث أحرقوا جسدها.

والتف كل جمهور الشعب ثانية حول الأب البطريك كيرلس، حيث أسموه ثيوفيلس الجديد، لأنه أنقذ المدينة من البقية الأخيرة من الوثنيين.

الفصل الخامس والثمانون

حدثت حادثة بعد ذلك بقليل، ذلك أن اليهود في سوريا، في مكان يدعى سيمتريا، واقعة بين كلسدون وأنطاكية، كانوا منشغلين حسب عاداتهم باللهو والسكر والعربدة، وكانوا يقيمون المسرحيات، فأخذوا شخصاً من بينهم واسموه

(المسيح)، وقدموا له العبادة، كنوع من السخرية، ثم أهانوا الصليب ومن يؤمنون بالمصلوب.

وبعد ما أقرّفوا بجراءة مثل هذه الشرور، أخذوا طفلاً، وقيدوه على صليب، وبدأوا يلهون به، ثم أظهروا قوتهم عليه، لأنهم جناء، حيث قتلوا الطفل، الذى مات ببسالة.

عندما علم المسيحيون بتلك الجرائم التى اقترفها اليهود، إندفعوا فى ثورة غضب، ونتج عن ذلك سقوط كثيرين موتى من الجانبين. ولما وصل تقرير عن هذه الحوادث للأمبراطور ثيودسيوس، حتى أمر قضاة المدينة بمعاينة المذبذبين، ونتيجة لذلك اتخذت إجراءات مشددة ضد اليهود، الذين كانوا يقيمون فى الشرق. فعوقب كل الذين أهانوا المسيح، والمسيحيين بأشد العقوبات.

ونجد فى ذلك الوقت أن كثير من يهودى كريت دخلوا الإيمان وصاروا مسيحيين على أثر كارثة كبيرة كانت قد أصابتهم.

الفصل السادس والثمانون

إدعى أحد اليهود واسمه فيسكيس أنه موسى رئيس الأنبياء، وإن الله أرسله من السماء، فجاء ليقود اليهود الساكنين فى تلك المدينة ويعبر بهم وسط البحار لياتى ويسكنهم أرض الموعد. وكان يغرى اليهود هكذا قائلاً: "أنا هو الذى خلص آبائكم من يد فرعون، عندما كانوا عبيداً للمصريين".

وقضى نحو سنة كاملة يطوف فى كريت، فى كل المدن والقرى، يخبرهم بهذا الحدث، ويغريهم بترك صناعاتهم، واحتقار ممتلكاتهم، وكانت النتيجة أن بددوا ثرواتهم.

وعندما وافى اليوم الذى حدده لهم ليصحبهم، أمرهم أن يتبعوه مع زوجاتهم وأولادهم إلى شاطئ البحر، ثم أمرهم بأن يلقوا أنفسهم فى البحر مدعياً عبوره! فكثيرون غرقوا، وآخرون ابتلعتهم الأمواج إلى أعماق البحر.

ولكن الله محب البشر، لم يسمح بأن يهلك جميعهم بهذه الطريقة المريعة والمضللة. فحرك كثير من المسيحيين كانوا موجودين فى ذلك الوقت ينظرونهم، فأسرعوا لينقذوا عدداً كبيراً من أمواج البحر. ومنعوا الذين لم يلقوا بأنفسهم بعد فى البحر.

ولما رأى اليهود الباقون أن نبيهم المضل قد غرق فى البحر، فهموا أنه كان أفاقاً، فتخلوا لوقتهم عن عقيدته الخاطئة، وانضم كثير منهم إلى الإيمان بربنا يسوع المسيح، ونالوا صبغة المعمودية المقدسة، وحصلوا على السلام. وتم هذا الحدث فى حكم الامبراطور ثيودسيوس الصغير صديق الله. وفى رعاية البابا البطريك أتيكوس بطريك المدينة العظمى القسطنطينية.

الفصل السابع والثمانون

عندما كان الامبراطور ثيودسيوس يتعلم الكتب المقدسة الموحاه من الله، فى طفولته. كان له صديق فى دراسته يدعى بولان، وهو ابن وزير، وكبر الطفلان معاً. وكان الإمبراطور يحب بولان وقد قلده المكانة الثالثة بعد الإمبراطور، وهى رتبة المراسم. فكان يشارك الإمبراطور والإمبراطورة على المائدة مرات كثيرة، لأن المودة كانت عظيمة بينهم.

وحدث أن مرض بولان، فأخبروا الإمبراطور بمرضه، وكان يرغب أن يأكل تفاحاً، ولم يكن موسم هذه الفاكهة، والتى كانت تسر الإمبراطور أيضاً وضباطه.

ونرى الإمبراطور وهب مائة قطعة ذهبية لأي شخص يحضرها، ثم أرسلها إلى زوجته، ولما كانت هي تحمل مودة كبيرة لبولان، فأرسلت التفاحة إليه، خاصة وأنه كان متألماً جداً.

وكان بولان يجهل أن هذه الثمرة كانت قد قدمت للإمبراطورة عن طريق الإمبراطور، فلما حضر الإمبراطور ليزوره، وجد عنده التفاحة! فلما عاد إلى القصر طلب مقابلة الإمبراطورة وسألها: أين التفاحة التي أرسلتها إليك؟

فلم تشأ الإمبراطورة أن تصرح له بأنها أرسلتها إلى صديقها خشية غضب الإمبراطور، فأخبرته بأنها قد أكلتها! لأنها لم تعتقد إنه سيطلب عنها تقريراً. فسألها الإمبراطور أيضاً ألم ترسلها لشخص ما؟ فأنكرت ثانية. حينئذ أمر الإمبراطور بإحضار التفاحة من عند بولان، ولما رأتها الإمبراطورة أودوسيس شعرت بإرتباك وخجل.

وبعدها عاش الزوجان مدة طويلة في شقاق وأحزان، وأخيراً عرضت الإمبراطورة على زوجها صدق ما حدث مؤيدة كلامها بقسم عظيم. واستطاعت أن تقنعه بأنها لم تخبره بالحقيقة أولاً لأنها خشيت غضبه. وكان بولان نفسه قلقاً جداً من جهة ما حدث، وقال في نفسه: من الأفضل للمريض أن يظل في مرضه. ولكنه بعدما شفى فكر في تدابير سيئة.

وبعد وقت قليل علم الإمبراطور، أن بولان كان يدبر مشاريع إجرامية، لأنه كان يتطلع إلى العرش، فكان يعد انقلاباً. فأمر بقطع رأسه، وهكذا ناله ما كان يريد أن يعمل مع الأمبراطور، صديق الله.

حدث أن أساء أحد المتوحدين في الصحراء، إلى القديس باسيليوس، لأن الهرطقة كانوا يقومون ضده. وقيل أن بولان قتل بسبب الإمبراطورة أودوسيس، ولكن ربما لأن المؤرخون إستقوا الأحداث عن الهرطقة، الذين لا يتوخون الحقيقة،

لذلك حدث لبث، ولكن الإمبراطورة كانت امرأة عاقلة ونقية السيرة، ولا تشوبها شائبة في تصرفاتها.

حدث أن ارسل الامبراطور ثيودوسيوس خطاباً إلى صحراء سیتی في مصر، لكي يستشير الآباء القديسون، لأنه لم يكن له أبناء ذكور، يخلفونه على العرش. فأجابوه: عندما تترك هذا العالم، فإن عقيدة آباؤك ستغير، ولأن الله يحبك فلم يرزقك أولاداً ذكور، حتى لا يشتركوا في الشرور.

فلما سمع الإمبراطور وزوجته هذا الكلام، أصيبا بحزن شديد، وكفوا عن كل علاقة زوجية، فعاشا بعد ذلك في عفة ووافق تام.

وبعدما زوجا إبتهما الكبرى (أودوكسيس)، إلى فالانتيان إمبراطور الغرب، وكانوا قد انتهوا من احتفالات الزواج، بالقسطنطينية سافرا الزوجان إلى روما.

طلبت الإمبراطورة أودوكسيس من الإمبراطور ثيودوسيوس السماح لها بزيارة الأماكن المقدسة، في أورشليم لتوفى نذورها هناك. لأنها كانت قد نذرت قائلة: "عندما أنتهى من زواج ابنتى، سأزور الأماكن المقدسة وأتم نذرى نحو الله، في فناء بيت الله، وفي وسط كل شعبه في أورشليم، وسأضرع إلى الله أن يحفظ حكومتك لفترة طويلة في سلام".

فوافق الإمبراطور على طلبها، وكتب إلى حكام الأقاليم أمراً إياهم أن يستقبلوا الإمبراطورة بطريقة تليق بها. ثم كلف البابا كيرلس بطريرك الأسكندرية، أن يرافقها إلى أورشليم، لتنال بركته، ولكي يرشدها إلى كيفية تميم أعمالها الحسنة.

وقد تحقق لها كل ما طلبته من الله، وبعدما وصلت إلى أورشليم قامت بتجديد الكنائس، والأبنية، وأمرت ببناء دير على اسم العذراء، ومأوى لزوار الأماكن المقدسة، وخصصت لهم أموالاً كثيرة وأمرت بإقامة أسوار أورشليم التي كانت قد

تهدمت منذ زمن بعيد، وكانت كل ما تشرع فيه تنفذه بحماس وبعد ذلك اعتزلت العالم، وعاشت في وحدة.

وأما الإمبراطور فكان منشغلاً بالصوم والصلاة، مرتلاً بالمزامير والترانيم الروحية، فعاش حياة تقية.

أما أخواته اللآئى لم يتزوجن، وكن يكبرنه سناً، وهما أركاديا التقيه، ومارينا، فكانتا قد ماتتا وذهبتا إلى الرب يسوع المسيح، اللآئى أحببناه، قبلما تغادر الإمبراطورة القصر.

وأثناء إقامة الأمبراطورة فى أورشليم، تنيح الآب القديس كيرلس بطريرك الأسكندرية، وكذلك تنيح يوحنا بطريرك أنطاكية. حينئذ بدأ الهراطقة النسطوريين، وهم الأساقفة الاثنى عشر، فى الظهور، بعدما اختفوا زماناً أمام البطريرك، القديس كيرلس. وهؤلاء أنكروا الثالث الأقدس، وقسموا المسيح إلى طبيعتين. فى تلك الأثناء عقد أساقفة القسطنطينية، الهراطقة جلسة سرية مع الأقاليم الأخرى، وأشاعوا أن انفصال الأمبراطور عن الأمبراطورة، لم يكن بسبب الهى مقدس لكنهما افرقا بعداوة بسبب بولان.

لهذا غضب الإمبراطور جداً من البطريرك، فلافيانوس وأنصاره وقال لهم: "النار التى كانت قد أشتعلت بواسطة النسطوريين، ثم إنطفأت أنتم اعدتم اشتعالها".

وبالفعل حدثت اضطرابات كثيرة داخل الكنيسة، وفى الواقع كانت يوليخاريا أخت الأمبراطور، ثيودوسيوس تحمى البطريرك فلافيان سرّاً، ولو أنها لم تستطع حمايته علانية، إذ كانت تخشى بطش الإمبراطور ثيودوسيوس، الذى كان يكره الذين يزعمون أن المسيح ذو طبيعتين، ويقبل الإيمان أن المسيح ذو طبيعة واحدة من طبيعتين. لكن هؤلاء الذين نشروا الهرطقات كانوا يعملون عبثاً.

ومرة طلبت بوليخاريا، أخت الإمبراطور بجرارة، أن يمنحها حديقة كبيرة، فأجاب الإمبراطور رغبته. ولكنها لفقت عقداً مزوراً كتبت فيه (أن الإمبراطور وهب لها قصراً وحقولاً وحدائق) وقدمت هذه الوثيقة للإمبراطور ليوقع عليها. فأمر الإمبراطور ببساطة قلب، أن تقرأ الوثيقة أمام مجلس الشيوخ المجتمعين، وحينئذ نهضت بوليخاريا في الوسط بلا حياة ولامت الإمبراطور، الذي ينفذ وثائق حكومته، هكذا بلا تدقيق، عندئذ تناول الإمبراطور الوثيقة ليقرأها قبلما يوقع عليها فوجد مكتوب فيها هذه الكلمات (ما يختص بالإمبراطورة أودوسيس أنها أصبحت عبدة لي) فإغتاظ الإمبراطور جداً لأن بوليخاريا أظهرت وقاحة وقلة حياة وأمر بنقلها في مبنى بعيد، وترك حرية للآب البطريك أن يفرض عليها قانوناً، وبعد ذلك يكرسها شماساً، بعد هذا الحدث مباشرة نشأت عداوة كبيرة بينها وبين الإمبراطورة أودوسيس وانفصل الإمبراطور، عن أخته بوليخاريا.

وبعد فترة من الزمن، أمر الإمبراطور باستدعاء مجعاً آخر في مدينة أفسس، وطلب حضور الآب ديسقورس، الذي عين بطريكاً للأسكندرية، بعد كيرلس، وكذلك فلافيان بطريك القسطنطينية، ويوساب أسقف ديورلي، ودمونيس بطريك أنطاكية، وايباس، ويوحنا، وثيودوريت... مطارنة المشرق...

بعد ذلك مرض الإمبراطور المبارك ثيودوسيوس، وتنيح تاركاً هذا العالم، ليذهب إلى جوار ربه، بينما كانت الإمبراطورة أودوسيس، تعيش في خلوتها في الأماكن المقدسة في أورشليم. أما بوليخاريا فتقدمت بجرأة، ودون أن تأخذ رأى الإمبراطور فالنتينيان، إمبراطور روما، ولا أخذت برأى القضاة، أو مجلس الشيوخ. فأصدرت مرسوماً إمبراطورياً. وتزوجت مارسيان قائد الجيش، فوضعت على رأسه التاج الإمبراطوري وجعلته إمبراطوراً، وضحت بعذراويتها، وأصبحت زوجة له، ثم وضعت التاج على رأسها، وكان الإمبراطور الجديد، يحصن حولها ليمنع أى شخص من أن يتفاوض معها، أو يسلبها تاجها.

وحدث يوم إرتقاء مارسيان العرش، أن أظلمت الأرض كلها، منذ الساعة الأولى من النهار، واستمرت حتى المساء. كمثل الظلمة التي سقطت على أرض مصر، في عهد موسى رئيس الأنبياء، وأصاب سكان القسطنطينية فزع عظيم، وكانوا مذهولين يكون ويولولون، بصراخ وأنين غير مألوف، فكان يبدو لهم أن نهاية العالم قد قربت، وكان كل الشعب من كبيرهم إلى صغيرهم، وكل القضاة، ومجلس الشيوخ والجيش، في حالة هياج في المدينة، وكانوا يصيحون قائلين. لم نرى مثل هذا الحدث، منذ قبل، ولا سمعنا عنه أبداً، منذ العصور السابقة في الأباطورية الرومانية. وفي اليوم التالي أشفق الله عليهم لخبته للبشر، فأشرقت الشمس مرة أخرى، وظهر نور النهار.

واستدعى الأباطور ماركيان في مدينة خلقدونية مجمعاً، مكوناً من ستمائة وستة وثلاثون أسقفاً، وهؤلاء عزلوا ديسقوروس بطريرك الاسكندرية، وقرروا أن فلافيان الذي نفى قديماً ومات في منفاه، في عهد ثيودوسيوس الأباطور، ينبغي أن يذكر في سجلات الكنيسة كأباطور أرثوذكسى.

وهبت اضطرابات عنيفة في القسطنطينية، وباقي البلاد، كما مرض ماركيان مرضاً خطيراً، وظل في مرضه مدة خمسة أشهر، ثم تقلصت قدماه ومات. وكانت مدة حكمه ست سنوات، وكانت بوليخاريا قد ماتت قبله. وأخيراً رقدت الأباطورة أودوسيوس في مدينة أورشليم، المقدسة محاطة بالتقدير، والأعمال الطيبة والسيرة العطرة؛ بعدما رفضت أن يكون لها أية علاقة بيوجاليوس أسقف أورشليم، وبرجاله الذين اجتمعوا في خلقيدونية، لأنها علمت أنهم أفسدوا الإيمان الحق، الذي لأبائنا القديسين، والأباطرة الأرثوذكسيين.

ولكنها كانت تطلب بركة الكهنة والرهبان الذين كانوا على صلة بثيودوسيوس، بطريرك الاسكندرية.

وبعدما قتمت كل هذه الأمور تنيحت، فوضعوا جسدها بكرامة عظيمة، وبأطياب، في المقبرة التي كانت قد أعدتها أثناء حياتها، وهكذا إنتقلت إلى الله العظيم المجد.

الفصل الثامن والثمانون

بعد موت ماركيان إعتلى العرش الإمبراطور لاون (التركي)، وإبان حكمه تنجست مدينة أنطاكية، وتغطت بالخراب على أثر زلزال، وسقطت عليها من السماء أمطار من البرق بدل المياه. وإرتفع اللهب فوق الأسطح، والسكان من كثرة الانذهال، صرخوا إلى الله بالصلوات والتوسلات، لأن هذا البرق كان كنار متوهجة، لكن الله المحب للبشر أطفأها وحوّلها بروق أمطار.

وحدث هذا مرة أخرى بمدينة القسطنطينية، حيث سقطت نار من السماء بطريقة لم تحدث من قبل. وكانت ممتدة من ناحية البحر إلى الأخرى فخشى الإمبراطور أن يصاب، فترك القصر وأقام بكنيسة على اسم القديس مامي Mammes لمدة ستة أشهر، مكرساً كل وقته للصلوات والتضرعات، ومنع الإمبراطور لاون كما حدث في عهد ماركيان، كل المسرحيات والموسيقى في يوم الأحد لتقديسه، كما طرد الأريوسيين من كل أقاليم إمبراطوريته، ومنع كل أتباعهم من أن يدخلوا الكنائس.

أثناء حكم هذا الإمبراطور، اتهموا أحد الفلاسفة، ويدعى إيزوكاس وكان رجلاً حكيماً جداً، وقاضياً أميناً. ولأنه كان وثنياً، فكان يتحيز لسكان سيسيليا، في حين أنه كان يعمل بوظيفة مترجم في أنطاكية، وسلمه الإمبراطور ليدى يوسوس الحاكم ليطرده، ولكنهم انتزعوه من بين أيدي الحاكم، واقتادوه عارياً موثقو اليدين خلف ظهره، إلى خارج باب يدعى زور كسيب حيث كانت الجموع مجمعة.



ولما إعتلى الحاكم المنصة، ووجه له هذا الكلام: هل ترى هذا الجمع، والمشهد
المحزن الذى تقدمك؟ فأجابه: نعم إنى أراه، ولا يدهشنى هذا، لأنى إنسان، وقد
وقعت تحت تعذيب الجسد، كما كنت أنا أحكم على الآخرين، فإنى الآن أحاكم
شخصياً!!.

ولدى سماع إجابته المملوءة إعترافاً، فإن الناس أيضاً المشاهدين لهذه المحاكمة،
قاموا وأنزعوه من يدى الحاكم واصطحبوه إلى إحدى الكنائس، وبدون استخدام
أى عنف آمن يسوع المسيح قائلاً: آباءى كانوا وثنيين، وها أنا أصبح مسيحياً!
فعلموه الديانة المسيحية وعمدوه فأصبح مسيحياً.

ثم وهبوه الحرية، فاستعاد وظائفه، وعاد إلى بلده مغموراً بمحبة الإمبراطور، ولما
علم الإمبراطور لاون بالاضطرابات التى حدثت بالاسكندرية فى عهد ماركيان، وما
حدث من قتل، بسبب مجمع خلقيدونية، وعلم بأن الشعب أقروا العقيدة الحقّة فى
الطبيعة الواحدة ليسوع المسيح، وأنهم قتلوا بروتوريوس أسقف الخلقيدونيين، الذى
كان قد وقف ضده. (هذا الأسقف كان أولاً ارشيدياكون ثم بعدما وقع على
الوثيقة الامبراطورية عينه الخلقيدونيين بطريكاً، ولكن الشعب الأرثوذكسى ثاروا
ضده وقتلوه، ثم أحرقوا جثته).

وعندما علم الإمبراطور لاون بكل ما حدث عين تيموثاوس، تلميذ البطريك
ديسقورس بطريكاً على الاسكندرية.

وعاش تيموثاوس قبلاً بتقوى كراهب فى دير القلمون، وسيم قسيساً، ثم رسم
بطريكاً بعد موت ديوسقورس، الذى كان قد عزل بطريقة غير شرعية من
الإمبراطور ماركيان ومجمعه.

ورفض تيموثاوس أن ينضم إلى مجمع خلقيدونية، الذى كان يثير العالم أجمع.

وجه الإمبراطور لاوون بعد ذلك خطاباً إلى كل الأساقفة، يستحلفهم فيه بأن يعرفوه بالضبط عن رأيهم بخصوص ما حدث بمجمع خلقيدونية. لكن الآباء الأساقفة كانوا يخشون الإمبراطور، فاختلفوا من أمامه ولم ينطقوا بشيء بخصوص المجمع.

أثنان فقط من الأساقفة قالوا رأيهم: أحدهما يدعى (أوسطاني، وأرمطس) وهو رجل مملوء بالمعرفة ومحنك ومتعمق في الكتب المقدسة، هذا أعلن للإمبراطور أنه بسبب الخوف من ماركيان، فإن أساقفة خلقيدونية كانوا متعطشين للعقيدة، لدرجة أن العالم كله كان مضطرباً، وكذا الكنيسة كلها.

والثاني: هو أسقف أنفيلوك (يبدو أنه أنفيلوك مطران سادوم)، أجاب بنفس هذه الطريقة.

أما الأساقفة الآخرون اتباعه، فإنهم امتنعوا عن الكلام بصراحة إلى الإمبراطور، متحدثين عن طغيان الإمبراطور ماركيان، فصرخوا إن ما فعلوه في خلقيدونية كان بسبب خوفهم من سلطة الإمبراطور.

وقد ظهر في ذلك الوقت أوتيوكوس النسطوري، الذي كان يبحث عن الهلاك، وكان رجلاً يجهل الكتب المقدسة ولم يجتهد في تعلمها.

وعند وصول البطريك تيموثاوس إلى الاسكندرية اختطف وأقتيد إلى مكان يسمى شيزوناير حيث أسكنوه هناك. وحدث اضطراب وسخط بالاسكندرية، لأن حاكم المدينة، الذي كان قد استخدم العنف تجاه الآب البطريك تيموثاوس، دود ومات وصار مصابه واضحاً، حتى أن كل الشعب قالوا فيما بينهم: أن هذا الذي أصابه كان عقاباً من الله القدير المجد، بسبب هذه المعاملة الرديئة التي أوقعها على خادم الله البطريك ولكي يعلم العالم كله، أن الله يسهر على مختاريه، وأنه ينصف المضطهدين.

حكم باسيليسكوس (بازيليك)

حكم بعد الإمبراطور لاوون وخلفاؤه الأباطرة باسيليسكوس، ونادى بابنه "مارك" أغسطساً واتخذته زميلاً مدة ما.

وطلبت منه أخته فيرينا، أن يعين رئيس القضاة أغسطساً، ورئيساً لأعمال الإمبراطور، فحصلت على مكانة لباتريس.

(جاء عن تاريخ كانديدس Candidus المحفوظ بمكتبة فوتيوس أن فيرينيا تأمرت ضد حكومة زينون وأرادت أن تضع عشيقها باتريس على العرش. ويبدو حسب هذا النص أنها طلبت من بازيليك، لقب أغسطس لباتريس، ولكن المترجم ربما فهم لقب أغسطس على أنه اسم علم، ثم خلط بين اسم باتريس، وعظمة ماباتريس أى المواطنين الرومانيين المنتسبين للطبقة العليا).

وارسل الإمبراطور في إرجاع البطريك تيموثاوس القديس من المنفى، الذى نفاه إليه لاوون الأول، ثم قربه من شخصه، وعندما وصل البابا إلى القسطنطينية قابله بالتكريم، وحسن المعاملة اللائقة، لوقاره الكهنوتى، واستقبله مجلس الشيوخ، وكل الشعب استقبالاً كبيراً، وارسل خطاباً إلى كل الأقاليم، وكل الأساقفة يأمرهم بطرد كل من يقول بعقيدة الخلقيدونيين، وأن يحرموهم من الشركة المقدسة.

وقدم القديس البطريك تيموثاوس مع رفاقه الوريثين للإمبراطور بازيليك هذه النبوة: "فى اليوم الذى تنكر فيه ممارسة العقيدة الموجودة فى هذا المكتوب، لن تدوم حكومتك بل ستنتهى حكومتك بسرعة".

فأجابهم: لن أنكر أبداً الأخذ بهذه العقيدة، بل على العكس، سأجمع مجعاً بأورشليم، لكى أثبت هذه العقيدة الأرثوذكسية تماماً.

عندما سمع البطريك القديس تيموثاوس هذه الكلمات، توجه لوقته إلى

ولكن الإمبراطور باسيليسكوس، ما لبث أن أغرته الهدايا، فنقض كلامه، وألقى ما كان قد أقره سابقاً، ولم يستدع كما قال مجمعاً في أورشليم، كما وعد البطريك تيموثاوس. ولكننا رأينا على العكس كتب وثيق أخرى، فيها أمر بأن يتركوا عقيدة الخلقيدونيين كما هي.

مما جعل نبوءة الآب القديس تيموثاوس والرهبان رفاقه تتم فعلاً. حيث حدث بالقسطنطينية وباء مميت، لدرجة أن قل عدد الناس القادرين على دفن الجثث التي كانت تنقل.

ثم تحطمت مدينة جابالا بسوريا بزلزال.

قام زينون أخيراً بحرب، وأثار إقليم سوريا وجمع جيشاً عظيماً وتوجه إلى القسطنطينية، وعندما وصل إلى مدينة أنطاكية، قبض على البطريك بطرس، الذي طلب منه أن يعرفه بخطط الإمبراطور باسيليسكوس تجاهه.

ولما علم الإمبراطور باسيليسكوس، بهجوم زينون أرسل القائدين، أرماتوس، وسيرباتوس لمحاربتة، مع عدد كبير من الجنود الذين كانوا في قصره في بيزنطة. وقبلما يمضي هؤلاء الضباط استحلفهم بالمعمودية المقدسة، ألا يخونوه ولا يتصرفوا رديناً من نحوه.

لكنهم ما لبثوا أن إمتنعوا عن محاربة الإمبراطور زينون قائلين في سرية. "نحن سنسحب إلى مكان ما، وأما أنت فلتسد بنفسك تماماً على مدينتك" وأكثر من هذا، أنهم وجهوا لباسيليسكوس نصيحة خادعة بقولهم. "أخذ طريقاً مختلفاً، وحارب زينون عند باب القسطنطينية.

وفي لحظة إقتراب زينون من الأسوار، تقدم إليه كل الشيوخ، وكان مسروراً جداً لاستقبالهم له هكذا.

وطلبت حماة زينون، المدعوة فيرينيا، القاء أخيها باسيليسكوس فى صهريج، لينجو مما أحاطه من خطر. وكذا زوجته رينونير وأولادها لجأوا إلى جرن المعمودية فى إحدى الكنائس.

فجاء كل الشيوخ، وقدموا الاحترام والتكريم للإمبراطور زينون ونادوا به إمبراطوراً عليهم.

وهو بدوره أرسل إلى الكنيسة، التى احتفى فيها باسيليسكوس، وجرده من كل علامات الإمبراطورية التى كان يحملها. ثم أغراه بوعده مضلل هو وأولاده، ثم طرد هؤلاء البؤساء من القصر، وأمر بنقلهم إلى إقليم كبادوكيا، فى قصر هناك يسمى لنيس، وعندما أحضروهم أمام حاكم الأقليم، حبسهم فى قلعة تبعاً لأوامر الإمبراطور، وتركهم فيها بدون طعام وشراب يموتون بلا رحمة، حيث دفنهم فيما بعد فى نفس المكان.

أما البطريك بطرس، فنقلوه مكبلاً بالسلاسل إلى مدينة Euchates du pont لأنه ساند الإمبراطور باسيليسكوس، وكان له دلالاً عليه وهو الذى توجه. ولذلك فإن باسيليسكوس أيضاً هو الذى عينه بطريكاً.

وأقاموا بعد ذلك بطريكاً لأنطاكية هو (آتين) الذى كان يقاوم العقيدة النسطورية، ولذلك كان كل سكان المدينة يكرهونه، وقتل بواسطة الشعب والاكليروس فى مكان يسمى ... (كنيسة القديس برلام) فى يوم تذكار الأربعون شهيداً، وعندما قتلوه ألقوا بجثته فى نهر Orante أورينتو.

وعين الإمبراطور زينون مكانه بطريكاً آخر يدعى كالنديون. (كالانديون) وكان يميزه بطريقه خاصة.

وعندما عاد الإمبراطور إلى مدينته وزع صدقات كثيرة للفقراء.

وعين أرماس، فى هذا المكان لمساعدته، وكذا أقام ابنه قيصر، لأنه كان قد وعدهم بذلك.

وأصبح أرماس هذا رئيساً للحكومة، وقد إتخذ طرقاً إستبدادية، وصار قوياً جداً، بحيث لا يجروء أحد أن يعارضه، وخطط أساليباً إجرامية.

ولما علم الإمبراطور بهذه الأعمال الإجرامية، أمر بقتله فى دهليز القصر. ولما عزم أن يحارب الفرس خاف من بازليك القيصر ابن أرماس (الذى كان لايزال شاباً) فقام بخلع تاج السلطة عنه، ووزع أملاكه للشعب وأمر بحراسته فى سيزيك، ولما رأى ثيودوريك أحد حراس الإمبراطور هذه التصرفات الصعبة، خشى أن يلحقه هو أيضاً على يد الإمبراطور زينون نفس مصير أرماس. فرأس جيش الغوط الذين من إقليم ميسيا. وكان (دودوريكوس) قد تربى فى العاصمة، وعلى دراية بالعلوم المخالفة للدين.

فتقدم إلى مدينة سيلمبرى وأخضع كل الشعب له، ثم إستولى أيضاً على إقليم تراك، وذهب بعد ذلك من مدينة سيكين على رأس قوة عظيمة، ولكنه ظل مدة طويلة، دون أن يتمكن من مقاومة مدينة بيزنطة، أو يواجه الإمبراطور زينون، ثم هاجم مدينة روما وطلب أن يحضروا له رئيس البربر، الذى كان يحمل لقب "ريكس"، والذى كان يسمى (أودواكر)، ثم استولى على مدينة روما بالقوة، وقتل كل البربر، وأقام بها نحو سبعة وأربعون سنة يلقب بالملك، ولم يشرك أى ملك آخر معه، كما لم يتخذ أى إجراء، بدون رأى الإمبراطور زينون، فجعل الشعب يحترمون سيادة الإمبراطور، وكان مكرماً من المجلس وكل القضاة.

كانت هناك سيدة من النبلاء تدعى جوفيناليا، هذه جاءت لمقابلة دودوريكوس الملك، وقالت له أن لها نحو ثلاث سنوات تعاني من الظلم، لأن لها قضية مع النبيل فيرماس ولم ينصفها أحد. فاستدعى دودوريكوس القضاة، وقال لهم: ها أنا أحذركم

إذا لم تنتهوا من قضية هذه المرأة مع خصومها، وتقيموا العدل والانصاف بين الطرفين، بحسب القانون، وإلا سأمر بقطع رؤوسكم.

وبعدما انصرف القضاة، مكثوا نحو يومين يحاولون إنهاء قضية هذه المرأة بحسب العدالة، وبعدها اشعلت المرأة شمعة وجاءت لمقابلة الملك، لتقدم له الشكر. وقالت له: إن قضيتي التي ظلت معلقة طويلاً، قد انتهت بفضل أوامر جلالتيكم.

واستدعى الملك القضاة وقال لهم: أيها الرجال الفاسدون، كيف إنتهيتم الآن من هذه القضية خلال يومين، في حين لم تتمكنوا من إنهاؤها منذ ثلاث سنوات؟ ثم أمر بقطع رؤوسهم فانتشر الفرع في كل المدينة، وهكذا استطاع دودريكوس بهذه الطريقة، أن يخلص مواطني روما من المظالم.

بعد موت دودريكوس، تسلم الحكم أتالريك، وكان من أتباع الأريوسيين. لذلك أرسل الإمبراطور زينون ضابطاً يدعى كريستور إلى الأسكندرية، حتى يحضر له البطريك تيموثاوس رجل الله، وعندما وصل أمام البطريك، وقال له: إن الإمبراطور يطلبك بالقرب منه. أجاب الآب البطريك بقوله: "إن الإمبراطور لن يراني" وما لبث بعد ذلك أن مرض البطريك وتنيح كما قال.

حينئذ قام الشعب الأرثوذكسي بانتخاب البطريك الجديد فإنتخبوا الأرشيدياكون بطرس، الذي سمى منقوس ولكن قضاة المدينة أرادوا أن يقبضوا عليه، فهرب من أيدي الجنود، وأختبأ في منزل أحد المؤمنين، فحدث بسببه اضطراب في المدينة.

وإنتخبوا أنصار بروتوريوس الخلقيدوني، من جهتهم بطريكاً، يدعى Ayes غايس، الذي مات بعد فترة قصيرة.

ثم اختار الخلقيدونيين أيضاً بطريكاً اسمه (يوحنا) وهو أحد رهبان دير تابنسية بالاسكندرية وقد استولى على كرسي غايس بخديعة الحكام عن طريق الهدايا

والهبات، وأعلن كذباً أنه حصل على تعهد رسمي، بأنه ليس من المهم أخذ موافقة الإمبراطور زينون لتعيينه، من رؤساء الكنيسة.

ولما علم زينون بهذا غضب جداً، وأمر بنفيه، وعندما علم يوحنا بأن الإمبراطور أمر بطرده، هرب ومضى إلى روما - في ذلك الوقت كان أكايوس بطريك القسطنطينية مكرماً عند زينون، فأقنع الإمبراطور بإصدار أمراً، بكتابة الإينوتيكون، أى قانون الإيمان الخاص بالثلاثة مجامع (نيقية، والقسطنطينية، وأفسس) وأن يلغى المجامع الأخرى. لذلك فإنه أمر بعودة البطريك بطرس، الذى هرب سابقاً لأنطاكية. ونجد بعد ذلك أن كالنديون بطريك أنطاكية، هرب أيضاً خوفاً من أن يقتل، لأنه كان خلقيدونياً، ولأن الشعب هناك كانوا قد قاموا على البطريك آتين سالفه وقتلوه.

وكان الكهنة والشعب يصلون، من أجل الإمبراطور زينون. وقد قبل البطريك بطرس قانون الإيمان، الذى أمر بكتابته الإمبراطور. لكن حدثت قلاقل واضطرابات فى المدينة بسبب قانون الإيمان هذا، لأن كثيرين كانوا يكرهون مجمع خلقيدونية، وما أصدره من قوانين، والذى يعلن أن المسيح له طبيعتان، وهذا ما يقره اساقفته، بينما كتاب زينون أعلن أن المسيح كلمة الله، وقد صار جسداً، وهو طبيعة واحدة من طبيعتين ووجب ذكر ذلك فى دفتكيو الأساقفة الذين أبعدها.

ثم قام الإمبراطور زينون، بتكريم أرماس والد قيصر، وكان قد قطع عهداً مع أيولس مع أن أيولس كان قد حارب الإمبراطور زينون. وعندما رأى أيولس أن أرماس الذى كان يحب الإمبراطور زينون قتل، خشى أن يلحقه نفس المصير، فأختفى فى سورية، وكان قد طلب من الإمبراطورة فيرينيا، حماة زينون، أن تميل عقل الإمبراطور من جهة أرماس، ولكنها فشلت فى ذلك. وقد أخفى الإمبراطور زينون على أخيه لونجان الخطط السيئة التى إتخذها ضد هذه المرأة، حتى لا تحدث

مغاضبة بينهما، أو تحصل اضطرابات في بيزنطة، لحظة تنفيذها. إذ كانت هذه المرأة إمبراطورة. وإتفق الإمبراطور مع أيولس، أنه سيبعدها، حيث يرسلها إلى سوريا، وهناك يقتلونها. وعندما مضت فيرنيا إلى هناك، جاء أيولس واعتصم في القصر، وجعل عدداً كبيراً من الجنود لحراسته، ثم اصطحب معه لونجان أخو الإمبراطور. وعندما علمت فيرنيا بهذه الملابسات أرسلت خطاباً إلى ابنتها زوجة الإمبراطور، فطلبت إبتها من الإمبراطور أن يسمح لفيرنيا، أن تسكن في قصر سوريا، فأجابها الإمبراطور (لا أستطيع أن أغضب أيولس شريكى، ولكن وجهى طلبك له بنفسك، وإذا وافق هو فسأسمح أنا بذلك). فأرسلت الإمبراطورة رسالة إلى أيولس، تتوسل له بالدموع، أن يسامح أمها، وأن يسمح لها بالبقاء في ذلك المكان، ولكن أيولس رفض أن يوافق على طلبها وقال لها: (لا أشك أنك تريدين أن أعين إمبراطوراً آخر، ليحل محل زوجك!) فغضبت الإمبراطورة بشدة، وذهبت لمقابلة زوجها الإمبراطور، وقالت له هل من الممكن أن أبقى في هذا القصر، في نفس الوقت مع أيولس؟ فأجابها الإمبراطور إفعلى ما شئت، لأنى بالطبع أحبك أكثر من أيولس، وغيره، فتشجعت الإمبراطورة بكلامه، وأمرت أدريانوس رئيس حرس الحرملك، بقتل أيولس. فكلف أدريانوس رجلاً يدعى سكولاريوس، قائد الجيش بذلك.

وكان له مع رجاله طريقاً مباشراً إلى مسكن الإمبراطور، فمضى لوقته وأخرج سيفه، ليضرب به أيولس ويقطع رأسه، في دهليز القصر. وعندما شاهده أحد الضباط، أسرع وأمسك منه السيف بعدما كان قد قطع أذن أيولس، فلم يلحق برأسه.

وحمل أيولس إلى قصره بواسطة رجاله، ولما علم الإمبراطور زينون، بهذا الحادث، أعلن في خطابه أنه كان يجهل هذا الاعتداء، على أيولس، وبعدما شفى أيولس طلب من الإمبراطور زينون أن يسمح له بالذهاب إلى الشرق، حتى يتم

شفاؤه، فلا يعود إليه المرض، وطلب منه هذا بنوع من الخضوع ليخفى مقاصده الشريرة، ودون أن يعلم الإمبراطور بخداعه، فأعطاه تصريحاً بذلك.

وعين مكانه رجلاً آخر، سلمه السلطة، وكان أيولس يرغب في أن يصحبه لاوون، وباميريوس متعللاً بأنهما سيتفاوضان في الصلح، بين فيرينيا والدة الإمبراطورة، وبين الإمبراطور زينون، ليرجعوها إليه بكرامة. فقبل الإمبراطور هذه التسوية، ووافق على سفر الأشخاص الثلاثة، بصحبة شخصين آخرين، هما مارسيوس، وفاليانوس، وهما قاضيان في سوريا، وقد رافقتهم بعض الحكام والفرق. وعندما وصلوا إلى أنطاكية، بقى فيها أيولس مدة عام حيث غمره الشعب بالتكريم، ثم مضى إلى سوريا أيضاً، وأنزلوا فيرينيا من القصر، وكتبوا اتفاقات وعهود متبادلة، مع باميريوس، الذي كان مولعاً بالسحر.

وهذا أقنع الضباط في جعل لاوون إمبراطوراً، وبالفعل نودى به، وقد أقره القديس بطرس في خطابه الذي قاله خارج أسوار طرسوس، عاصمة سيسليا.

ثم وجهت فيرينيا رسالة، إلى كل المدن والحكام وإلى جيوش الشرق، ومصر، تحثهم على الاعتراف بحكومة لاوون، دون اعتراض، وهذا مضمون الرسالة: "أعرفكم بخصوص إمبراطوريتنا، أنه بعد موت ليون ذو الذكرى العطرة أننا عينا، تراسكالازي، الذي هو زينون إمبراطوراً، وليكون المنفذ والمخلص لسلطتنا، وليحكم الشعب بعدل، ولكننا قد رأينا أنه ترك الأمانة وإنحاز إلى الجشع، فإعتبرناه طاغية، ولا يصلح، ويعتبر مغتصباً، ولذلك فقد عينا إمبراطوراً آخر مسيحياً، ومحباً لله، متميزاً بالرحمة والعدل، حتى ينقذ هذا البلد بسلوكه الطيب، ويضع نهاية للحروب، ولكي يحمي أتباعه، بحسب القانون الوضعي للإمبراطورية الرومانية، ولنا ثقة أنه سيجتهد لعمل الخير".

وعندما قرأت هذه الرسالة في مدينة انطاكية، صاح الشعب كله قائلين: أيها السيد أظهر رحمتك علينا، واصنع ما هو خير لنا.

وبعثت هذه الرسالة أيضا إلى الاسكندرية ثم جاء لاوون بعد ذلك إلى أنطاكية، وأقام في القصر، وعين ليليانوس حاكماً وقاضياً للإقليم، ومكث بها خمسة عشر يوماً، وذهب إلى كليسيس مدينة في سوريا، لكي ينتقم من هذه المدينة، التي كانت ترفض الاعتراف به، وكانوا يسمونه (ثائراً على الامبراطور). وظل يحارب نحو شهر ونصف ضد هذه المدينة، دون أن ينجح في الإستيلاء عليها. فلما علم الإمبراطور زينون بكل ما حدث، أرسل ضابطاً محنكاً، يدعى يوحنا، وهو رجل حرب، شجاعاً، على رأس عدة فرق، لكي يقاوم هؤلاء المنشقين، وما أن علم أيولس الذي كان آنذاك في سيسليا، أن لاوون لم يكن مستعداً لمقاومة القائد يوحنا، مضى إلى جواره، وقررا هو وفيرنيا الهرب ليختبئا، في أحد قصور سوريا، المسمى بابيرس، فغادر لاوون بسرعة هارباً إلى إقليم الشرق وانضم إليه أيولس وعبيربيوس وفيرنيا، واعتزلوا في هذا القصر.

لكن فرق الإمبراطور زينون جاءت وحاصرتهم، وماتت فيرنيا بين هذه الأسوار، ولما علم رجال القصر أن بمبيربيوس كان ينوى أن يرتد عليهم، قاموا عليه وقتلوه وألقوا بجثته من أعالي الأسوار.

وبعد جهاد كثير، إستولت الفرق على القصر، وطردوا جميع المقاومين منه، وقبضوا على لاوون وأيولس الذين كانا سبباً في هذه المفاسد ووضعوهما على منصة القضاء، وسط الجموع، ثم حكموا عليهما بالموت، فقطعوا رأسيهما وحملوهما إلى الإمبراطور زينون بالقسطنطينية.

يحكى عن الإمبراطور زينون أنه كان يتحدث يوماً مع موريانوس، الفلكي الذى كانت تربطهما مودة، وكان يتنبأ له بكل ما كان يحدث، فسأله عمن يرتقى عرش الإمبراطورية من بعده؟

فأجابه موريانوس، بأن سبلنسير هو الذى سيأخذ امبراطوريتك، وكذلك زوجتك. وكان معه رجلاً يدعى بيلاج، الذى كان فيما مضى أحد النبلاء ولكنهم عزلوه ظلماً وكان يظن أنه هو الوريث.

ولما سمع الإمبراطور هذا الكلام، إستودع سبلنسير ستة رجال مخلصين لحراسته، وأمرهم بخنق هذا الرجل البريء أثناء الليل، وبعدما خنقوه ألقوا بجثته فى البحر.

وعرفت هذه الفعلة، وهذا القتل البشع، ولم يصمت أحد خاصة أركاديوس القاضى، وهو مخلص للعدالة، وكان يكره العنف، بل أنه وبخ الإمبراطور بسبب جريمته، التى إرتكبها بوحشية، بقتل سبلنسير النبيل، فغضب الإمبراطور على أركاديوس وأعطى أمراً بالقبض عليه، وقتله حينما يهم بالدخول إلى القصر.

ولما قام الحراس بتنفيذ أمر الإمبراطور، هرب أركاديوس من بين أيديهم.

وبينما كان الإمبراطور زينون، ذاهباً إلى الكنيسة ليصلى ملتمساً العفو من الله، مرض بالدوسنتاريا الحادة ومات فى الحال.

الفصل التاسع والثمانون

عندما مات الإمبراطور الورع زينون، خلفه على العرش أنستاسيوس المسيحي، الذى كان يعيش بمخافة الله، وكان أحد أمناء الإمبراطور، وبفضل الله وتأثير صلوات آبائنا المصريين، أصبح إمبراطوراً.

وفى الواقع كان الإمبراطور زينون قد نفاه إلى جزيرة القديس إيراى الواقعة فى نهر منوف، وكان أهالى منوف يعاملونه بالحسنه.

وكان حاكم مدينة حزينة بإقليم الاسكندرية، وسكان هذه المدينة، ايضاً مرتبطين معه بمودة كبيرة، وكانوا يجلبونه ويعترفون له بحب كبير.

وذات يوم كان أنستاسيوس، مغضوب عليه من الإمبراطور زينون، فإتفق سكان منوف، وسكان حزينة على أن يصعدوا نذوراً له، على مرتفع فوق دير القديس ثيوفورس وكان يقيم على أرض هاتين المدينتين، رجل ميزه الله بمعرفة كل الأشياء، هو الآب جيريمى، وبينما يتحدثون عن الحياة المقدسة التى لرجل الله، أرادوا التبرك منه، ورغبوا أن يصلى من أجلهم إلى السيد المسيح.

فذهبوا إلى الآب جيريمى، رجل الله فباركهم جميعاً، ولكنه لم يقل كلمة واحدة إلى أنستاسيوس. وقد أصيب أنستاسيوس بحزن عميق بعد ما رحل الجميع، للدرجة أنه كان يبكى وينتحب بمرارة، قائلاً فى نفسه "أنه بسبب خطاياى الكثيرة منع عنى الرجل بركتته، عندما بارك الكل".

فعاد سكان منوف، ومدينة حزينة وأمونيوس، ورجعوا إلى رجل الله، وأخبروه بحزن أنستاسيوس الشديد، فناداه الآب جيريمى وحده على انفراد، مع أصحابه المؤمنين، ومع أمونيوس وقال له:

لا تحزن بسبب إعتقادك وقولك، أنه بسبب خطاياك لم يباركنى هذا الشيخ! فالأمر ليس هكذا، بل على العكس، فإننى امتنعت عن مباركتك، لأنى رأيت يد الله موضوعة عليك، فكيف أجروء أن أبارك الشخص المبارك والمكرم من الله؟!

إن الله إختارك من بين الآلاف لتكون مكرماً، لأنه من الواضح أن يد الرب الاله، تمتد على رأس الملوك وقد وضع الله ثقته فيك، لتصبح مساعده على الأرض حتى تحمى شعبه، وعندما تتذكر كلامى هذا وتحقق النبوة، ليتك تنفذ بأمانة الرسالة، التى أعطيك إياها اليوم، لكى ينقذك الله من أعدائك.

وها هي: "لا تتركب أى خطية، ولا تشرع شيئاً ضد الديانة المسيحية، ديانة يسوع المسيح، ولا تقبل العقيدة الخلقيدونية مطلقاً، التى تهين الله".

هذه النصائح أعطاها الآب جيريى، إلى أنستاسيوس وقد تلقاها ونقشها على قلبه، كما فعل موسى النبى عندما تلقى من الله لوحى العهد، الذى كان محفوراً عليه وصايا الناموس.

وبعد فترة من الزمن إستدعى انستاسيوس من منفاه، الذى حكم به عليه إمبراطور هذه الأرض بمقتضى سلطته، ثم عين إمبراطوراً.

عندما جلس على العرش، أرسل رسالة إلى تلاميذ الآب جيريى، وإستدعاهم إلى جواره، ومن بينهم الآب فارينانوس، الذى كان قريباً للآب جيريى، وقد طلب منهم الإمبراطور بإلحاح، أن يتقبلوا بعض المؤن للطريق وللدير لكنهم رفضوا، لأن أباهم القديس جيريى، كان قد حرم عليهم أن يقبلوا أى شىء كان، إلا البخور وبعض الأشياء المقدسة ليقيموا بها القداس ويقدموا الذبيحة.

وارسل أنستاسيوس أناساً، إلى الجزيرة التى كان منفياً فيها، وأمر ببناء كنيسة كبيرة ورائعة، على اسم القديس جيريى، ولم تكن لهم فيما مضى إلا كنيسة صغيرة، ثم أرسل إليها كثيراً من الأواني الذهبية، والفضية والأقمشة الثمينة.

وارسل أيضاً كثيراً من الذهب والفضة، إلى أصدقائه فى منوف، وفى حزينة، وقد كثرين منهم فى سلك القضاء وشجع بعضهم للدخول فى الكهنوت.

أرسل أناستاسيوس صديق الله، وأمر إلى أنطاكية وإلى كل المدن الأخرى، ليبتل الحرب الأهلية، التى كانت موجودة بين الشعب، وجعلهم يحترمون السلطة، كما يليق بالمسيحيين، وكتب إلى كل قضاة إمبراطوريته، لينفذوا هذه الأوامر،

ويسهروا على تعليم الشعب، باحترام السلطان كما يليق بالمسيحيين. حدث بعد ذلك اضطرابات في محل إقامة الامبراطور نفسه، وذلك بتأثير عدو الخير أبلّيس، وطلب الشعب وهتفوا بالألا يوضع أحداً من الشائرين، أو المعارضين في السجن. وذلك لأن الحاكم كان قد سلم عدداً كبيراً منهم لكي يقتلوهم رمياً بالحجارة. ولكن الإمبراطور لم يستجب لهم، ورفض أن يطلق سراحهم، وغضب جداً، وأمر الفرسان بشحنهم.

وعندما نزل هؤلاء الفرسان لشحن الشائرين، تجرأ أحد الأسرى واقترب من كرسي الإمبراطور وألقى عليه حجراً، ظناً أنه يقتله، ثم عاد إلى مكانه ظناً منه أن أحداً لم يعرفه، ولكن عناية الله حفظت الإمبراطور فوق الحجر، على حافة الكرسي فكسرتها، وقد نحوا هذا العبد الذي ألقى الحجر، فاندفع الحرس من نحوه وأمسكوه وقطعوه إرباً.

وإزدادت الثورة وأصبحت خطيرة، حيث أحرق الشائرون السور البيرونتى، حيث كانت إقامة الجنود الفرسان وكل الجمع، حتى مقر الإمبراطور L'Hexaippeon (الأكراوديون) الذي كان موجوداً بجانب الكرسي، والذي شيده القديس قسطنطين.

وبعد جهد كبير، استطاعوا السيطرة على الشائرين بالقوة، وعوقب عدد كبير منهم، فعاد الهدوء والسكينة في كل المدينة.

وقام شعب أنطاكية، نظير شعب القسطنطينية، بإشعال النار في وجه اليهود المقيمين في دافنى، وثبتوا فيها الصليب المقدس، الذي لربنا يسوع المسيح.

فحولوا المعبد إلى كنيسة مقدسة باسم القديس لاونس (ليون) وقتلوا عدداً كبيراً من اليهود.

وعندما علم الإمبراطور بهذه الأحداث، أرسل بروسوب (إبروكودموس) كونت الشرق، لكي يوقف هذه الإضطرابات الفظيعة.

وعندما علموا بوصوله إلى أنطاكية، هرب مشرى الفتنة، من المدينة واختفوا في هيكل القديس يوحنا.

وذهب إلى هناك منياس الحاكم، أثناء الليل على رأس فرقة كبيرة، ووجد هناك مقاومة كبيرة، حيث قتل أحدهم ويدعى إيلوتير، وحملت رأسه إلى بروسوب (إبروكودموس) الحاكم. ثم هزموا الثوار، وأحرقوا مكان إجتماعهم، ثم حدثت هناك معركة مخيفة، قتل فيها الشعب الحاكم منياس، وأحرقوا جثته، وهرب بروسوب بسرعة إلى القسطنطينية.

وعندما علم الإمبراطور بهروبه، إستبدله برجل يدعى إيرينييه وأمره بالتوجه إلى أنطاكية.

ولما وصل هذا الأخير إلى هناك، قام بمعاينة عدداً كبيراً من الثوار، وقام بعملية تخويف شديدة، لدرجة أن الثوار كفوا عن المعارك بالتدريج، وعاد السلام بين سكان أنطاكية.

وجدد الإمبراطور المنشآت التي أحرقت، وشيد عدداً كبيراً من الممرات، لأنه كان محباً للتشييد، كما أقر بتشديد عدداً كبيراً من المنشآت، في مصر وبنى قلعة على شاطئ البحر الأحمر، وكان مجتهداً فيما يعود بالفائدة، حتى يعيش في سلام.

وأمر بتشديد سوراً لشعب داراس (دوردا)، وثقبوا في هذا السور فتحات تشبه الكبارى، حتى تمنع مياه النهر أن تنتشر في حقولهم.

وحدث أثناء حكم الإمبراطور، صديق الله، أن البربر آكله لحوم البشر،
وسافكى الدماء، جاءوا من ناحية الجزيرة العربية، عبر شواطئ البحر الأحمر،
وانقضوا على الرهبان في منطقة الفرات، وذبحوا البعض، وأخذوا الآخرين أسرى،
واغتصبوا من البعض ما يمتلكونه، لأنهم كانوا يكرهون القديسين، وكانت لهم نفس
مشاعر الوثنيين وعابدى الأصنام، وبعدما حصلوا على الغنائم الكثيرة عادوا إلى
بلادهم.

ولما علم الإمبراطور بهذه الأحداث أمر بتشييد القلاع القوية، ليحمي مساكن الرهبان، الذين أغدقهم بالعطايا وكذا كل رهبان الإمبراطورية الرومانية.

وثار بعض الناس بوقاحة، في مدينة الاسكندرية، حيث قتلوا حاكم المدينة، المدعوا ثيودوسيوس، وكان قد تربى في منزل بطريرك أنطاكية.

وعندما علم الإمبراطور بهذا الحدث غضب جداً، وعاقب عدداً كبيراً من شعب المدينة. ولا تستطيع أن تعدد ما قام به هذا الإمبراطور من أعمال جليلة، لأنه كان مؤمناً أرثوذكسياً، وكان مخلصاً لربنا ومخلصنا يسوع المسيح، وقد أبطل العقيدة الخلقيدونية، كما أوصاه بهذا القديس جيريemy خادم الله.

وكان الناس في إيليريا، قد رفضوا أن يتسلموا الرسالة التي أرسلها لاوون من روما.

لكن إستعداد ماركيان وحكامه، كان يحثهم عليهم، فكانوا يخشون أن يقاسوا
نفس مصير ديسقورس، بطريك الاسكندرية....

⁴ لانعرف بقية النص وهل يكون هو موضوع أساقفة ايليريه وعودتهم إلى الشركة مع

على ذلك كان الامبراطور انستاسيوس، خادماً لله يصادق على رسوم الإمبراطور زينون. بإقرار قانون الإيمان للثلاث مجامع، التي عقدت في نيقية، والقسطنطينية وأفسس الأول.

ولكن أوفيموس بطريرك القسطنطينية في ذلك العصر، كان خلقيدونيا، وكان يفصل طبيعتي المسيح التي إتحدتا إلى طبيعتين منفصلتين، في ظاهرها وخواصها قائلاً: إن الله الكلمة هو الذي يعمل المعجزات، وأن الطبيعة البشرية البائسة كانت تقاسى الآلام.

وغير أيضاً الثلاثة تقديسات التي نقولها: "قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت، الذى صلب عنا إرحمنا!". لم يكن أوفيموس يتلوها مثلنا، بل كان يقولها هكذا: "قدوس الله، قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت إرحمنا". وكان يقول: أنا لا اتلوها مثلكم لأتجنب أن تطبق هذه الصلاة على الثالوث المقدس، فى ثلاثة أشخاص".

أى أن الذى صلب نحن نعبد مع الله، والروح القدس! لأن الذى تجسد بدون، أن ينفصل عن الثالوث فهو ثابت مع الآب والابن والروح القدس، الذى هو مساوياً للآب والروح القدس. وقد تألم وليس فى طبيعته الإلهية وليس واحداً آخر، حاشى الله!.

أنه أحد الأقانيم، للثالوث الأقدس بجسده المتحد فيه، والذى له روح نطقية عاقلة، متحدة فى شخص واحد ثابت، ولكنها غير متغيرة فى ألوهيتها متحدة مع الآب والروح القدس، كما علمنا ذلك الآباء القديسين.

وأتفق بروكلوس مع النسطوريين بقوله: "إذا كان المسيح واحداً بعد تجسده، حسب قول غير النساطرة فإنه لم يتألم بالجسد، كما أنه لم يتألم الابن الإله.

وبقه له هذا فتعلمه خاطء، بأن ابن الله لم يتألم بالحقيقة

وهذا هو الموضوع، الغير معقول، لهؤلاء الذين أعلنوا أن هناك أربعة أشخاص بدلاً من ثلاثة.

فهؤلاء المضللين علموا عن الابن، أنه شخص آخر هو الذي صلب، وهذا رأى فاسد ناتج عن الهرطقة.

ولذلك فإن الامبراطور انستاسيوس خلع أفيمنوس من كهنوته وطرده من القسطنطينية، ونفاه إلى بلاد Euchaïtes du pant .

وعين مكانه ماكديونيوس، الذي قبل منه مرسوم الإمبراطور زينون، بأن لا يقبل مجمع خلقيدونية.

ولكنه أخفى في قلبه أفكاره الخادعة، في موضوع العقيدة ونجح في تخدير عقل الإمبراطور أنستاسيوس، وقد أجبره الإمبراطور، على استخدام كلمة "يا من صلبت من أجلنا إرحمنا". في الثلاثة تقديسات، فأقر هذا الأمر .

كان كثير من الرهبان الأرثوذكس في فلسطين، من تركوا عنهم دراسات الكتب المقدسة، وأعلنوا رفضهم لقبول مرسوم الإمبراطور، وظهر من بينهم كثيرون خارجون على الكنيسة.

فقاسى كثيرون منهم اضطرابات، بتحريض أحد الرهبان ويدعى نيفاليوس (مثير الفتنة).

وقد إنتدبوا رهباناً من الصحراء، متوحدين ووقورين أرسلوهم إلى القسطنطينية، ومن بينهم سيفيروس، وكان رجلاً عالماً وكاهناً كاملاً، وأرسلوهم كوفد يطلب من الإمبراطور، بأن يأمر الرهبان أن يعيشوا في هدوء، في مقارهم ودياراتهم حتى يصلوا لأجله.

وفي حال مجيئهم إلى الإمبراطور تعرف عليهم الضباط، وقادوهم إلى البطرك





العقائد الفاسدة، التي كان يؤمن بها، ولم يكن ممكناً أن تظل مجهولة من الجميع ويكتمها في قلبه.

وكان بالاسكندرية رجل يدعى دورثيوس، كان يصادق على عقيدة القديس كيرلس، ولما تحدث معه ساويرس وجده حقيقة يجهل عقيدة كيرلس، وعلى أثر ذلك قام بتحريض الآخرين لعقيدة ماكدونيوس والخلقيدينيين، الذين نسبوا، طبيعتين ليسوع المسيح ابن الله الذي هو واحد. وبدأ هم الكتاب رائعاً فأسموه فيلايتس.

لكن ماكدونيوس والذين معه، وكذا أتباع نسطوريوس، كانوا يقولون بكل تحد: أن الثلاثة تقديسات التي يتلوها هم، هي التي ينطق بها الملائكة في تقديسهم. فرد عليهم القديس ساويرس: فإن الملائكة تقول قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت إرحمنا" ولكن فى الواقع ليس الملائكة مضطرون أن يقولوا "الذى صلب لأجلنا نحن البشر، كما نقول فى قانون الايمان.

هذا الذى من أجلنا نحن البشر و... صلب على عهد بونطيوس بيلاطس، وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب المقدسة".

وأقر ذلك آباؤنا القديسون فى نيقية والقسطنطينية وأفسس وأعطوا تعريفاً دقيقاً عن ألوهية السيد المسيح. ولهذا فإننا نحن المسيحيون لابد أن نقول: أيها المصلوب لأجلنا إرحمنا.

ونحن نؤمن أن الله هو القدوس القوى، والحى الذى لا يموت، والذى صلب لأجلنا. ونؤمن أيضا بالحقيقة أن القديسة الطاهرة مريم ولدت الله نفسه، وليس آخر. وليس آخر أيضا الذى صلبه اليهود. ولكنه هو نفسه الذى ولد و صلب وقام.

وقد برهنت هذه الحجج وكتبت مع أخرى وأرسلت إلى الإمبراطور، وإلى القضاة، والرهبان، حتى (حطمت آراء الكفار النسطوريين من أساسها. وبحججهم الأرثوذكسية اسكتوا ماكدونيوس وفندت آراؤه وانتهت أمام الحق بعدما كان

يحاول أن يخدع الإمبراطور والقضاة بقوله أن له نفس عقيدة الشرقيين وأنه استخدم في الكنيسة القول: "يا من صلبت من أجلنا إرحمنا". وفي الخفاء كان يستثير الهراطقة ضد الإمبراطور بقوله لهم لقد أحدثوا تغييراً في عقيدة آبائنا المسيحيين، وبالفعل اجتمع الهراطقة ومضوا إلى قصر الإمبراطور بغية أن يحدثوا ثورة وكان الغرض منها طرد بلاتون الذي كان يدبر كل أمور الإمبراطورية، وكان يتمتع بتقدير عالمي كبير.

واستسلم بلاتون للخوف فهرب واختبأ، وظل الهراطقة ومن معهم من الجند يهتفون بأسماء إمبراطور آخر للرومان وهرعوا إلى منزل ماران السورى وكان أحد المشهورين وأحرقوا مسكنه وممتلكاته، وكانوا يريدون قتله، لكنه كان قد هرب ونجا بعناية ربنا يسوع المسيح، ويرجع السبب أن البطريك مكدونيوس المختال هو الذى إفتى على هذا الرجل التقى أمام الشعب، وكان مكدونيوس يقول: "ماران هو الذى يحول عقل الإمبراطور عن الإيمان الحقيقى". لذلك كان أفراد الشعب يبحثون عنه ليقتلوه منساقين بكراهية شديدة ودون أن يعلموا الحقيقة.

وحال دخولهم منزل هذا القاضى الشهير استولوا عليه وسلبوه، وتقاسموا معاً كل مقتنياته الفضية، ووجد أفراد الشعب فى منزله راهباً من الشرق، فأخرجوه وقتلوه ظانين أنه ساويروس صديق الله. ثم أخذوا رأسه وطافوا بها فى كل المدينة وهم يصيحون "هاهو عدو الثالوث الأقدس".

ثم مضوا بعد ذلك إلى منزل جوليانا التى كانت من عائلة الإمبراطور لاوون حتى ينادوا بزواجها إمبراطوراً وكان يدعى "اروفاييند" الذى لما سمع أنهم حاضرون عنده هرب. ولكن الشعب استمروا فى ثورتهم دون توقف.

أما الإمبراطور انستاسيوس صديق الله والذى كان يتبع الإيمان الحقيقى فقرر أن يتصرف حيث استدعى المجلس وجلس على العرش مرتدياً الزي الإمبراطورى،

وعندما رآه الشعب شعروا بألم شديد من جهته وملأت قلوبهم بالندم والحزن، وصاروا يخشون غضب الإمبراطور وحينئذ طلبوا منه السماح معترفين بخطأهم، ولم يزالوا هكذا حتى رفع الإمبراطور صوته نحوهم قائلاً: "لا تخافوا فقد عفوت عنكم".

وبعدها إنقضت الجموع وعاد الكل إلى مسكنه وأستتب الهدوء والنظام.

ولم تضى عدة أيام حتى قام نفس هؤلاء القوم بثورة جديدة فأضطر الإمبراطور أنستاسيوس أن يجمع عدداً كبيراً من الجيش، وأمر بالقبض على هؤلاء الثوار، وعندما مثلوا أمام الإمبراطور حكم على البعض منهم بقطع أطرافه والبعض الآخر حكم عليهم بالنفي والآخرين قطعت رؤوسهم فاستتب الأمن والنظام منذ ذلك الوقت وتعلم سكان المدينة أن يخشوا الإمبراطور.

وبعد ذلك بقليل نفى ماكديونيوس الذي كان سبباً في ضياع كثيرين وخلعوا عنه رتبته الكهنوتية واعتبر كقاتل وطرد من جماعة المؤمنين.

بعد ذلك وصل أساقفة الشرق إلى بيزنطة، وتقدموا بشكوى إلى الإمبراطور أنستاسيوس ضد فلافيان بطريرك إنطاكية واتهموه بأنه نسطورى بالرغم من أنه قبل مرسوم الامبراطور زينون، لكنه انضم إلى الخلقدونيين وقبل رسالة لاوون البغيض الذي نسب في مكتوبه طبيعتين لهذا الواحد الغير قابل للإنقسام يسوع المسيح الإله الحق. فنفاه الإمبراطور أيضاً وأمر بإرساله إلى بترافلسطين...

أما فيتاليان قائد قوات إقليم ثراكى، وهو رجل ذو قلب شرير وكان يكره ساويروس قديس الله وكان الإمبراطور أنستاسيوس قد عينه بطريركاً لإنطاكية وشهد عنه كل أساقفة الشرق الأرثوذكسين وذلك بدلاً من فلافيانوس الهرطوقى الذى كان قد نفاه فيتاليان الذى ثار ضد الامبراطور أنستاسيوس واستولى على إقليم ثراكى وميسيا واسكثيا. وجمع جيشاً كبيراً، فأرسل الإمبراطور ضده أحد القواد بدعى هساتس ولكنه هزمه فى إحدى المعارك وأخذ فيتاليان حياً. فدفعوا له مبلغاً

من المال كفدية فسلمه فيتاليان. ولما عاد إلى الإمبراطور أنستاسيوس خلعه من مكانه وعين قائداً آخر يدعى كيرللى وهو من إقليم "الليريكون". وما لبث أن شن حرباً ضد فيتاليان نتج عنه موت عدد كبير من الجانبين ومضى القائد كيرللى إلى مدينة تسمى أوديسا ومكث هناك، وأما فيتاليان مضى إلى بلغاريا بصحبة جيش مكون من الهنز والبلغار ثم أعطى مبلغاً كبيراً لحراس أبواب أوديسا واقتحمها ليلاً واستولى على المدينة، وقتل القائد كيرللى ثم إنحاز أيضاً على إقليم ثاراكي وسلبه وعلى بلاد أوروبا وعلى سكيوس وبوغاز القسطنطينية وسوزينوم، ثم استقر فى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل وجلس يفكر فى الطريقة التى تمكنه بأن يصبح سيداً للمدينة الامبراطورية بيزنطة.

وأرسل الإمبراطور أنستاسيوس الفيلسوف بروكلوس، لكى يسلم مارين قراره. وعندما أخبره الإمبراطور عن مشاريع فيتاليان الشائر، هدأ مارين الإمبراطور وطلب أن يعطه فقط بعض المتحاربين، وسيصطحب بروكلوس الفيلسوف معه. كما أخذ معه كمية من الكبريت الخام النشط وكمية مماثلة من مسحوق النشادر. وقام مارين بسحق الكبريت وهو يقول بثقة: "لو ألقيت هذا المسحوق على أى منشأة أو أية سفينة، فسوف تحترق لوقتها عند شروق الشمس، وما ينتج عنها من نيران كفىل أن يجعل الشئ ينصهر كالشمع".

وجهاز مارين عدداً كبيراً من السفن، وجمع فيها كل الفرق المتحاربة التى استطاع أن يجدها فى القسطنطينية، ومضى لمحاربة فيتاليان حسب أمر الإمبراطور. وعندما رأى فيتاليان مارين يقترب، قام وأقلع بكل السفن التى وجدها أمامه وعدداً كبيراً من حاملى القوس. كما جر معه عدداً من البربر والسكيثيين، واتجه بهم نحو بيزنطة.

وكان يظن أنه قادر على هزيمة منافسيه. لكن مارين ورفاقه هزموا هذا العدو بمعونة الله. فلم تتحقق رغبة هذا الشاكر الشرير إطلاقاً، وأضطر فيتاليان مشير الحروب إلى الهرب.

وكان مارين قد دفع الكبريت الحام إلى البحارة، وأمرهم أن يلقوه على سفن العدو، حتى تدمر بالنار.

وعندما أصبحت سفن مارين في مواجهة سفن فيتاليان نحو الساعة الثالثة صباحاً، قام البحارة بإلقاء كميات الكبريت على سفن فيتاليان، التي اشتعلت لوقتها، وغاصت في أعماق البحر.

وعندما شاهد فيتاليان ما حدث، إنذهل، وكل الفرق التي بقيت معه، تركته وهربت. فتعقب القائد مارين الثوار، وقتل من صادفه حتى إلى كنيسة القديس (ماميز)، حيث توقف عندها قليلاً، ملاحظاً الطريق.

أما فيتاليان فصار فريسة الفزع والهول، ومضى مع باقي رجاله طوال الليل، حيث إحتفى في مكان يدعى إينشيال، بعدما قطع نحو ستون ميلاً مطارداً من مارين.

وحين أشرقت شمس اليوم التالي، كان رجاله قد تركوه، فأصبح وحيداً. ولما علم الإمبراطور انستاسيوس بكل ما حدث، قام شاكراً الله، ووزع صدقات كثيرة على الفقراء في كل نواحي سوزينام.

ثم ترك العاصمة، وجاء إلى كنيسة الملاك ميخائيل، حيث قدم الشكر لله على ما غمره من هبات، وعلى تلك النصر التي منحها له على أعدائه.

وأمر أن يمنح بروكلس الفيلسوف مبلغاً كبيراً من المال. لكنه رفض قبوله ورده بكل إحترام للإمبراطور متحججاً بقوله: "الذي يحب المال، فليس جديراً بأن يكون



فأكرمه الإمبراطور وصرفه مبعلاً، بصحبة بعض المؤمنين الأرثوذكسيين، الذين قبلوا رسالة الإمبراطور الورع زينون، وكانوا مقرين للإمبراطور.

ظهر في ذلك العصر، راهباً قسيساً في مدينة نيقوس اسمه يوحنا. وكان عابداً لله محباً للتقوى، ومتعمقاً في الكتب وهو أصلاً من دير (الغار).

وكان سكان مدينتي صا، أكويلا غير متفقين في الإيمان. فمضى أساقفة المدينتين إلى الإمبراطور أنستاسيوس، وطلبوا منه أن يعطيهم أمراً بعقد مجمع، حتى يتردوا الخلقيدونيين، ويمحووا ذكرهم من الكنيسة، حتى يستبعدوا كل الأساقفة الذين اجتمعوا مع لآون الهرطوقي، الذي كان يقول بالطبعيتين.

ولكن الإمبراطور لحسن نيته لم يستخدم أية ضغوط ضد الهرطقة وترك لهم بعض الحرية ليتبع كل واحد أفكاره. ولكنه كان يعامل باحترام شديد الذين يتفقون معه في العقيدة الأرثوذكسية، وكان فاضلاً يوزع العديد من الصدقات.

بعد ذلك بلغ الإمبراطور مرحلة الشيخوخة المتقدمة، ثم مرض، ومات بكرامة عظيمة عن عمر يناهز التسعين، وصدق قول الكتاب المقدس إذ قال: كل مجد الإنسان كعشب، فحين أشرقت الشمس جف العشب وسقط جمال منظره، أما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.

الفصل التسعون

بعد موت أنستاسيوس الإمبراطور الأرثوذكسي التقى، ملك جويستان المرعب، وهو زوج الإمبراطورة إيفيمي Euphemie. وتوج بالتاج الإمبراطوري بقرار من

المستشارين المقربين للإمبراطور الراحل. وقيل أنه كان رئيساً للجمعية السابع في بيزنطة، ورئيساً للحرس.

وعلى أي حال، فلم يكن مقبولاً من كل ضباط البلاط، لأنه كان أمياً، ولكنه مجرد رجل حرب، وقائلاً شجاعاً.

ولقد كان هناك منافساً له وهو آمنتوس وكان ضباط البلاط يريدونه ليخلف الإمبراطور أنستاسيوس، بل قام المستشارون بتسليم جويستان مبالغ نقدية كبيرة ليوزعها على الشعب والجيش، لينادوا باسم آمنتوس إمبراطوراً، وهم يعلنون أن هذا الاختيار هو من الله.

ولما وجدوا أن غالبية الشعب والبلاط لم يوافقوهم اضطروا المستشارون أن يعلنوا بالقوة أن جويستان إمبراطوراً.

وبعدما إعتلى جويستان العرش، أمر بقتل كل الأمناء، لأنهم رفضوا إعتلائه العرش أولاً، وظن أنهم يتآمرون عليه. ومنذ بداية حكمه كان شريراً. فقام أحد قواده بثورة في الشرق فأحدث فرعاً ورعياً، فاستدعى الإمبراطور جويستان، فيتاليان عدو الإمبراطور السابق انستاسيوس، وعينه رئيساً للقواد.

ثم ألغى مرسوم الإمبراطور زينون، وغير العقيدة الأرثوذكسية وصادق الخلقيدونيين، فقبل رسالة لاوون، التي أدخلت في كتب الكنائس الشرقية.

وفي السنة الأولى لحكمه، إشتهر القديس ساويرس الكبير بطيرك أنطاكية، بتمسكه الشديد بالإيمان الأرثوذكسي، ولما رأى تغير العقيدة، وعودة فيتاليان، ودخوله صحبة الإمبراطور جويستان، خاف، وترك كرسيه ومضى إلى مصر متخفياً، لأنه علم أن جويستان كان يكرهه حقيقة، وكان ينوى أن يقطع لسانه، لأنه خطب في الكنائس مواعظ كثيرة مليئة بالعقيدة المستقيمة الرأي، وكتب كتباً كثيرة في هذا الشأن. وكلها ضد عقيدة الامبراطور لاوون الفاسدة.

ولما رأى جوستان أن ساويرس ترك كرسيه، عين بولس بطريكاً على أنطاكية بدلاً منه، خاصة وأنه كان صديق الخلقيدونيين. وكان الشعب كارهاً لبولس لأنه كان نسطورياً، فظهر إنشقاق في الكنيسة بسببه، لأن الإمبراطور والقضاة فقط هم الملتصقون به، ولم يقبل أن أحد يعمد أو يبارك إلا من كهنته المعينين سرّاً ولا يتبعون ساويرس الكبير.

ومات من كان يريد قطع لسان ساويرس الكبير، بموت مفاجيء ساحق. وكان سبب موت فيتاليان، أن الإمبراطور جوستان، عندما أراد أن يخلعه من وظيفته، دبر فيتاليان أن يثور ضده، كما فعل في الإمبراطور السابق له. ولما علم جوستان، أمر بقطع رأسه. وهكذا فإن الله لم يتأخر في الإنتقام منه، كقول ساويرس البطريك الذي تنبأ به، عنه بأنه سيموت ميتة شنيعة.

في هذه الأثناء قام البطريك ساويرس بكتابة عدة رسائل، كلها حكمة وورع، أرسلها إلى سيزاريا النبيلة والقديسة، لأنها كانت بمثابة الأداة المختارة من كل العائلة الإمبراطورية في روما، وكانت مولعة بالعقيدة الأرثوذكسية التي تعلمتها على يد البطريك القديس ساويرس. وهذه التعاليم كلها لاتزال موجودة بين أيدي الرهبان المصريين.

ثم مات بولس الخلقيدوني بطريك أنطاكية، الذي قام بدلاً من ساويرس. وعين مكانه آخر يدعى أوفراسيوس الأورشليمي. وكان هذا يكره المسيحيين المتمسكين بعقيدة ساويرس. وكثيرون أيامه استشهدوا من أجل هذه العقيدة.

وشن جوستنيان الحروب الأهلية في كل الإمبراطورية الرومانية، أدت إلى سفك دماء كثيرين.

وحدثت اضطرابات كثيرة في أنطاكية لمدة خمسة أعوام، ولم يجرؤ أحد أن يشكو، لأنهم خافوا الإمبراطور. ثم بدا كثير من الأعيان في رفع شكواهم إلى

القسطنطينية، متهمين جوستيان النبل بأن أخيه هو الذى كان يساعد الديدبان الأزرق على ارتكاب القتل والنهب بين الشعوب.

إختار الإمبراطور عمدة آخر يدعى ثيودوت الشرقى (تصحيحها ثاؤطوطس) وهو كونت من الشرق، وطلب منه أن يعاقب الأتقياء، وجعله يقسم أمامه إلا يدع أحداً مطلقاً يعيش.

وبدأ عمله فى القسطنطينية، حيث عاقب عدداً كبيراً من الأتقياء وأمر بالقبض على ثيودوسيوس أحد الأثرياء الأقوياء وقتله، ثم أمر بالقبض على جوستيان النبل وهم بقتله، ولكنه عاد فأخلى سبيله لما علم بمرضه.

ولما علم الإمبراطور بهذه الحوادث غضب على العمدة جداً، وقام بخلع طرده من القسطنطينية، ثم نفاه إلى الشرق فخشى ثاؤطوطس أن يقتل هناك، فمضى إلى الأماكن المقدسة فى أورشليم، حيث إعتزل وعاش هناك.

بعد ذلك تجمع جيش وشعب بيزنطة، وخلعوا عنهم نير طاعة الإمبراطور، وتوجهوا بالصلاة إلى الله قائلين: "اللهم أعطنا إمبراطوراً حسناً، مثلما كان أنستاسيوس، واخلع عنا هذا الإمبراطور "جوستان" الذى سمحت لنا به".

حينئذ نهض من بينهم واحد يدعى جاموس وخاطبهم قائلاً: "هذه هى كلمة الله التى يخبركم بها اليوم قائلاً: أنا أحبكم، فلماذا تستعطفونى؟ هذا الإمبراطور قد أعطيتكم لكم، ولن أهيبكم غيره أحداً، لأنه بسبب شرور هذا البلد، إخترت لكم هذا الإمبراطور عدواً للخير! كما تكلم الله فى كتبه "أنا اعطيكم رؤساء حسب قلوبكم".

ولما سمع الإمبراطور هذا الكلام غمر الحزن قلبه، وعلى أثر ذلك قام يبحث عن كسب مودة الشعب، لأنه خشى أن تجبره السلطات العليا بينهم على أن ينفذ قوانين

ثم أنه بعد جهد كبير، وإستخدام العنف، أوقفوا الحرب الأهلية بين المواطنين، فإنتهت الخصومات، وإستتب السلام نوعاً.

ولكن كل هذا لم يوقف غضب الله على هذه المنطقة، الذى كان سببه ضعف الإمبراطور، فأرسل الله عليهم كارثة، حيث سقطت نار من السماء على مدينة أنطاكية. ثم امتدت من عند كنيسة القديس (أتين) حتى إلى منزل رئيس الشرطة، بطول المنطقة وعرضها ثم إمتدت حتى حمام يدعى (حمام أمة السوريين) وفى نفس الوقت كانت اللهب تظهر أيضاً فى أقاليم الشرق وكل الطرق ولمدة ستة أشهر، ولم يكن أحد يستطيع العبور من ناحية إلى أخرى.

وأحدثت النار خسائر شتى فى مدينة أنطاكية، وهلك كثيرون، وكانت النيران تمتد من أسطح المنازل إلى أسفل حتى الأساسات وتخرّبها.

حدث أيضاً فى عصر هذا الإمبراطور فى مدينة أنطاكية بسوريا، كارثة أخرى تمت على ستة مراحل... من تبقى من الشعب كانوا يفتنون فى منازلهم وتبقى أجساماً بلا أرواح. وهذه الأجساد كانت تتساقط من الجو فحماً متوهجاً مثل الصواعق، لدرجة أنها كانت تحرق من يقابلها.

تخرّبت مدينة أنطاكية حتى آخرها، وكانت النيران تلاحق الذين يريدون الهرب ومن تحفوا فى المنازل احترقوا، فلم ينجو أحداً من النار، وحتى المنازل التى أنشأت فوق المرتفعات لم تنجو من هذه الكارثة، فزالت كل أمجاد مدينة أنطاكية.

خطباء كثيرون وشهداء كثيرون، البعض أنشق إلى اثنين من أعلى إلى أسفل والأخرون انقلبوا.

وتهدمت الكنيسة الكبرى التى شيدت فى عهد الإمبراطور، وملاً الحزن والأسى كل المدينة.. والذين لقوا حتفهم من الرجال والنساء والشباب والأطفال نحو مائتين وخمسون ألف نفس.

فى يوم عيد صعود ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، اجتمع حشد كبير فى كنيسة تدعى ليقيموا القداس بهذه المناسبة العظيمة، وكان كثير من الناس قد هربوا من الكارثة السابقة وخرجوا من مخابئهم ليدفنوا موتاهم وبعض النساء أخرجن أولادهن الذين بقوا أحياء.

ومات أوفراسيوس المسكين الذى لم يكن مستحقاً لكرسى الكهنوت إذ احترق هو أيضاً بالنار.. فأقاموا بدلاً منه مصادفة، رجلاً يدعى إفرام، الأمديدى وهو من مدينة واقعة بأقليم ميسوبوتامى Mesapotomie وكان هو أيضاً خلقيدونيا، وكأسلافه كان يضطهد الأرثوذكسيين.

انقلبت أيضاً المدن سلويسى، دافنى (دافما) وكل مدن الضواحي حتى مسافة عشرون ميلاً لدرجة أن كل من كان يرى ما حدث يقول: كل هذه المصائب حدثت بسبب تركهم للعقيدة الأرثوذكسية، ولسبب الطرد الظالم للبطريرك ساويرس. وكان السبب المباشر لهذه الكوارث، هو أعمال الإمبراطور جويستان المفترية، ورفضه للعقيدة المستقيمة التى للأباطرة الأتقياء أسلافه.

ولما علم جويستان بهذه البلايا خلع تاجه وردائه الإمبراطورى، وسكب الدموع وتحسر وكف عن الذهاب للمسارح.

وذهب الإمبراطور يوم خميس العهد، ماشياً على الأرض، حافى القدمين وفى حداد تام، من القصر الإمبراطورى إلى الكنيسة ... وكان الشعب والمجلس ينتحبون ويصرخون ساكين الدموع الغزيرة.

ودفع الإمبراطور الكثير من الذهب، تعويضاً لإعادة بناء الكنائس والمدن التى كانت قد تهدمت أكثر مما أعطاه أى واحد مما سبقوه من الأباطرة.

وكان شعب Iezes تحت سيطرة الفرس، وكانوا قد اعتنقوا ديانة الوثنيين، فجاءوا لمقابلة جويستان وأعلنوا إيمانهم بالمسيح، وبعد موت ملك الفرس (ليس موت

ملك الفرس لكن ملك Huns السابق له) جاء تراثينس إلى القسطنطينية، وحصلوا على صفح السماء والإيمان برينا يسوع المسيح ابن الله.

ومضوا إلى القسطنطينية بقرب الإمبراطور جوستان وقالوا له: نحن نرغب أن تجعلنا مسيحيين مثلك ونريد أن ننضم إلى رعية الإمبراطورية الرومانية، فاستقبلهم جوستان بسرور وأمر بتعميدهم بسم الآب والابن والروح القدس، الثالوث الأقدس الواحد وأكرم قائدهم خاصة، والبسه رداء الشرف بعد المعموديته، ووهبه خصائص ملكية، وزوجه ابنة أحد كبار الفضلاء المسمى جونيوس (يونس) ثم أرجعه إلى بلده بإكرام كثير.

عندما علم كاباديس Cabades ملك الفرس بهذه الحوادث أصابه حزن جسيم، وارسل إلى الإمبراطور جوستان سفراء يخبرونه بهذا الكلام، كان بيننا سلام وصداقة، وها أنت الآن توجد خصومة وبإفساد ملك اللازيس الذي كان دائماً تحت حكمنا، وليس تحت الحكم الروماني.

ولما بلغت هذه الرسالة مسامع الإمبراطور جوستان، كتب رداً عليها جاء فيه "نحن لم نفسد أحداً تحت سلطانك، ولكن جاء رجل يدعى تراشيس بكل تواضع، وتوسل إلينا أن نخلصه من الضلال الذي كان يتيه فيه، أى ضلال أتباع إبليس، وعقيدة الوثنيين وتقدماتهم النجسة. وطلب أن يصير مسيحياً! فهل أقدر أنا أن أمنع أحداً يريد أن يأتي إلى الإله الحق خالق العالم؟"

وعندما صار مسيحياً وجديراً بالتناول من الأسرار المقدسة، سمحنا له بالعودة ثانية إلى بلده.

ونتيجة لذلك حدثت عداوة بين الرومان والفرس.

وطلب الإمبراطور جوستان من ملك البربر Huns (زيليغدن) أن يكون حليفاً معه على معاهدة بأن يقف بجانبه بأمانة وإخلاص.

لكن هذا الملك الغير أمين لوعوده، ذهب لمعاونة كاباديز ملك الفرس على رأس جيش من عشرين ألف محارب، بعدما عقد معه معاهدة اتحاد.

ومع ذلك فإن العناية الالهية كانت تلحق المسيحيين باستمرار وتدافع عنهم ضد أعدائهم.

وعندما إستعد الفرس لشن حرب جديدة، أرسل الملك جويستان إلى ملك الفرس هذه الرسالة: "من الأفضل حقاً أن نكون إخوة، وأصدقاء فإن أعدائنا لا يمكنهم الظفر بنا والسخرية، وعلى ذلك فإنى أبلغك أن (زيلاجدز) ملك الهانز تسلم منا مبالغ كبيرة لكي يساعدنا فى حروبنا، ثم مضى الآن وتصادق معكم، وهو بالتالى مزعم أن يكونكم أثناء الحرب التى ستخوضونها، وسيعبر طرفنا ويوجه أسلحته ضد الفرس.

لذلك ليت كما تقول ألا يوجد بيننا أية خصومة لكن سلام".

وبعدما تسلم كاباديز ملك الفرس هذه الرسالة قام بإستجواب (زيلاجدز) وقال له: أحقاً أنك تسلمت نقوداً من الرومان لتساعدهم ضد الفرس؟ فأعترف زيلاجدز فغضب منه كباديس وأمر فوراً بقطع رأسه ظناً منه أنه عندما تصرف هكذا كانه فى نيته الخيانة أيضاً، ثم ارسل جنوداً ليحاربوا العشرين ألف رجل، الذين جاءوا معه فقتلوهم، ولم يهرب منهم إلا عدد قليل رجعوا إلى بلادهم مخزيين.

ومنذ ذلك اليوم ساد الوفاق بين كباديس ملك الفرس وجويستان امبراطور روما، لكن حكم جويستان لم يدم طويلاً بعد ذلك، لأنه بعد إبرام هذه الاتفاقية مرض مرضاً شديداً فى السنة التاسعة من حكمه أثر انفتاح جرح فى رأسه، حيث أصيب بسهم تلقاه أثناء الحرب، فظل مريضاً مدة طويلة دون شفاء، وعين أثناء مرضه ابن أخيه إمبراطوراً، وتوجه بالتاج الإمبراطورى وكلفه بكل مهام الدولة، ثم مات.



وبعدما أخذ جوستنيان الحكم، استقر في القسطنطينية مع زوجته ثيودورا، ومن أعماله أنه اتخذ قرارات جديدة جعلت كل المشاغبين يخشون من أمامه، وشيد الكنائس وأقام مأوى للمسافرين في كل مكان، ومنازل للمسنين ومستشفيات للمرضى، وملاجئ للأيتام، ومنشآت كثيرة مختلفة، كما أعاد بناء مدن تهدمت، ووزع مبالغ نقدية كبيرة...، وكثير من الأعمال التي لم يفعلها سابقه من الأباطرة.

ثم أن ملك الفرس كباديس، استعد لمحاربة ملك اللازيس لأن هذا الأخير بادر بتقديم مساعدته للرومان، زيادة على أنه أعلن اعتناقه للديانة المسيحية، فأرسل ملك لازيس رسالة للإمبراطور جوستنيان طالباً منه المعونة ضد ملك الفرس معلناً إيمانه بالسيد المسيح، فأرسل جوستنيان حلاً عدة فرق بقيادة ثلاثة قواد هم: بليزر، وسيريكوس، وإيرينييه.

ولما بدأوا القتال قتل كثير من جنود الرومان، بسبب الخلافات التي دبت بين قوادهم، فغضب الإمبراطور لهذا الخبر وأرسل القائد بطرس على رأس عدد كبير من المحاربين، وانضم إلى ملك لازيس وشنوا معركة ضد الفرس، فقتلوا منهم عدداً كبيراً، وكان الإمبراطور جوستنيان يحب الله من كل قلبه وكل فكره.

وكان هناك ساحر يدعى ماسيدس يسكن مدينة بيزنطة يجمع حوله عصابة من الشياطين كمستشاريه، وكان كل المؤمنين يتجنبونه ويهربون منه، فأمر هذا الساحر شياطينه أن تصيب البشر بالكوارث.

ولكن كان من يتبعه ويقدره جداً هو أعداء الله الذين كان لا يهتمهم دواء الروح ولا يهتمون إلا بالمسارح والسباق، هؤلاء الأعيان كانوا مهتمين بممارسة فنون السحر، وقد اتهموا فيما بعد بالتآمر ضد حياة جوستنيان، وحكم عليهم بالموت.

وكان هؤلاء الأعيان كثيراً ما يتحدثون الإمبراطور عن هذا الساحر،

..... عن ما كان ما كان النص مان، وسكون

نافعاً بأعماله للإمبراطورية الرومانية، وسيحمي الشعب وسيساعد على زيادة دخول الضرائب بسهولة، وأنه سيرسل شياطينه إلى الفرس لينزع القوة من جنودهم بانزال الكوارث عليهم من كل نوع، حتى ينتصر الرومان بدون حرب.

وكان الإمبراطور رابط الجأش، ثابتاً في إيمانه فكان يسخر من هذه الشياطين الخداعة، ومع ذلك كان يود أن يعرف حيلهم.

في الوقت الذي كان ماسيدس يتمم مناوراته، كما كان يدعى أولئك الأعيان أصحابه، علم الإمبراطور بذلك فسخر منهم وانتهرهم قائلاً: لا أريد السحر ولا الشعوذة التي تمارسونها، والتي تعتقدون أنها مفيدة لدولتي، لأنى أنا جوستيان امبراطوراً مسيحياً، فهل سأنتصر بمساعدة الشياطين؟!

كلا: لأن معونتي من السماء ومن ربى يسوع المسيح خالق السماء والأرض. ولذلك هم بطرد الساحر وكل أعوانه، وظل متمسكاً بإيمانه دائماً بالله. وبعد ذلك حصل الإمبراطور على النصر من الله وحينئذ أمر بحرق هذا الساحر.

عندما جدد الفرس قتالهم ضد الرومان، طلبوا من البربر (Huns) وارسال عشرون ألف مقاتل لمساعدتهم.

وكان في بلاد البربر الخارجية امرأة شجاعة تدعى بلغة البربر "بوراكس" وكانت أرملة موهوبة بحكمة كبيرة، وكان لها ولدان. وكان آلاف المحاربين من البربر يطيعونها وهي تمارس السلطة منذ وفاة زوجها المدعو "Balack". فجاءت لمقابلة جوستيان المسيحي وقدمت له كمية كبيرة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة.

وأن الإمبراطور أمرها بالتصدي لاثنين من الرؤساء، اللذان كانت رغبتهما التحالف مع الفرس ضد الرومان، وكان هذان الرئيسان هما: استيراكس، جلونيز.

فمضت المرأة لمقابلتهما، وكانا ذاهبان للمفاوضة والانضمام مع الفرس،
فهاجمتهما بقوة من الجيش وانتصرت عليهما، فقتلت جلونيز في ساحة القتال وكذا
رجالها. أما استيراكس فقبضت عليه حياً وامرت بتكيله بالسلاسل، وأرسلته إلى
القسطنطينية حيث ربط في مقصلة وصلب.

وجاء رجل من بلاد البربر يدعى جورداس لمقابلة جوستيان، حيث تعمد وأصبح
مسيحياً وكان الإمبراطور اشيئنه، ثم أفعمه بالأكرام وأعاده إلى بلاده، وأصبح هذا
الرجل فيما بعد موالياً للإمبراطورية الرومانية.

وبعد عودته إلى بلاده تحدث إلى أخيه عن الهبات التي حصل عليها من
الإمبراطور، فشجعه هو الآخر على ترك أوثانه، ليصير مسيحياً أيضاً. ثم حطم
جورداس أوثانه التي كان يعبدها البربر، ونزع عنها الفضة التي تغلفها ثم أحرقها.

فهاج البربر على جورداس وغضبوا لما فعله وقاموا عليه وقتلوه. ولما علم
الإمبراطور جوستيان بما حدث، أرسل عدداً كبيراً من السفن عن طريق بحر اليونان
مزودة بكثير من الجنود المحاربين السكيثيين، والبربر بقيادة قائد شجاع يدعى
جوديلاس وسار الجيش البري والفرسان بقيادة بدواريوس.

وعندما علم البربر بهذه الحملة، هربوا وأختبأوا، فاحتل الإمبراطور بلادهم وعاد
الهدوء بعد ذلك.

وكان يحكم بلاد البربر رجل يدعى جريستس وكان ملكاً على Herules.
فجاء لمقابلة الإمبراطور جوستيان وتعمد وصار مسيحياً هو وضباطه وكل أقاربه.
فأكرمه الإمبراطور وأجزل له الهدايا، وأعاده إلى بلاده بكل إكرام كموااليا
للإمبراطورية الرومانية.

وفي غضون حكم هذا الإمبراطور أيضاً، حدثت حرباً بين اليهود والأثيوبيين.

لقد كانت هذه الحروب من آثار ضعف الدولة الرومانية، فبعد أن كانت قد كانت



على شاطئء المحيط جهة الشرق، وكان ملك الهند ويدعى هندس يعبد النجم
(كوكب عطارد) .

وكان التجار المسيحيون يجوبون هذه المناطق، ويعبرون إلى بلاد عابدى
الكواكب، وبلاد اليهود أيضا، وكانوا يتكبدون شدائد جسيمة.

لكن دامنس ملك اليهود كان يقتل التجار المسيحيين عندما يدخلون بلاده،
ويستولى على أموالهم قائلًا: بما أن الرومان يعذبون ويقتلون اليهود، فأنا أيضا اسوة
بهم سأقتل المسيحيين الذين يقعون تحت يدي. لذلك اختفت التجارة من الهند
وألغيت تمامًا.

ولما علم ملك النوبيين بهذه الأحداث، ارسل رسالة إلى ملك اليهود قال فيها:
"لقد أخطأت بتصرفك هذا، بقتل التجار المسيحيين، فجلبت الضرر على مملكتي،
وبلاد الملوك الآخرين، سواء المجاورة أو البعيدة".

وبعدما تسلم ملك اليهود هذه الرسالة وعلم ما بها، قام لوقته بالحرب ضد ملك
النوبيين، ولما أصبح الخصمان كل فى مواجهة الآخر، صاح ملك النوبيين قائلًا: إذا
نصرنى الله على هذا اليهودى دامنوس سأصبح مسيحياً!".

ثم شن الحرب على اليهودى فهزمه وقتله، واستولى على بلاده.

بعد ذلك ارسل عدة رسائل إلى الاسكندرية وإلى اليهود الوثنيين، يعرفهم بما
حدث، ثم طلب من الحكام الرومان أن يرسلوا له من الإمبراطورية الرومانية أحد
الأساقفة لكي يعمدوهم ويعلموهم الأسرار المقدسة، لكل النوبيين واليهود الذين
ظلوا على قيد الحياة.

فأمر الإمبراطور جوستيان بأن يمنحوه كل ما يطلبه، فأرسلوا إليه أحد الأساقفة
مع بعض الكهنة ضمن رهبان البطريك القديس يوحنا (يقال أنه مبعوث الملك

اكسيوم وكان رئيساً لكنيسة القديس يوحنا على الاسكندرية) وهذه الحادثة بينت أصل تحول الأثيوبيين إلى المسيحية في ظل حكم جوستينيان.

حدث أيضاً أثناء حكمه، أن ملك الحجاز هيدجاز والمسمى بالمنذر، قام بغزوة أغار فيها على بلاد فارس وسوريا، فأحدث فيها أضراراً بالغة، ثم تقدم بجيشه نحو مدينة أنطاكية، فقتل كثير من السكان، وأحرق مدينة كالسيز ومدن أخرى من مقاطعة سيرميوم، ومقاطعة سينجيا، وظل هكذا حتى تقدمت ضده جيوش الشرق، فلم تقف أمامهم جيوش الغزاة، بل عادوا إلى بلادهم حاملين غنائم كثيرة.

وفي أثناء حكمه حدث أيضاً زلزالاً كبيراً في مصر، إندثرت على أثره كثير من المدن والقرى، فهرب سكان الصحارى يصلون ويتضرعون إلى الله بدموع وحزن بسبب هذه الكارثة، فتوقفت هذه الكوارث بعد عام، وإنتهت الهزات التي كانت تحدث في كل مكان.

وظل المصريون يحتفلون بذكرى هذا اليوم من كل عام في السابع من شهر تيجمت Tegemt. ذكرى هذه الكارثة وزوالها وقد حفظنا هذا التذكار عن آبائنا الرهبان المصريين الثيوفوريين les Theaphoren.

وربما حدثت كل هذه الكوارث الطبيعية نتيجة تغير عقيدة الإمبراطور جوستينيان الأرثوذكسية، وقد صار أكثر تجبراً من سبقوه.

فقد أمر جوستينيان الشرقيين بأن يسجلوا أسماء أساقفة مجمع خلقيدونية، بعدما حذفوا اسم البطريك ساويرس من سجلات الكنيسة. وهو تقليد لم يعمل به من قبل، ولا أقرته المجامع ولم يذكر في سير الآباء. ولم يكن ممكناً ذكرهم في مجمع القداس، ولكن جوستينيان هو وحده الذي أقر هذا التقليد في كل إمبراطوريته، فأمر بتسجيل أسماء أساقفة مجمع خلقيدونية في الوقت الذي قاموا فيه بحرم كل من: أنثيموس بطريك القسطنطينية وأكاكيوس الذي كان بطريكاً في عصر الإمبراطور

لاون، وبطرس بطريك الاسكندرية، من الشركة المقدسة، وأمر بحذف أسماءهم من الديتيكيون (سكسار الكنيسة). وقام بإلغاء مرسوم زينون. وحرم اسم البطريك ساويرس من التداول في كل أقاليم أنطاكية، والمناطق المجاورة. ومنع ذكره في الديتيكون بالكنيسة، بل أمر بأن يلغوه.

ومنع شعب الاسكندرية أن يستقوا مصادر العقيدة من ديسقورس الذي خلفه البطريك تيموثاوس. ولكن كان الإمبراطور جيستيان قد سلم الكرسي البطريكي للخلقيديونيين. لكن الإمبراطورة ثيودورا زوجته، لم تكن راضية على هذا الوضع فتقدمت بالتماس في صالح البطريك تيموثاوس بطريك الاسكندرية، لذلك تركه الإمبراطور قائماً على كرسيه، وكانت تدعوه (بالأب الروحي).

وفي عهد هذا الأب البطريك القديس، ارسل الإمبراطور جوستيان فرقاً كبيرة من الجيش حاصرت مدينة الاسكندرية، مريدة أن تحدث بها مذبحة كبرى، فإنتدب الأب البطريك كهنة ورهباناً أرسلهم إلى الإمبراطور ليتوسطوا لصالح الكنيسة، وبتوسط الإمبراطورة التي ترجت الإمبراطور إلا تحدث مذبحة بالمدينة، وألاً تسفك دماء بريئة، ويترك الشعب على عقيدة آبائهم، ولما قرأ الإمبراطور الرسالة المرسلة إليه وافق على الطلب بتوسط الإمبراطورة ثيودورا التي كانت عزيزة عنده.

وأرسل أمراً إلى الجيش في مصر، بالعودة إلى إقليم إفريقيا.

وظل البطريك تيموثاوس قائماً في قصره، مخلصاً لعقيدته الأرثوذكسية. وأرسل الإمبراطور مندوباً عنه إلى الاسكندرية يدعى كالوتيشيوس Calotyehius ونودى بأن الإمبراطورية الرومانية كانت قائمة منذ ألف ومائتين وسبعة وثمانين سنة.

وظلت المدينة هادئة بعض الوقت، ثم تنيح الأب الجليل الأنبا تيموثاوس محاطاً بالوقار والإحترام.

الفصل الواحد والتسعون

حدث في عهد هذا البطريك الجليل الأنبا تيموثاوس بمدينة الاسكندرية حدثاً هاماً وعجيباً حقاً.

إذ كان يوجد في الناحية الشرقية في المدينة، في المكان المسمى أروتيوو على يمين كنيسة أثناسيوس، مسكناً يسكنه أحد اليهود، المدعو أوبوروو... كان يملك صندوقاً تسلمه عن والديه اليهود، يحتوي على صورة الرب يسوع المسيح، وقطعة القماش التي كان متمنطقاً بها ربنا يسوع المسيح، عندما غسل أقدام تلاميذه. وقد حاول هذا الرجل أن يفتح الصندوق عدة مرات، لكن دون جدوى إذ أنه عندما كان يلمسه كان ينزل عليه لهيباً مهديداً يحرق من يريد فتحه، وكان يسمع أصوات ملائكة ترتل الترانيم لمن سمر على الصليب الله الملك المجد، وكان هذا اليهودي مرتعباً لهذا فمضى مع والدته وزوجته وأولاده لمقابلة البطريك تيموثاوس وأخبره بهذه الحادثة، وتوجه الآب البطريك إلى المكان الذي فيه الصندوق، مصطحباً شمامسة يحملون صليباناً وأناجيلاً وشموعاً مضيئة، وشوريات، وحدث أن إنفتح غطاء الصندوق في الحال أمامه.

فحمل الآب البطريك الصورة والقماش المقدس بكل احترام وأخذها إلى قصره البابوي. ثم وضع الصندوق الآب البطريك في كنيسة تابيونيسسيوتس Tabeonnesiots في الاسكندرية، ويقال أنه نزل ملاك من السماء وأغلق غطاء الصندوق البرونزي المحتوي على الصورة والقماش، وظل مغلقاً حتى يومنا هذا.

فغضب سكان الاسكندرية مما حدث وذهبوا لملاقاة الفرس، وطلبوا منهم فتح الصندوق، ولكنهم فشلوا في ذلك، أما الرجل اليهودي فقد اعتنق المسيحية هو وأهل بيته.

الفصل الثانى والتسعون

بعد نياحة البابا تيموثاوس الورع، أقاموا مكانه الدياكون ثيودوسيوس الذى كان سكرتيراً له. وعندما كان ذاهباً لشغل كرسيه البابوى، تعرض له أحد الأثيوبيين يريد قتله، فهرب ومضى إلى مدينته، وعاش فيها متوحداً متعبداً، حينئذ إنتخب عامة الشعب لهم بطريركاً بدلاً منه اسمه (غايناس) مخالفين بذلك التقليد المقدس.

وكانت المدينة منقسمة.. البعض كانوا من أتباع ثيودوسيوس والآخر من أتباع غايناس، ودام هذا الانقسام آنذاك طويلاً، وكان بالمدينة عمدة اسمه ديوسقورس وكان ارسطوماج قائداً للجيش، فلما علم بهذه الأحداث اعلّموا الإمبراطور جوستينيان الذى أمر الحاكم العسكرى أن يمضى إلى مدينة الاسكندرية مصطحباً معه الآب القديس ثيودوسيوس من منفاه، فأعاد هذا القائد ثيودوسيوس إلى كرسيه وطرده غايناس.

وعندما تملك الكنيسة، أعطاه لبولس الخلقيدونى الذى كان راهباً من نابونيسيوتس، ونودى به بطريركاً وهذا الأخير أعلن كتابة، أنه مرتبط بعقيدة الخلقيدونيين، وبعث برسائل إلى كل الكنائس.

فحدث إضطراب ليس بقليل بين سكان الاسكندرية فأخذوا ينازلون بعضهم بعضاً، بالأسلحة لأنهم رفضوا أن يقبلوا بولس هذا المرتد والنسطورى، ولم يحدث هذا بالاسكندرية وحدها، ولكن فى باقى المدن أيضاً، وكان بولس يحب الاضطهاد وسفك الدماء، وقد وجدوه فى حمام يمارس جريمة الشذوذ الجنسى، مع أحد الشمامسة، فقام الإمبراطور جوستينيان بعزله، وعين مكانه راهباً يدعى زوئيل، فرفض سكان المدينة قبوله ولما رأى ان الشعب معادين له، أرسل خطاباً إلى الإمبراطور يعلمه بتنازله عن رتبة البطريركية.

حينئذ اختار الإمبراطور بدلاً منه شماساً قارئاً من دير سلامة بالاسكندرية يدعى أبولينيير (ادوليناريوس) وكان رجلاً وقوراً هادئاً، من حزب الشيودوسيين، وأقاموه بعدما أقنعوه أن يكون بطريكاً بدلاً زوئيل، ووعد بهبات كثيرة حتى يحاول أن يقر عقيدة الكنيسة، ومات غانياس في المنفى قبل ثيودوسيوس.

فجمع الإمبراطور جوستينيان مجماً كبيراً من الأساقفة من كل البلاد. مع فيجيل بطريك روما، وبعد جهاد كبير، قبل كثير من الناس العقيدة الأرثوذكسية، بينما إتبع الباقيون العقيدة النسطورية والخلقيدونية الخاطئة.

كان جوستينيان متمسكاً بعقيدة الخلقيدونيين وكان يقبل طومس لاوون الذي يعلن فيه أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين تماماً، كما كان يعلم المطران ثيودوريت Theodoret أسقف كورش، ثيودور أسقف المصيصة وفيوسوست - النساورة. وبعدهما أنزل الله كارثة على البلاد، عقد جوستينيان معاهدة سلام مع الفرس، وهزم فاندال.

وقد كتب قصص هذه الانتصارات العظيمة أغاثياس وهو أحد المعلمين المشهورين بالقسطنطينية، وكذلك أحد العلماء المدعو بروكوب النيل، وكان رجلاً ذا ذكاء عال، ومملوءاً وقاراً، وكان مؤلفه مشهوراً حيث كتب مجموعة قوانين تريونيان.

وقد أخذ جوستينيان كل مراسيم الأباطرة السابقين له ورتبها ترتيباً مناسباً، ونظمها للعمل بها، ووضعها في مسكن الحاكم. وهي ترجع أصلها إلى قدماء الرومان الذين تركوا هذا العمل للأجيال اللاحقة.

ربما كان هذا وجهة نظر المؤرخين لأحداث مجمع القسطنطينية الخامس.

الفصل الثالث والتسعون

كان هناك رجلاً يدعى (روميليوس)، وهو الذى أسس مدينة روما. ثم خلفه آخر يدعى نومانتيوس، الذى أسس كثير من المنشآت والقوانين فى روما، وقرر النظم الثلاثة للإمبراطورية.

هكذا فعل أيضاً قيصر القديم، واغسطس خلفه وبهذه المؤسسات أظهر الرومان تفوقاً، وظلت هذه المؤسسات قائمة بينهم حتى اليوم.

كما أن الإمبراطورة ثيودورا، زوجة الإمبراطور جوستيان أبطلت بدورها أعمال الدعارة، وامرت بطرد النساء العاهرات من كل مكان.

جمع رئيس اللصوص (يوليانس) السامريين كل السامريين واثار حرباً شعواء، وتوج نفسه ملكاً فى مدينة نيبوليس، وأطاح بعدد كبير من الناس فى مملكته، مؤكداً بالكذب أنه مرسل من الله لكى يعيد مملكة السامريين كما فعل من قبله روبوام ابن نابوت، الذى حكم بعد سليمان الحكيم بن داود.

والذى كان قد أغرى شعب اسرائيل وقاده إلى الوثنية، كان فى نيبوليس ثلاثة خياله: أحدهما مسيحي والثانى يهودى، والثالث سامرى، كانوا يتنازلون فى سباق، فانتصر المسيحي ونزل من على جواده محمياً برأسه أمام الجمهور لكى يحصل على الجائزة فسأل المغتصب عمن انتصر فى السباق فأجابوه بأنه المسيحي، فأمر فى الحال بقطع رأسه.

لذلك اسموا الجنود السامريين بجنود الفلسطينيين فقامت فرقة فينس، وكنعان وأرابيا وكثير من المسيحيين الآخرين واسرعوا وهاجموا هذا السامرى الشرير وقتلوه، كما قتلوا رفاقه الضباط، وقطعوا رأسه وأرسلوها إلى القسطنطينية، إلى الإمبراطور جوستيان لكى تكون مثلاً، ولكى يحفظوا الحكم، حينئذ وزع

الفصل الرابع والتسعون

كان موضوع جدال حول جسد ربنا يسوع المسيح بمدينة القسطنطينية، وهل قام بجسد قابل للتحلل أو غير قابل للتحلل؟ وقد حدث اضطراب وجدل كثير بمدينة الاسكندرية بسبب هذا الموضوع، بين أتباع ثيودوسيوس وأتباع غاناس، وطلب من الإمبراطور يوستيانوس رأى أو تيخوس بطريرك القسطنطينية في هذا الموضوع وهو يشارك في عقيدته آراء ساويروس وثيودوسيوس.

وكانت إجابة أوتيخوس هكذا: جسد ربنا يسوع المسيح خضع للآلام لأجل سلامنا، وهو حي لا يموت ولا يتحلل ويبقى كما هو.

نحن نؤمن بأنه تألم بإرادته الخاصة، وأنه بعد القيامة غير قابل للتحلل، ويبقى كما هو في كل الظروف وبلا حدود.

ولم يقتنع الإمبراطور بهذا التصريح، فوجد الحل الوحيد لهذه المشكلة في خطاب مرسل من القديس كيرلس إلى سكستوس.

وأما الإمبراطور فكان ميالاً للأسقف جوليان من أتباع غاناس، وعلى نفس العقيدة التي تقول: أن يسوع المسيح كان بشراً مثلنا، والكتب المقدسة تؤكد أنه تألم في الجسد من أجلنا.

وغضب الإمبراطور جوستيانوس من البطريرك أوتيخوس لأنه لم يجبه كما كان يرغب، وعلى العكس كان يقول عن ساويرس وأونسيمس أنهما خدعا سكان القسطنطينية، كما يخدعهم أوتيخوس أيضاً.

ارسل جوستينيان أمراً إلى حاكم الاسكندرية أغاثون وأمره أن يعين أبو اللينير، قمص دير بانتون Banton بطريركاً للخلقيدونيين بالاسكندرية ومدن مصر الأخرى.

ولكن سكان هذا الإقليم كانوا متعلقين تماماً بالعقيدة الفاسدة فكانوا لا يتبعون تعاليم آباءنا المذكورة في الكتب، والتي ذكر فيها أن الجسد المقدس الذي لربنا يسوع المسيح، لم يتعرض للفساد قبل القيامة والصعود، وأنه تألم وذاق بإرادته هو وحده، وبعد القيامة أصبح أبدياً وثابتاً، وهذه هي تعاليم غريغوريوس الناطق بالالهيات، فعلينا حين نتحدث عن موضوع الفساد، أن نبعد الآلام لمقدسة التي خاضها ربنا بالجسد بإرادته وحده وتديره الحر الذي أعده خلاصنا.

بعدما قام الإمبراطور جوستينيان بخلع ونفى أوتيكيوس بطريرك القسطنطينية، عين مكانه يوحنا.. وكان أصلاً من سيرميام مدينة بأقليم أنطاكية، والذي وعده بأن يكتب رسالة، متفقاً معه في الإيمان وأن يحمر خطاباً بذلك للمجمع الإكليريكي، ولكن بعدما جلس على كرسيه لم يهتم بتميم إرادة الإمبراطور ورفض أن يكتب شيئاً كما قال له.

وحقيقة الأمر، كان هذا الآب غير متدين في حياته المبكرة، فلم يكن يعرف الكتب المقدسة، ولم يتعمق في معرفة الديانة المقدسة، لكنه بعدما سيم كاهناً اجتهد في دراسة الكتب المقدسة، وعرف ما تحمله آباؤنا من الآلام والأحزان والأتعاب بسبب المسيح، وتعلم كذلك العقيدة الأرثوذكسية وترك عنه عقيدة الإمبراطور الفاسدة.

لم يوجد حاكم لمصر باسم أغاثون، ربما أخطأ عن أغاثون أخو أبوللينير كان مبعوثاً
للأسكندرية.

هذا البطريك عينه يوحنا الذى ألف الكتاب المعنون *Mystagogia* مستاجوجيا، الذى تحدث فيه عن الطبيعة الواحدة للمسيح كلمة الله، الذى صار جسداً وأثبت فيه بالبراهين، تبعاً لشهادة أثناسيوس الرسولى، الطبيعة الواحدة المقدسة الأنسانية.

أرسل ميناس الذى كان فيما مضى بطريكاً على القسطنطينية إلى فيجيل بطريك روما مكتوباً، غير فيه من رأيه فى طبيعة المسيح وقال: "لا يوجد سوى طبيعة واحدة ومشينة واحدة، فى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، نحن نؤمن بالله بمخافة كاملة من القلب وبتعمقنا فى تعليم آبائنا.

وكان هذا الكلام مطابقاً تماماً لأفكار يوحنا بطريك القسطنطينية، ولذلك كان الإمبراطور يريد خلع يوحنا. واذ كان يفكر كيف يكون ذلك، لأنه كان يخشى الإضطرابات إذ كان قد ألغى من قبله أوتيكوس بدون محاكمة شرعية.

ومات جوستنيان عن شيخوخة متقدمة فى العام التاسع والثلاثون من حكمه، وكانت ثيودورا زوجته الإمبراطورة قد ماتت قبله.

وقام السامريون بثورة فى فلسطين، واستولوا على الأسلحة. فقام الإمبراطور جوستنيان قبل موته وأرسل أحد الرهبان، ذو مكانة مشهورة وعالية ويدعى فوشن Photion (ربما هو فوشن حفيد بليزر) يرافقه عدد كبير من الجيش لمقابلتهم.

وقد هاجم فوشن وهزمهم ثم أوقع بهم عقاباً قاسياً ونفى كثير منهم وأحدث رعباً عظيماً.

فى هذا الوقت اجتاحت الجماعات العظيمة، والطاعون الإقليم كلها. ولما رأى الإمبراطور جوستنيان اضطراب الشعب وكان حينذاك مزمعاً أن يرسل مرسوماً عن الإيمان، إلى كل أقاليم الاسكندرية، ثم يبدأ اضطهاداً عظيماً فى كل مصر، لكنه

وقع فريسة الحزن الشديد واضطراب فكره، وفي جنونه كان يتمشى في حجرات قصره متمنياً الموت لنفسه، ولكنه لم يجده لأن الله كان غاضباً عليه.

وعندما ظهر جنونه أمام الشعب خلعوا عنه التاج الإمبراطوري، ووضعوه على رأس طيبار Tibere، الذى نودى به امبراطوراً مكانه، وأعطاه ربنا يسوع المسيح القوة والسلطان.

وكان طيبار رجلاً جميلاً، يحب الخير، ذو قلب ثابت وكريم، وعندما تسلم الحكم، أبطل الاضطهادات وكان يحترم الكهنة والرهبان وكثيرون كانوا يتهمونه بأنه نسطورى، ولكن هذا الاتهام خاطئاً لأنه على العكس، فلم يكف عن مساعدة الأرثوذكسين الذين يؤمنون بالطبيعة الواحدة للمسيح فى طبيعتين والذى هو حقاً الله، وحقاً انساناً فى طبيعة واحدة، لأن الكلمة صار جسداً فلنسبحه ونمجده لأنه يعطى العون والقوة للملوك.

ولم يكن يسمح هذا الإمبراطور أثناء حكمه لأى أحد أن يضطهد المؤمنين، وكان يقدم هبات كثيرة لكل اتباعه ويؤسس كثير من الكنائس تكريماً للشهداء وقلايات للرهبان وأديرة كثيرة، وكان يوزع صدقات بسخاء على الفقراء والمساكين.

فكافاه الله لأجل أعماله الحسنة بأن جعل السلام يسود خلال مدة حكمه. وكان هذا الإمبراطور يحافظ بصفة خاصة على عاصمته بعد الاضطرابات.

وتنيح يوحنا بطريرك القسطنطينية، الذى تشبع بالعطايا فى فتره حكمه، وبعد نياحته أعاد الإمبراطور (أتوكيوس) من منفاه وأرجعه إلى كرسيه.

ويوحنا "ابولينيير" اسقف الخلقيدونيين كان قد مات فى الاسكندرية، فنصبوا مكانه رجلاً يدعى يوحنا، كان قائداً حربياً وكان ذو خلقة جميلة ولم يكن يجبر أحداً على ترك عقيدته، وكان يسر بتمجيد الله فى كنيسته وسط شعبه وكان يعظم أعمال الإمبراطور الحسنة، وكان المسيح مع الإمبراطور، فهزم الفرس والبربر بقوة



أسلحته ومنح السلام لكل الشعوب التابعين لإمبراطوريته ثم مات بسلام فى السنة الثالثة من حكمه.

إذ كان حكمه قصيراً بسبب خطايا الشعب. لأنهم لم يكونوا مستحقين لإمبراطور ورع كهذا.

فحرموا من هذا الرجل الطيب الأمين، وقبلما يموت كان قد أوصى بزواج ابنته "جيرمان" ليجلسوه على العرش وكان نبيلاً، ولكنه رفض السلطة بتواضع، فأقاموا على العرش موريس (موريق) الذى كان أصلاً من إقليم كبادوكيه.

الفصل الخامس والتسعون

وكان موريس خليفة طيباريوس محب الله، وكان موريس يحب المال جداً، وكان قد سبق وحكم فى الشرق ثم زوج ابنته دومنتول التى تدعى كونستانتين، ثم استدعى فى الحال إلى القسطنطينية كل الفرسان وأرسلهم مع دومنتيول إلى الشرق.

وأرسل رسالة إلى أرسطوماك المصرى، الذى كان مواطناً من نيقوس، وابن الحاكم ثيودور وكان رجلاً متكبراً وقوياً، وقبلما يموت أبوه كان قد شجعه بقوله: "ابق فى عملك ولا تتطلع إلى مهنة أخرى وأرض بمرتبك حتى تستريح نفسك، لأنك تملك ثروة كبيرة يمكنها أن تكفيك".

ولما كبر أرسطوماك نسى وصية أبيه، وحاول أن يلعب دوراً فى هذا العالم، فكون لنفسه اتباعاً كثيرين من المسلحين، وحصل على سفن ليطوف فى كل مدن

مصر بسرور. وأصبح هكذا في كبرياء للغاية، وأرغم كل الرؤساء أن يحترموا سلطة الإمبراطور.

لأنه حصل خلال حكم الإمبراطور طيباريوس على السلطة، ومع توليه السلطة أصبح أكثر غروراً وصارت كل الجيوش تحت سيطرته، ولم يكن يحسن أحداً. ووضع فرسانا في مدينة نيقوس بدون إذن الإمبراطور. وجعل كل العسكريين الذين تحت سيطرته في حرمان، فكان يستولى على بيوت كل من كانوا أغنى منه، وكان يعاملهم بغير اكتراث ويهملمهم. عندما كان يأتي إليه أشخاص ذات مركز عال، أو من طبقة أقل، لم يكن يدخلهم إليه الا بعد ما يتركهم ينتظرون طويلاً على بابه.

ولما علم الإمبراطور طيباريوس قبل موته، بتصرفات ارسطوماك أرسل إلى الاسكندرية ضابطاً يدعى (اندراس)، لكي يوقفه ويحضره حياً بحذر، لأنه كان يتجنب سفك الدماء.

ثم وجه الإمبراطور طيباريوس رسالة إلى كل المحاربين في مصر يحثهم على مساعدته ضد البربر.

وعندما تسلم ارسطوماك الرسالة الإمبراطورية، توجه إلى الأسكندرية مصطحباً عدداً صغيراً من مساعديه، لأنه كان يجهل الفخ الذي نصب له.

وكان البطريك إندراس، والضابط سعيدين لرؤيته، وأمروا بإيقاف سفينته في البحر خفية، قرية من كنيسة القديس مرقس الانجيلي، واقیم في ذلك الوقت قداساً في الثلاثين من شهر أمشير (برمودة) Miyazya، وهو عيد القديس مرقس الانجيلي.

وبعد انتهاء القداس، خرج اندراس من الكنيسة مصطحباً ارسطوماك متوجهاً نحو الشاطئ، ثم أشار إلى أتباعه وإلى الجنود أن يمسكوا ارسطوماك ويلقوه في السفينة، ولم يفهم ماذا حدث له وساروا بالسفينة إلى مقر إقامة الإمبراطور.

ولما رآه الإمبراطور الحكيم قال: هذا الوجه ليس وجه مجرم، فلا تسيئوا معاملته إطلاقاً". وأمر بأن يحتفظوا به في بيزنطة حتى يفحصوا أمره، وبعد فترة قليلة لما لم يجد عليه أية جريمة ضده، أعاد إليه القيادة وأرسله إلى الاسكندرية حيث أحبه الجميع.

فحارب بربر إقليم النوبة وأفريقيا وهم الذين يسمون مورتينين وهزمهم وشتت شمل بربر آخرين يسمون ماريكو Mariko وخرب بلادهم بعدما جردوهم من كل أملاكهم، ثم أعادهم مكبلين بالسلاسل إلى مصر عن طريق نهر جيحون، لأن المقابلة حدثت على شاطئ النهر.

وتحدث المؤرخون عن انتصارته، فظن أن بعض الحاقدين سيذهبون لمقابلة الإمبراطور ويتهمونه عنده، فأراد هو أن يسبق ويخطر به بإرساله رسالة فورية إلى الإمبراطور، يسأله فيها إن كان ممكناً تحديد مقابلة له، فرد عليه الإمبراطور موريس بالإيجاب.

فسار أرسطوماك إليه حالاً وتوجه إلى الإمبراطور مقدماً له الخضوع والعديد من الهدايا، وقبل الإمبراطور هداياه، وعينه عمدة للمدينة الإمبراطورية، وجعلته الإمبراطورة كونستاتين رئيساً لحاشية منزلها، وأغدقت عليه النعم، فحصل على الرتبة الثانية بعد الإمبراطور، وأصبح شخصية عظيمة في مدينة بيزنطة، وكان سكان المدينة يشكون جداً من قلة المياه، فأمر بعمل طلمبات في كل المدينة، وكلف أحد المهندسين العلماء بعمل خزان من البرنز لم يسبق عمل مثله، وكان الماء يجري ويتجدد فيه، فأصبحت المياه متوفرة في المدينة.

وكانوا يستخدمون مياه هذا الخزان لإطفاء أية حرائق تحدث. فأصبح أرسطوماك محبوباً ومكرمًا من كل الشعب، لكن ظهر أشخاص بلهاء يحلمون في إهلاكه، ويجنون له المؤامرات.

وبينما كانوا يعدون ذلك، ظهر أحد القضاة وكان يعرف في التنجيم وآخر عرافاً يدعى لاون، هذان لاحظا نجماً ظهر في السماء وكانا يؤكدان أن هذا النجم يدل على قتل الإمبراطور، وذهبا لمقابلة الإمبراطورة كونستانتين سراً، وأخبرها بملاحظتهما قائلين: "إعلمي ما يجب أن تفعله بإزاء ذلك، وحاولي إنقاذ نفسك وأولادك، لأن هذا النجم الذي ظهر حديثاً هو فال الثورة ضد الإمبراطور".

ثم اتهموا ارسطوماك بذلك، متوسلين أليها أن لا تقول شيئاً من ذلك إلى الإمبراطور.

لكنها مضت بسرعة لتخبر الإمبراطور بذلك، فافتنع أن ارسطوماك سوف يقتله، ويشنق زوجته، فأمتلأ كراهية له وطرده نهائياً، وجعله يعاني من الازلال والاهانة الشديدة ثم نفاه إلى جزيرة الفال، وظل هناك حتى مات.

وظل الإمبراطور موريس يواجه كثير من مختلفي التهم الكاذبة، ومسببي الخلافات، وبسبب حبه للمال، كان يبيع ويستبدل قمح مصر بالذهب، وكذلك القمح المخصص لمدينة بيزنطة فبدأ كل الشعب يكرهونه، وكانوا يقولون كيف يمكن لمدينة القسطنطينية، أن تحتل إساءات مثل هذا الإمبراطور؟

وهل من الممكن أن يكون أباً لخمسة أولاد وبنتين، ذلك الذي يمارس مثل هذا الطغيان حتى نهاية عمره؟!

ويحكى أن كباديس الكبير، والد أميسداس المدعو كسرى، ملك الفرس الذي كان معاصراً كان مسيحياً، وكان يؤمن بالمسيح إلهنا القوي، ولكنه خشيه غضب الفرس عليه كان يخفي إيمانه.

في نهاية حكمه، دخل حماماً يصحبه اتباعه المخلصين، وبعد أن تشجع وتعلم على يد أسقف مسيحي أركان الديانة التي كان يمارسها سراً، جحد الشيطان الذي

كان يعبده قبلاً، ثم عمدته الأسقف في حوض سباحة، على اسم الثالوث الأقدس،
وامر بعد ذلك بهدم حوض السباحة الذي إعتمد فيه.
وأقام ابنه اميسداس ملكاً مكانه، ولكن هذا البائس كان متمسكاً بإيمانه
بالمقدسات الخاطئة، فكان يجبر المسيحيين على عبادة النار والشمس، وكان يعبد هو
أيضاً الخيول التي تأكل العشب.

الفصل السادس والتسعون

كانت هناك امرأة نبيلة تدعى (كولندوخ) بلغة الفرس، وكانت نسطورية
المذهب، وأثناء رحلتها في البحر أسرها الفرس، ووضعوها في السجن بعدما كبلوها
بسلسلة في رقبتها، تبع تقاليد السوريين. فتألمت حتى كانت على وشك الموت.
وأثبتوا للملك، والسلسلة مازالت مقفلة بكل حرص، ومغلقة على الرقبة،
وبينما كانت كولندوخ في هذه الحالة، ظهر لها ملاك وكلمها، ثم نزع عنها
السلسلة المربوطة في رقبتها، دون أن تفتح، وسلمها للحراس هكذا حتى لا يعاقبوا
من رؤسائهم ثم سمعت صوتاً من السماء قائلاً: "إنه عن طريق إيمانك الأرثوذكسى
بعقيدة ربنا يسوع المسيح قد أنقذت".

فهربت بعدها إلى الأراضى الرومانية، حيث توقفت في مدينة يارودوليس على
نهر الفرات. ثم مضت لتقص ما حدث لها إلى الحاكم دومتيان، وهذا الأخير وهو
ابن عم الإمبراطور موريس، توجه إلى الإمبراطور، وأعلمه بمغامرة هذه المرأة، فأمر
الإمبراطور باحضارها إلى حضرته، حيث أقنعها بالتخلي عن عقيدتها النسطورية،
وأعتناق إيمان الكنيسة الأرثوذكسية فسمعت كلمته وقبلت الإيمان.

وأن ربنا يسوع المسيح الطويل الأناة، والذي يجب أن يسكب رحمته بغنى، لم
يصمت أمام إضطهادات قديسيه ولا أظهر عدم اهتمام تجاه المظالم التي يمارسها ملك

الفرس ضدهم، لكنه غضب عليه حتى إنقلب منزل Chosroes الجديد من أعلى إلى أسفل، فثار ابنه عليه وقتله. وحدث بعدها انشقاق كبير بين الأعيان إلى فريقين. ولما رأى ذلك شوزراوس Chosroes - هرب إلى الأراضي الرومانية وتقدم إلى الضباط الرومان حيث أرسل سفراء إلى الإمبراطور موريس، طالباً منه السماح بالبقاء تحت سلطته الرومانية، ثم طلب أن يشترك معه في الحرب ضد الفرس وغزو بلادهم وتسليمها للرومان.

ومضى الإمبراطور موريس لكي يتشاور مع يوحنا بطريك القسطنطينية، وكان هذا الأب البطريرك يوحنا يحيا حياة نسكية، كلها ممارسة أعمال التوبة، فلم يأكل أى طعام مطبوخ، ولم يشرب خمراً، وكان يغتذى على قليل من ثمار الحقل والخضروات الخضراء.

واجتمع عنده القضاة والضباط، ليتشاورا معه فى موضوع شوسراوس ملك الفرس، الذى جاء أخيراً إلى بلادهم.

فتحدث معهم الأب يوحنا بقوة قائلاً: إن هذا الرجل الذى قتل أباه لا يمكن أن يكون نافعا للإمبراطورية، لكن المسيح الهنا الحقيقى هو الذى سيحارب عنا فى كل وقت ضد هؤلاء الشعوب التى تحاربنا. أما هذا الشخص الذى لم يكن مخلصاً لوالده، فهل سيكون مخلصاً للإمبراطورية الرومانية؟!

لكن الأمبراطور موريس رفض رأى البطريرك هذا، وكذلك كل ضباطه، وكتب فى الحال إلى دومتيان أسقف ميليتس وكان ابن عمه، وإلى مارسيس قائد جيش الشرق، وأمر أن يتقدم بكل فرق الرومان لكي يثبت شوزراوس ملكاً فى فارس، ويهلك منافسيه.

وذهب شوزراوس قلادات ملكية، وملابس فاخرة تليق بمركزه. وكان شوزراوس يذهب دائماً لمقابلة كولندوج لكى يسألها إن كان سيحكم أو لا يحكم فارس.

فأجابته: بالتأكيد أنك ستنتصر وتحكم على الفرس والجوس وستعطى الإمبراطورية الرومانية فقط للإمبراطور موريس.

وقد نفذ مارسيس أوامر الإمبراطور، فأعاد شوزراوس الملعون إلى الفرس فهاجمهم وأنتصر عليهم وسلم مملكة الجوس إلى هذا البائس، وبعدما إعتلى العرش أظهر جحوده نحو الرومان، الذين أفعموه بالحسنات وتآمر على اهلاكمهم.

وفى أثناء الليل اجتمع الجوس عنده لكى يعدوا السم الذى كانوا سيدسونه، ويخلطونه بالطعام للجنود الرومان، وطعام خيولهم فيهلكهم جميعاً مع مارسيس قائدهم.

لكن ربنا يسوع المسيح ألهم رجال القصر، الذين جاءوا يبنهون مارسيس قائد جيش الرومان، وعندما علم مارسيس بهذا المصير أوصى جنوده ألا يأكلوا إطلاقاً من الطعام الذى سيقدمونه لهم وأن يقدموه للحيوانات أولاً.

وعندما أكلت منه الكلاب والحيوانات الأخرى ماتت.

فغضب مارسيس من شوزراوس، وأعاد الجنود الرومان إلى قائدهم، وبدأ الرومان يكرهون الإمبراطور موريس بسبب ما حدث من الكوارث إبان حكمه.

الفصل السابع والتسعون

كان فى مدينة ايكىلا فى شمال مصر والتى تسمى اليوم (بالزاوية) وهى قرية من الاسكندرية، يوجد ثلاثة إخوة هم ابسخارون، وميناس، وجاك. وابسخارون البكر

كان نساخاً، وكان له ابناً يدعى اسحق، وأعطاهم حاكم الاسكندرية يوحنا السلطان في كثير من بلاد مصر.

ولما لم تحتل الأرض ثروتهم الكثيرة هاجموا أعضاء الحزب الأزرق (الوانوطس) وضربوا مدينتي بانا وبوصير، ولم يعتبروا حاكم تلك الناحية الذي كان رجلاً ممتازاً وسلوكه بلا عيب فأحدثوا مذبحاً كبيرة في المدينتين، حيث اشعلوا النار في مدينة بوصير، وأحرقوا الحمام العام. وهرب حاكم مدينة بوصير، لأن سكان ايكيا كانوا يريدون قتله، فاستطاع أن ينجو من ايديهم، ومضى إلى بيزنطة حيث مثل أمام الإمبراطور موريس وهو يبكي ويتحب، ثم أعلمه بمحاولة الإعتداء التي قام بها هؤلاء الرجال الأربعة والتي كان هو هدفها.

وفي نفس الوقت وجهت له رسالة من حاكم الاسكندرية يعلمه فيها بهذه الأحداث أيضاً، فغضب الإمبراطور موريس جداً وأمر حاكم الاسكندرية يوحنا أن يحرم هؤلاء الرجال من وظائفهم.

فجمع هؤلاء الرجال عدداً كبيراً من الغامرين بخيول وسيوف وكل أنواع الأسلحة الممكنة، وأستولوا على عدد كبير من السفن التي كانت تحمل قمحاً إلى الأسكندرية.

فحدثت مجاعة عظيمة في المدينة، وصار السكان فريسة لآلام الجوع، وكانوا يريدون قتل الحاكم يوحنا، فدافع عنه المؤمنون محبي المسيح، لأنه كان دائماً يحكم بعدل.

وارسل الشعب شكوى للإمبراطور، يخبرونه بحالة المدينة الكثيرة، فعزل الإمبراطور الحاكم يوحنا، وعين مكانه بولس من مدينة الأسكندرية.

لكن يوحنا حمل معه شهادات تقدير، من كثير من الشعب وبعد رحيله، مضى إلى الإمبراطور، وقص عليه أعمال العنف التي ارتكبها سكان ايكيا وظل بعض

الوقت عند الإمبراطور ثم أعاده الإمبراطور إلى وظيفته، وأعطاه مطلق السلطة على مدينة ايكولا، ولما علم أهل هذه المدينة بعودة يوحنا إلى الاسكندرية، اثاروا الاضطرابات في كل أقاليم مصر.

واستخدموا السفن والبر، وارسلوا واحداً من بينهم وهو اسحاق القرصان، مصطحباً بعض قطاع الطرق، الذين نزلوا في البحر واستولوا على عدد كبير من السفن التي تجوب البحار وحطموها، ثم مضوا إلى قبرص وأحدثوا بها خسائر مادية كبيرة.

واجتمع كثيرون من مدينة ايكويلا، ومنهم الزرق والخضر، وبوصير عدو الله... وتشاوروا مع أولوج بطريك الاسكندرية الخلقيدني، وايلاس الشماس، وميناس تلميذ الأسقف، وبطليموس قائد البربر، بدون علم سكان المدينة. وأرادوا تعيينه حاكماً بدلاً من يوحنا ولكن بعضهم كان يعترض قائلاً: إن يوحنا هذا لا يخاف أحداً، وهو يكره التعسف، ويعاملنا كما نريد أن نعامل به مع ذلك فسكان ايكويلا كانوا يرتكبون اساءات جديدة، فيستولون على سفن محملة بالحبوب، ويستولون على ضرائب الإمبراطورية، ويجبرون حاكم المنطقة أن يسلمهم ايصالات الضرائب. بعد رجوع يوحنا إلى الاسكندرية، جمع كل فرق جيش الاسكندرية، ومصر، والنوبة وكان عليهم أن يسيروا لمقابلة سكان ايكويلا.

وبدأ ثيودور ابن القائد زكريا، والذي كان مع أرسطوماك في القتال، حيث وجه خطاباً سرياً إلى يوحنا، يخثه فيه على أن يرسل له قوات مدربة يجيدون تصويب السهام، وأن يطلق سراح رجلين كانا في السجن هما كوزماس ابن صموئيل، وبانون ابن آمون، فأوصى أن يأخذ كوزماس طريق البر وأما بانون فيذهب بالسفينة.

وأما زكريا فكان نائباً ليوحنا في بوصير، وكان ذو مركز مرموق فوجد يوحنا نفسه أمام خرائب كثيرة بالاسكندرية، فأمر بالقبض على كثير من المشاغبين ومعاقتهم.

وقد حصل على عديد من السفن، وأظهر للثوار خوف شديد منذ وصوله إلى الاسكندرية.

وبعد ذلك أمر بتنفيذ أعمالاً كبرى في البحر، وقد ظل بعد ذلك بالاسكندرية حتى موته، ولم يعد إلى بيزنطة أبداً.

عندما تقدم ثيودور القائد وجنوده ودخلوا الاسكندرية بعدما أحرقوا معسكر الثوار، رجالاً وشباناً ورماة رمح وعدد كبير من المعارضين.

واصطحب ثيودور معه الخمسة رجال الذين خلصهم من السجن وهم كوزماس ابن صموئيل، بانون ابن اسمون وزملائهم، لكي يعرض أمامهم الثوار المصريين الذين أطلق سراحهم.

ولما وصلوا إلى شاطئ النهر جعلوا الفرسان على الشاطئ واركبوا الجنود في السفينة. ثم عبر القائد بجنوده إلى الضفة الشرقية للنهر، وظل كوزماس وبانون مع فرقة أخرى كبيرة على الضفة الغربية. وكانو يصيحون في المتآمرين الذين كانوا على الضفة الشرقية، هيا يا من تضمون إلى صفوف الثوار، هل ستحاربون ضد القائد؟ إعلموا أن الامبراطورية الرومانية ليست ضعيفة ولا منهزمة.

فلما سمع ذلك الناس الذين كانوا منضمين إلى صفوف الثوار، افترقوا منهم في الحال، وعبروا النهر منضمين إلى الجيش الروماني.

ثم هاجموا رجال إيكولا الذين انسحبوا منهزمين، وهربوا أثناء الليل حتى وصلوا إلى بلدة صغيرة تدعى أبوسان، ولما لم يستطيعوا البقاء فيها مدة لانكشاف

على الرجال الأربعة، أسخرون وميناس وجاك واسحق، وقيدوهم فوق الجبال وطافوا بهم في كل مدينة الاسكندرية أمام كل الشعب وأخيراً طرحوا في السجن مكبلي الأيدي والأرجل وظلوا هناك.

عندما عين النيل كونستانين حاكماً للأسكندرية، بعد زمن طويل من طرف الامبراطور، فحص دعوى هؤلاء المساجين، وعرف المعاناة التي تقع عليهم، فأمر بقطع رؤوس الثلاثة الأخوة، وأما اسحق فقد احتفظ به اسيراً حيث أمر بنفيه إلى جزيرة اتروكيو ليقتضى بقية حياته هناك.

أما ما يخص بقية شركائهم في الجرائم، فقد حكم على بعضهم بعقوبات بدنية، وآخرون بمصادرة أملاكهم، ثم اشعلت النيران في مدينتي ايكولا، أبوسان فصار هناك خوف في كل إقليم مصر وأصبح السكان في رعب فصار هدوء وسلام.

ظهر في ذلك الحين في ناحية أخميم قائداً من الانصار يدعى (ازارياس) وجمع حوله عدداً كبيراً من العبيد الحبش وقطاع الطريق وفرض الضريبة العامة دون علم المسؤولين في تلك النواحي.

فصار فزع في الشعب من أعمال العنف التي يرتكبها هؤلاء العبيد والبربر وسرعان ما أخبروا الإمبراطور برسالة عما يحدث، فأرسل الامبراطور أحد الضباط ذو رتبة عالية ومعه عدداً كبيراً من الجنود المصريين والنوبيين ضد ازارياس الذي لما سمع هرب دون انتظار أى هجوم. واحتتمى فوق جبل وعر وقاحل، يشبه القلعة وقد حاصرت القوات هذا الجبل لمدة طويلة حتى نفذت المياه والطعام عن هذا الشائر وأعوانه، فماتوا من الجوع والعطش بعدما تركوا خيولهم.



أثناء حكم هذا الإمبراطور أيضا كان يوجد بالاسكندرية حاكماً وقائداً عسكرياً اسمه ميناس ابن مايير. ظهر مخلوقين فى النهر أحدهما يشبه رجلاً والآخر يشبه امرأة، وكان كل من يسير بجانب الشاطئ يصصرهما كل أحد بوضوح، وكان يندهش لما يرى.

وحضر ميناس أيضا مع كل القضاة وعلية القوم بالمدينة وشهدوا هذا المنظر! وكان كل من يشاهدهم يوجه اليهم الحديث قائلاً: "نستحلفكم باسم الله الذى خلقكما اظهرا بوضوح أمام أعيننا".

ولدى سماعهما لهذا التوسل كانا يظهران وجهيهما وأيديهما وصدورهما حتى كان كل من يرى ذلك يقول: إنه عمل شيطانى يسكن المياه. وقال آخرون ربما النهر له جنسين حتى انجب مخلوقات كما لم نر من ذى قبل، وآخرون قالوا: أنه حدث شئ ردىء لبلدنا... ورابع يقول: إنه علامة طيبة تنبئ بالخير بظهور هذه المخلوقات، وهكذا كان الكل يقولون بآراء خاطئة وأحاديث لم يكن لها أساس.

الفصل الثامن والتسعون

وفى أثناء حكم الإمبراطور موريس كان هناك رجل فى بيزنطة اسمه بولان، وكان يعبد أشياء خاطئة، مدعياً أن الإمبراطور يسمح بهذه الممارسات، لكن الله عاقب هذا الساحر، الذى أصابه الجنون، وكان لديه وعاء يضع فيه ماء الذبيحة النجسة للعبادة الخاطئة.

فحمل هذا الوعاء وباعه إلى صائغ، ولما رآه أحد رهبان الدير عند هذا الصائغ، ولفت نظره صنعته الجميلة اشتراه منه وحمله إلى الدير، ووضعه بجانب المذبح بمفرده. وكان يملأ بالماء وأمر الإخوة أن يغترفوا من هذا الماء كلما تناولوا من الأسرار المقدسة، لكي يصرفوا تناول، وهو جسد ودم المسيح الهنا.

ولكن هنا الملك العظيم المجدد ربنا يسوع المسيح لم يرد شيئا من المقدسات الخاطئة تختلط بالأواني المقدسة غير الدموية، كما يقال في رسائل الرسل أن المذبح المقدس، لإلهنا.

بعدها تناول الإخوة خرجوا من الهيكل، لكي يشربوا من هذا الماء حسب العادة، فرأوا المعجزة التي حدثت في الوعاء، إذ تحول الماء إلى دم، فأصيبوا بفرع هم ورؤساؤهم وصرخوا ببكاء، ثم بدأوا في فحص نفوسهم، فوجدوا أنهم غير مذنبين كما يستدعى ذلك، فحملوا الوعاء الفضي في الحال، وهو مملوء بالدم ومضوا إلى يوحنا بطريرك القسطنطينية واخبروه بما حدث.

فأرسل البطريرك في استدعاء الرجل، الذي باع الوعاء وسأله: من أين جاء بهذا الوعاء؟ ومن اشتراه؟ فأجابه بأنه اشتراه من بولان! حينئذ علم البطريرك مع رجال الكنيسة أن هذا الحدث إنما هو من الله... وكشف إنكار بولان الساحر للإيمان، وشره، واندفع الجميع مسوقين من الله، واسرعوا واحضروا بولان ومضوا به إلى قصر الإمبراطور مورييس.

ولما استجوبه كبير الضباط عما حدث أما القضاء وأعضاء المجلس، اعترف أمام الجميع قائلاً: كنت معتاداً أن أضع في هذه الكأس دم الذبائح، التي كنت أقدمها لمقدساتي فغضب الحاضرون وحكموا عليه بصوت واحد، أنه يحرق حياً.

وأعلنوا الحكم على ثلاث دفعات بصوت منادى: إن بولان (دولينوس) عدو الله كان يوجه صلواته إلى أبولون لهلاكه، فهل سينقذه؟

وقالوا أيضاً له لقد انهمكت بالتلذذ في خطايا غريبة، أسأت إلى نفسك بما لا يفيد روحك.

وأيضاً الاعلان الثالث: هو أن بولان طلب باختياره هلاك نفسه، وصار عدواً للثالوث الأقدس، ولم يثبت في الإيمان الاثوذكسي الحق.

وبعد هذه المحاكمات التي تدينه بالموت، رأينا كل الذين شاركوه في ممارساته الكريهة حاولوا إنقاذه.

ولما علم البطريك يوحنا بهذه النتيجة، توجه معترضاً إلى القصر وخلع عنه رداءه الكهنوتي الذي كان يرتديه، بينما وقف كل الشعب يصيح، فلينجح إيماننا الارثوذكسي ويزدهر.

فقال البطريك: "إذ لم يحرق بولان الساحر حالاً، فيأني سأترك كرسي، وأمر بهلق كل الكنائس، ولن أسمح لأحد أن يشترك في السرائر المقدسة، ولن يترك المسيح عقاب الذين أهانوا اسمه!".

وخشى الإمبراطور أن تحدث ثورة في هذه الظروف حيث لم يعد البطريك إلى مقره قبلما يحرق بولان.

وأظهر الإمبراطور في تصرفاته كأحد الوثنيين، وعندما علم أن الجميع يلومونه أصيب بحزن عميق.

الفصل التاسع والتسعون

كان الإمبراطور في بداية حكمه يريد أن يبرز إيمانه بيسوع المسيح مخلص العالم كله، فأصدر قانوناً بأن كل عقد يكتب عليه العبارة التالية: "بسم ربنا يسوع المسيح إلهنا ومخلصنا".

ثم بعد ذلك أمر دومتيان ابن عمه بأن يجبروا اليهود والسامريين بالاكراه بالعماد، وأن يصبحوا مسيحيين ولكنهم أصبحوا مسيحيين بالكذب والرياء، كما أجبر أيضا الهراطقة أن يقبلوا في الوظائف الكنسية لأنه كان خلقيدونيا متعصباً.

الفصل المائة

وفي حكم الإمبراطور مورييس حدث في الشرق، في مدينة إسنا وهي أكبر مدن الريف، أن الحياة فاضت أثناء الليل، بينما كان السكان غارقين في النوم، فهدمت منازل كثيرة بسكانها، وجرفتهم الأمواج وأغرقتهم في النهر، حيث هلك كثير من الناس وحدثت خسائر فادحة في المدينة.

كذلك حدث نفس الشيء في مدينة طرسوس في سيسليا حيث فاض النهر الذي كان يخترقها في منتصف الليل، وغطى جزءاً من المدينة المسماة انتنوا Antinoe وهدم كثيراً من المنازل وقد عثروا في النهر على منضدة من الحجر مكتوب عليها "هذا النهر يهدم كثير من المنازل في هذه المدينة.

الفصل الواحد والمائة

وأثناء حكم الإمبراطور مورييس أيضاً، ساد الخراب والأسى لمدينة أنطاكية بسبب زلزال شديد خربها للمرة السابعة وانقلبت أماكن كثيرة في الشرق، وكذلك الجزر، ومات عدد كبير من الناس.

وحدث اضطراب شديد بين الشعب لأن الشمس أظلمت في الساعة الخامسة صباحاً وظهرت النجوم تتلألأ فخاف الشعب واعتقدوا أن نهاية العالم قد اقتربت. صرخ الكل وكانوا يبكون ويتوسلون إلى المسيح إلهنا أن يرحمهم ويغفر لهم، حينئذ سطع ضوء الشمس ثانية واندحرت الظلمة.

وكان الشعب المجتمعون يقولون: إن هذا الحدث الذي تم، حدث أيضاً في نهاية مدار ٥٣٢ سنة وبعدها حسبوا الوقت، وجدوا في الواقع أنه كان في نهاية العقد الثاني عشر، لكن الأشخاص الأتقياء القديسين قالوا: إن هذا عقاب أصاب العالم بسبب بعد الإمبراطور مورييس عن الإيمان الصحيح.

الفصل الثاني بعد المائة

حدث أن أحد القضاة يدعى أوديكيوس كان عليه أن يسافر إلى بلد تسكنه قبائل همجية، فطلب من أحد مساعديه أن يحضر له قماشاً من الحرير على شكل عباية كانت له. ولما فحص وجد أن هذه العباية أكلتها الفيران وأفسدتها، فغضب جداً من خادمه، وألقاه في قبو مليء بالفيران، وأغلق عليه وتركه فيه مدة طويلة.

فمات الرجل والتهمة الفئران، ولما عاد إليه بعد مدة طويلة وجده ميتاً ومتعفنًا فندم لأنه تسبب في موت رجل بسبب رداء.

ولما فتك به الحزن قام ومارس أعمالاً حسنة، فكان يوزع صدقات كثيرة على الفقراء ويصلي ويتشفع بسيدتنا القديسة مريم، ثم قام ومضى إلى الأماكن المقدسة لزيارة القديسين المقيمين فيها، معترفاً أمامهم بخطئه، لعله يسمع كلمة تعزيه منهم! لكن هؤلاء كلموه بعنف بطريقة جعلته يعدل من خلاص نفسه....

وأخيراً مضى إلى دير جبل سيناء. فقال له رهبانه "لا رحمة لك، فنزعوا عنه كل أمل".

لقد فهموا خطأ معنى العبارة "أنه لا توجد مغفرة بعد المعمودية". ونسوا ما هو مكتوب عن داود بعدما قتل أوريا، وكيف قبل الله توبته وارجعه إلى حالته الأولى: وكيف أرجع لمنسى حقوقه بسبب توبته بعدما عبد الأوثان، وقتل أشعياء النبي وارتكب آلاف المعاصي، ولكن بعدما تاب وندم عفا الله عنه.

وأما هذا البائس فلأنه فقد رجاءه، صعد إلى سطح مرتفع وطرح نفسه إلى أسفل فمات موتاً شنيعاً.

وبعد مدة قصيره، ثار سكان ثراك ضد الإمبراطور موريس، وقام ضده أربعة قواد. وعندما علم الإمبراطور بهذا، أسرع في توزيع الأموال على شعب القسطنطينية الذين كانوا يدعونه ساحراً وثنياً ويعلنون أنه غير جدير بالحكم، ولما

وصلت هذه الأحداث إلى الجيوش، تشاوروا لكي يشتكوا ضده بخصوص رصيد الضباط الرؤساء وبخصوص معيشتهم.

(ربما كانت هذه الأحداث عن ثورة، جيوش ثراك وهى تخفيض الرصيد والخرابة التى كانت أحد أسباب ثورة جيوش الشرق سنة ٥٨٣م).

ثم أنهم ألقوا قرعة فوقعت القرعة على فوكس لكي يصبح إمبراطوراً، وكان فوكس أحد القواد الأربعة فى إقليم ثراك، وأما سكان القسطنطينية فكانوا يصرخون بصورة جماعية "نريد إمبراطوراً مسيحياً فى هذه المدينة" ولما علم الإمبراطور موريس أنهم ينوون الاعتداء عليه، عاد إلى قصره وأمر بحمل ثرواته فى سفينة، وهرب مع زوجته وأولاده إلى بشنيا.

الفصل الثالث بعد المائة

وكان موريس خلال حكمه قد أنجز أعمالاً يستحق عليها الشاء، حيث أبطل ظلم بعض الأباطرة الذين سبقوه.

مرة أحد ربان السفن كان قد غادر الاسكندرية بحمولة مهولة من حبوب المؤسسات الضريبية، فغرقت السفينة بحمولتها من الحبوب وضاعت فى البحر، فقبض حاكم الإقليم على هذا الربان وأمر بضربه لعدة أيام، ولكنه لم يجد معه نقوداً على الإطلاق .

وأمر الإمبراطور موريس بإطلاق سراح هذا الربان، وبعدها أصدر مرسوماً بمنع عقاب أى ربان غرقت سفينته، وأمر بأن تحسب الخسارة على حساب الخزينة أو الضرائب.

وبعد هروب الإمبراطور موريس تجمع كل الشعب لدى الأب البطريك، وبعد موافقة كل الشعب توجهوا فوكس في كنيسة القديس يوحنا المعمدان وبعدها توجه إلى القصر.

ثم اختار قواداً وضباطاً وعربات حربية وأرسلهم لمطاردة موريس، وكانت السفينة التي استقلها قد تعرضت للعواصف حتى انقلبت، وأخيراً نجا هو وحده مع أولاده، ومضى إلى جزيرة صغيرة تقع على مقربة من خلقيدونية.

ولما علم الجنود بمكانه، تعقبوه حسب أمر فوكس، وقتلوه مع ابنائه الخمسة، بعدما حكم اثنان وعشرون عاماً.

أما عن الإمبراطورة كونستانتين وبناتها، وزوجة ابنها ثيودوسيوس، فجردوهن من ملابسهن الملكية، وألبسوهن ملابس الخاديات وأرسلوهن إلى دير راهبات.

بعدها أستقر فوكس في الحكم تماماً، أرسل سفراء لدى سوزراوس ملك الفرس، ولكنه رفض استقبائهم، وأظهر حزنه وغضبه لمقتل الإمبراطور موريس.

كان أحد الأعيان وهو الاسكندر^(١) رجلاً حكيماً ومحبواً من كل سكان القسطنطينية، ولكن اتهمه البعض ووشوا به لدى فوكاس، فتبين له أنه كان ينوي قتله ليأخذ الحكم بدلاً منه، لأن هذا (الاسكندر) قد تزوج ابنة موريس.

فأمر فوكاس فوراً أن يقيدوه بالسلاسل مع جواديس، وبعض الأمراء، ومضوا بهم إلى الاسكندرية ليسجنوا. وبعد قليل أرسل إلى جوستينيان حاكم الاسكندرية أمراً بقطع رأس الاسكندر ورفاقه.

^(١) ربما خلط المترجم بين الاسكندر وجيرمان الذي كان قد تزوج ابنة ثيودوسيوس.

الفصل الرابع بعد المائة

وسار رعب وفزع شديدين بين رجال الكنيسة في إقليم الشرق بسبب الجرائم الكثيرة التي كان فوكاس يرتكبها، ولم يكن مسموحاً لسكان أى إقليم انتخاب بطريركهم أو أى رتبة كهنوتيه بدون موافقته.

وتجمهر رجال الكنيسة الشرقيون في مدينة انطاكية الكبرى احتجاجاً على هذه الأمور، فخرج الجنود ثائرين بخيولهم.

وتسلحوا للمعركة، وقتلوا عدداً كبيراً من الرجال المتحزبين في الكنيسة، لدرجة أنهم ملئوا كل الأبنية بالدماء وامتدت هذه المذبحة المريعة حتى فلسطين ومصر.

الفصل الخامس بعد المائة

كان هناك رجل يدعى توفيلوس (ثاؤفيلس) من مدينة ميرادوا في مصر، وكان حاكماً على خمس مدن خلال حكم فوكاس، ولسبب ما ثار كهنة الإقليم ضده، وعدداً كبيراً من الانصار هاجموا وقتلوه مع رجاله.

واستولوا على الخمس مدن وهي كربلاء، صان، بسطا، بلقا، سنهور، وعندما علم فوكاس بما حدث من مبعوثي البطريك وهما: داود، أبوناكي، فأظهر غضباً شديداً.

فأرسل أحد قواده وكان قاسياً للغاية ويدعى بونوزي (سوزون) من إقليم الشرق، وكان مثل الضبع المفترس. وخوله سلطه كاملة على الكهنة وأمره أن يتصرف حيالهم كما تصرفوا هم مع غيرهم.

وعندما وصل إلى سيسيليا، جمع هذا القائد عدداً كبيراً من الرجال وتقدم بهم نحو مدينة انطاكية وأخضعهم وأحدث دعباً عظيماً حتى أصبحوا أمامه كالنساء،

ومارسوا ضغوطاً شديدة عليهم بغير رحمة فقد أمر بخنق البعض، وإحراق وإغراق الآخرين وآخرون طرحهم للحيوانات المفترسة، وقتل جماعة الارهابين بالسيف، ومن أراد أن يظهر لهم بعض الرحمة نفاهم طول الحياة، وأمر بتعذيب الرهبان والراهبات.

الفصل السادس بعد المائة

هذه بعض تصرفات فوكاس الوحشية، حيث أرسل إلى إقليم كبادوكيه من يحضر له زوجة هيرقل الكبير (وهي أم ثيودور القائد)، وزوجة هيرقل الصغير وابنتها (فايا) وكانت عذراء.

في منزل ثيودور، وأمر بمعاملتهن بعناية. وكان ثيودور من عائلة الإمبراطور جوستينيان، وتبعاً لنصائح كريسب، والفيدوس، حاول فوكاس أن يعتدى على شرف فايا، ولكنها استخدمت معه حيل نسائه، إذ عرفته أنها في فترة العادة الشهرية، وأرته قماشاً مبقعاً بالدماء، فتخلى عنها فوكاس.

وفيما بعد علم هيرقل الكبير بهذه الحوادث، فشكر كريسب، كما لم يؤذ ثيودور ولا أتباعه.

الفصل السابع بعد المائة

هؤلاء توجهوا إلى القسطنطينية، وأبلغوا فوكاس بكل ما حدث فقام لوقته ورفع علم الحرب، وقام بتوزيع كثير من الأموال على بربر تريبوليتين، بونتابوليس، وطلب منهم مساعدته على الحرب ثم استدعى مساعده بوناكيس، ومعه ثلاثة آلاف رجل وعدد كبير من البربر وارسلهم إلى بنتابوليس لينتظروا هناك.

وأرسل أيضاً إلى نيكتياس ابن جريجور بياتاوة وفيرة إلى مساعد فوكاس، ليونس في مريوط، وأوصاه أن يقدم الاكرام إلى فوكاس بتسميته عند الكتابه له "ياسيدى".

حقیقة انضم تنکیر Tenkera^(١) وثیودور وابنا میناس حاکم الاسکندرية أيام الإمبراطور موريس إلى هيرقل سراً ووعدوه بقتل فوکاس، ورد حكومة القسطنطينية اليه، كما أن يعرفوا جيش القسطنطينية به.

أما ثيودور بطريك الاسكندرية الخلقيدوني الذي كان فوکاس قد عينه، فكان يجهل هذه المؤامرة.

لكن يوحنا محافظ الإقليم الذي كان حاكماً شرفياً للقصر وقائداً عسكرياً في الاسكندرية علم بذلك. وكذا ثيودور المكلف باستلام الحبوب. وهذه الشخصيات الثلاثة كتبوا خطاباً إلى فوکاس يخبروه بهذه المؤامرة. ومن ثم رأينا فوکاس بعد ذلك يتعامل مع هيرقل بكل حرص واشتمزاز.

فأرسل فوکاس إلى حاكم القسطنطينية وطلب منه أن يحلف رسمياً أمامه أنه سيدافع بصدق وإخلاص عن حكومته، وأرسله إلى مصر على رأس جيش كبير ليحارب هيرقل، كما أرسل معه إتاوات وفيه إلى الحاكم العسكري في منوف، وكذلك إلى بطليموس الحاكم العسكري في إتريب والذي صار حاكماً للمدينة بعد ذلك.

وأرسل رسالة أيضاً إلى قودمون أو (Cotton) وأمره أن يغادر انطاكية إلى الاسكندرية.

وكان قد أرسل موتس عن طريق البحر من قبل، ومعه أسود وفهود وحيوانات مفترسة أخرى وكان عليه أن ينقلها إلى الاسكندرية. حيث أعاد هو العادة القديمة التي قضى عليها الأباطرة السابقين له، ألا وهو القضاء على الحيوانات المفترسة.

كما أرسل أيضا إلى الاسكندرية آلات تعذيب من مختلف الأنواع من قيود حديدية، وأطواق جديد وغيرها.

وأرسل مبالغ طائلة من المال وأيضا ملابس شرقية.

أما بوناكيس قائد هيرقل الكبير فكان ينظر نيكاتياس فى بنتابوليس حسب أمر هيرقل .

وعندما تلقى نيكيتياس امدادات من القائد ليونس حاكم مريوط، الذى كان متفقاً معهم، صار أمام حامية مدينة كابسين (غرب الاسكندرية) لم يقلق المتآمرون الحامية ولكنهم أطلقوا سراح المسجونين حتى يرافقونهم. وقبلما يصلوا إلى المدينة كانوا قد دعوا سكانها ليتقدمونهم، ليعلنوا عن الحرب فى أرض القناة المساماة بدراهنون أى الديناصور. والتي توجد بالقرب من مدينة الاسكندرية من جهة الغرب.

وتقابلوا هناك مع حاكم الاسكندرية العسكرى عدداً كبيراً من المصريين المسلحين، ووجهوا إليه هذه النصائح قائلين: اسمع لنا، ولا تقاوم، وتجنبنا وكن محايداً حتى تبقى فى مركزك، انتظر حتى ترى من سيكون المنتصر فى النهاية، ونؤكد لك أنه لن يحدث أى أذى، وستصبح بعد ذلك حاكماً لمصر، لأن حكم فوكاس قد انتهى تقريباً.

لكنه رفض اقتراحهم، وأجابهم قائلاً: "سوف نحارب تبعاً للإمبراطور حتى الموت".

ولما بدأت المعركة قتل هذا الأحمق وقطعت رأسه وعُلقت فوق حربة وحملت إلى المدينة، ولم يستطع أحد أن يقاومهم بل على العكس انضم كثيرون فى جانبهم.

وقد اعتزل ثيودور، وحاكم القصر، والمستول عن القمح فى داخل كنيسة القديس . شهدها الواقعة شرق المدينة.

ومضى ثيودور الخلقيدونى إلى كنيسة القديس انستاسيوس الموجودة على شاطئ البحر، لأنهم كانوا لا يخشون فقد العدو بل أيضا سكان المدينة، إذ كانوا يدافعون عن ميناس مساعد المطران وابن ثيودور الكاهن لكى لا يسلحه أحد إلى بونوز وقت حضوره.

وعندما اجتمع رجال الكنيسة وشعب المدينة شعروا أنهم متفقين برأى واحد، وكان لهم إحساساً واحداً بالكراهية تجاه بونوز الذى كان قد أرسل الحيوانات المتوحشة مع آلات التعذيب. فنزعوا حصيلة ضرائب الايرادات من أيدي المسؤولين، وقاموا بثورة عامة ضد فوكاس فى الوقت الذى استقبلوا فيه هيرقل بإكرام عظيم. ثم استولوا على قصر الحكومة واستقروا فيه وسمروا رأس الحاكم العسكرى فوق باب المدينة حتى يراها الذين يدخلون والذين يخرجون.

ثم استولوا على كل الثروات الذهبية والفضية وملابس التشريفة التى أرسلها فوكاس إلى بونوز، وأمر فوناكيز باستدعاء المحاربين والجنود الذين كانوا معه. وفى فاروص قبض على الجنود الذين كانوا فى السفن وأمر بحراستهم حراسة مشددة لأن بونوز علم أن الثوار قتلوا الحاكم العسكرى فى قيصرية فلسطين ثم استولوا على الاسكندرية.

وكان سكان الاسكندرية يقاومون بونوز، ولكنهم متعاطفين مع هيرقل.

ولم يكف بوناكيز عن التقدم بجيشه، حتى استطاع أن يخضع لسيطرته كل حكام مصر. حتى وصل بونوز إلى مصر، وصادر جماعة الحزب الأزرق، واستولى على أملاك أعيان منوف، فجعلهم غير قادرين على دفع الضرائب وأبتهج الجميع من الثورة التى قامت ضد فوكاس.

وقد قدم سكان نيقوس، وكذا المطران ثيودور، وكل مدن مصر، شكوى عامة، وكذلك الثوار، لأن الحاكم العسكري ليوناكيز المعين إجبارياً، كان قاسياً وشريراً "رأس كلب".

وأما حاكم مدينة سمود، الذي عينه فوكاس، فكان محبوباً من كل سكان المدينة. وإنضم أيضاً إلى كل هؤلاء كوزماس ابن صموئيل، وصديق بولس.

وهو أحد الذين أفرج عنهم من السجن، وكان رئيساً، وكان يحملهم إثنين من الرجال، وهو مملوء من الحماس، يطيعه الكل، ويواظب على تدريب قواده.

ورفض بولس الانضمام إلى حزب هيرقل، ولا أن يقدم شكوى عامة على الثوار، وكان متردداً بسبب قتل مارسيان حاكم أتريب، الذي كان قد إرتبط معه بصداقة. وبقي كل إقليم مصر منقسماً.

ثم ترك بونوز منزل بطليموس، وأرسل سفنه إلى أتريب، وكانت كريستودورا أخت مارسيان تتجسس على الذين كانوا يرفضون حكومة فوكاس، كما رفضت الطلب الذي وجهه هيرقل إليها.

وكانت جيوش مصر والشرق ينتظرون الإنقاذ عن طريق البحر والبر، وكانت السفن تأتي عن طريق فرعى النيل، والجيوش تأتي على الخيول براً من الشرق، لذلك كان بلاتون، وتيودور اللذان يحشيان وصول هذا الإنقاذ، يرقبان ذلك بالقرب من أتريب.

وقد سبقهما بولس، وكوزموس ابن صموئيل.

وقد قام كل من الأسقف ثيودور، وميناس حامل أختام مدينة نيقوس، بإرسال رسالة إلى الحاكم مارسيان، وإلى السيدة كريستودورا أخت أيزالون، لكي يحثونهما على تحطيم تماثيل فوكاس، والاعتراف بهيرقل.

لكن مارسيان، وكريستودورا رفضا ذلك. خاصة وأنهما علما أن بونوز كان قد وصل بالفعل إلى بيكوران (يقال أنه أصل الاسم Rhinocoruna).

ولما علم رجال بلاتون هذا الخبر، وجهوا خطاباً إلى بوناكيز بالاسكندرية "إحضر حالاً مع فرقك، لأن بونوز وصل إلى الفرما".

وفى اللحظة التي فيها دخل بوناكيز إلى نيقوس، وبونوز إلى أتريب وجدا جنود مارسيان مستعدين للقتال.

وكانت كريستودورا أخت أيزالون، ورجال كوزموس بن صموئيل موجودين على البر، فسارا في الفرع الصغير الذي ينفصل عن النهر الكبير حيث تقابلا مع بولس القائد على رأس بعض الفرق.

حينئذ جاء بوناكيز ليهاجم بونوز فحدث إلتحام شرقي مدينة منوف. لكن رجال كوزماس بن صموئيل تغلبوا عليهم والقوا برجال بوناكيز في النهر. وقبضوا على بوناكيز وذبحوه وقتلوا أيضاً الجنرال ليونس، كواديز، وأسروا عدداً كبيراً من الجنود.

وعندما رأى، بلاتون، وتيودور أن بوناكيز وأعوانه قد قتلوا هربا واختبأ في أحد الأديرة.

ولما رأى تيودور مطران نيقوس، وميناس حامل الأختام ما حدث، حملا الأناجيل المقدسة، وسارا لمقابلة بونوز، آملين أن يعفوا عنهما، وعندما رآهما بونوز إصطحب المطران تيودور معه إلى نيقوس، وأما ميناس فأمر بوضعه في السجن.

وكان كل من كريستودورا، ومارسيان حاكم أتريب قد أخبرا بونوز أن مطران نيقوس هو الذي أصر على تحطيم تماثيل فوكاس أمام أبواب المدينة.

وعندما رأى بونوز بنفسه، هذه التماثيل محطمة على الأرض، أمر بقطع رأس المطران. وأما ميناس، فأمر بضربه بقساوة وتعذيب مدة طويلة، ثم فرض عليه غرامة

تقدر بثلاثة ملايين قطعة ذهبية، ثم أفرج عنه. ولكنه بعد ما نال تلك العقوبة القاسية، مرض منيأس بالدوستاريا ومات بعد قليل.

وكان بسبب تحريض كوزماس ابن صموئيل، أيضا أن قام بونوز على الثلاثة القدامى فى منوف وهم: إيزيدور، جوليان، يوحنا وكانوا قد إختبئوا فى دير عتريس مع أفلاطون صديق الإمبراطور وتيودور القمص، فأحضرهم الرهبان لدى بونوز، الذى أمر بإرسالهم إلى نيقىوس مكبلين بالسلاسل، وبعد أن أمر بضربهم، أمر بقطع رؤوسهم فى نفس المكان الذى قتلوا فيه المطران ولم يكتفوا بذلك، بل ظلوا يبحثون عن الجنود الذين حاربوا فى صفوف بوناكيز، وحكم بالنفى على الذى كانوا جنوداً لموريس، وحاكم كل من خدموا تحت راية فوكاس وحكم عليهم بالموت.

وعندما رأى الجنود المحاربين الباقون ما حدث، انسحبوا واجتمعوا فى مدينة الاسكندرية.

ولما كان أعيان سكان مصر يكرهون بونوز، لذلك اجتمعوا لدى نيكتياس Nicetas قائد هيرقل، يخبرونه بكل ما فعل بونوز، مقدمين العون والمساعدة لنيكتياس.

فجمع نيكتياس جيشاً كبيراً مكوناً من جنود نظامين، وبربر، ومواطنى الاسكندرية، وجماعة الحضر، وبجارة، ورماه رمح مع أدوات حرب قوية. واستعدوا لمقاومة بونوز فى أطراف المدينة.

وأما بونوز فكان يبحث عن الوسائل التى يمكن أستخدامها فى الاستيلاء على المدينة، ويجعل نيكتياس يقاسى نفس المصير الذى ناله بوناكيز.

وأمر بونوز بولس بمدينة سمود التحرك والدخول فى قناة الاسكندرية بالسفن التى كانت ستتنضم اليه لكن بولس لم ينجح فى الإقتراب من أطراف المدينة، لأن الشعب كانوا يلقونه بالحجارة مما جعل السفن تنسحب.



أما بونوز فجاء على رأس فرقة، وأقام معسكره في ميفامونيس التي هي شبرا الجديدة.

ثم مضى بعد ذلك بكل جيشه إلى (دمكاروني) مقترحاً أن يؤجل هجومه إلى يوم الأحد. وتمت كل هذه الأحداث في السنة السابعة لحكم فوكاس.

الفصل الثامن بعد المائة

وكان هناك شيخ قديس يدعى (كوفيلوس) المعترف. وكان يقيم أعلى عمود على شاطئ النهر منذ حوالي أربعين سنة، موهوباً بروح النبوة.

وكان نيكيتاس يزوره دائماً، لأن تيودور القائد، ومساعدته ميناس، وتيودور رفيقهما، كانوا قد حدثوه عن قداسة هذا الشيخ وفضائله.

فمضى نيكيتاس إليه يسأله بشأن الحرب، ولمن سيكون النصر؟ لأنه خاف أن يحدث له ما حدث لوناكيز،

فأخبره القديس قائلاً: أنت هو المنتصر بإذن الله، وستقلب حكومة فوكاس. وسيكون هيرقل إمبراطوراً في هذه السنة.

فآمن نيكيتاس بما تنبأ به الشيخ رجل الله، وقال لسكان الاسكندرية: "منذ الآن لا تكفوا عن القتال من فوق أعالي الأسوار، ولا تكتفوا بذلك بل افتحوا أبواب آوون، وامضوا لمهاجمة بونوز".

وكان لما تقدم قائد بونوز ليهاجم، أن ألقى عليه أحد الرجال قطعة حجر كسرت فكّه، فوقع من أعلى حصانه ميتاً.

وأصيب قائد آخر ومات أيضاً، ولما رأت بقية فرقهم الهجوم الشديد عليهم، أخذوا في الهرب.

وأمر نيكيتاس بفتح البوابة الثانية، التي توجد بالقرب من كنيسة القديس مرقس الإنجيلي. وخرج هو على رأس جيشه ومساعديه البربر، وطاردوا الهاربين من المقاومين، فقتلوا منهم عدداً كبيراً، وساعدهم شعب الاسكندرية إذا كانوا يصدون الهاربين، ويشخونهم بالجراح، بإلقاء السهام والأحجار عليهم. ولما لم يكن لهم مأوى من القتال، سقطوا في الماء وهلكوا، إذ كانت المدينة محصنة ضدهم، فكان شمال المدينة غاب مزروع، كسياج من الشوك لوقف الهاربين. وفي الجنوب يقف الجيش المخارب لهم.

وكان الجنود الهاربين أمام الجيش الذي يتعقبهم يرفعون أسلحتهم ضد بعضهم بعضاً، دون أن يميزوا أصدقاءهم .

ثم هرب بونوز مع عدد صغير من الناس، حيث إختبأ في مدينة كيرون .Kerioun

ولكن مارسيان حاكم أتريب، والقائد ليونز، فالينز، وكثير من كبار الشخصيات، فقتلوا في المعركة.

وبعدما أدرك نيكيتاس أنه حصل على النصر بفضل صلوات القديسين، وأن جيش بونوز قد هزم تماماً، ولم يتبق سوى عدد ضئيل، أمر برحيل بطليموس، ويوساب، ورؤساء آخرين من حزب هيرقل عن طريق النهر، حتى يجمعوا له مخاربين كثيرين من كل مدن مصر، كما يجمعوا له ما يجدوه من أشياء تنفع في الحرب.

وكان أفراد جماعة الحزب الأزرق كباراً وصغاراً، وكذا الضباط، يساعدون نيكيتاس في الاسكندرية.

ولما علم بولس وزملائه بهذه الأحداث، ظلوا مختبئين في سفنهم، ثم فكروا في ترك بونوز والانضمام إلى نيكيتا بعدما أصبح موقف بونوز ضعيفاً، بينما موقف نيكيتاس، كان يزداد قوة كل يوم.

الفصل التاسع بعد المائة

بقى بونوز عدة أيام مع جنوده الذين تبقوا في نيقوس. ومدّهم ببعض السفن، وحاولوا أن يحطموا عدداً كبيراً من سفن رجال الاسكندرية.

ثم رجعوا بعد ذلك تجاه منطقة مريوط، ومروا في قناة دراجون في غرب المدينة، يريدون مضايقة سكان الاسكندرية.

ولم يعلم هذا المسكين أن الأمر مقرر من الله، وأن الله قوى في الحروب.

عندما علم نيكيتاس بخطة بونوز، أمر بقطع كوبرى مدينة ديفازشير Dafaschir أو ديفاسكير. الذى كان قريباً من كنيسة القديس مينا بمريوط.

ولما علم بونوز ذلك تضايق، وفكر أن يتأمر لقتل نيكيتاس بخيانة، معتقداً أنه بموته يتشتت جيشه! فاستدعى أحد جنوده، وحرّضه بأن يتسلل إلى نيكيتاس ومعرضاً نفسه للموت، وأمره أن يأخذ سيفاً صغيراً يخبأه تحت رداءه، ويخرج لملاقاة نيكيتاس، معلناً أنه مرسل من بونوز طالباً الصلح. وعندما يقرب منه يخرج السيف من مخبئه ويضربه فى قلب نيكيتاس ليقتله.

ثم قال له: "إذا نجحت فى الهرب فهذا عظيم، وإذا لم تنجح فإنك تموت من أجل سلامة الأمة! وأنا سأخذ أولادك وأحملهم إلى القصر الإمبراطورى، وسأمنحهم مبلغاً من المال يكفيهم كل حياتهم".

وعلم بهذه الخطة الشنيعة أحد الرجال من أتباع بونوز يدعى يوحنا، ومضى وخطر بها نيكيتاس.

وعندما أخذ جندى بونوز سيفه، وأخفاه تحت رداءه ثم توجه إلى نيكيتاس، أمر نيكيتاس جنوده بإحاطته. ثم جردوه من ملابسه، فوجدوا معه السيف مخبأً، فقطعوا رأسه في الحال بسيفه.

لما علم بونوز توجه إلى مدينة ديناسكير وقتل فيها عدداً كبيراً من الناس.
وعندما تلقى نيكيتاس هذا الخبر، حتى تتبعه بأقصى سرعة ولكن لما لحقه، كان
بونوز قد عبر النهر إلى مدينة نيقوس. فعدل عن ملاحقته إلى الضفة الأخرى، ولكنه
مضى إلى مريوط وترك فيها قوات مهولة لتحرس الطريق، وسارعوا إلى منوف
العليا. وعندما إقترَب من المدينة رآه رجال بونوز الموجودين بها فهربوا. فدخل
واحتل المدينة. وقبض على أبريز ورجاله، وأشعلوا النيران في منازلهم وأحرقوا باب
المدينة.

وحينئذ هاجم نيكيتاس مدينة منوف بعنف وإملاكها، وبعدها خضعت له كل
مدن مصر.

وعبر نيكيتاس النهر لكي يهاجم بونوز في مدينة نيقوس، وعندما علم بونوز قام
وهرب أثناء الليل، وغادر مصر ذاهباً إلى فلسطين. لكن سكان هذا الاقليم طردوه،
لأنه كان قد مارس ضدهم أعمالاً وحشية كثيرة فيما مضى.

لذلك ذهب إلى بيزنطة لمقابلة "فوكاس" صديقه.

وأصبحت كل أرض مصر، من مدينة الاسكندرية حتى كفر "توفيلس المعترف"،
الذي كان قد تنبأ بإرتقاء هيرقل، أصبحت تحت سيطرة نيكيتاس.

ثم قبض على بولس بمدينة سمود، وكوزماس بن صموئيل ثم عفا عنهما، ولم
يغاسيا أى معاملة سيئة. لكن أمر بتوصيلهما إلى مدينة الاسكندرية ليحتجزوا فيها
حتى موت بونوز. لكن الصراع الذي كان بين بونوز، ونيكيتاس كان قد سبب
لأنصار حزب مصر الأخضر حتى يعذبوا أنصار الحزب الأزرق، فقاموا بالتهب
والسلب والقتل علانية.

ولكن نيكيتاس قبض على هؤلاء ووجهم بشدة، ومنعهم منذ ذلك الحين من
ارتكاب مثل هذه الشرور، فأعاد الهدوء والاستقرار بين الفريقين.

وعين حكماً عادلين في كل المدن كما قام بتخفيض الضرائب لمدة ثلاث سنوات، ومنع النهب والسرقة فأحبه المصريون وتعلقوا به.

أما بالنسب لحالة الإمبراطورية الرومانية، فيحكى أن ملوك هذا العصر بالاشتراك مع البربر، والشعوب الأجنبية والليريكون، قاموا بسلب وتخریب المدن ونهب الشعوب المسيحية واسر شعوبها. ولم تنجو من أيديهم سوى مدينة تسالونيك فلم يصبها شيئاً، لأن أسوارها كانت قوية، وبفضل حماية الله فإن الشعوب الأجنبية لم تتمكن من الإستيلاء عليها هذا بالرغم ما أصاب بقية الأقاليم حتى أقفرت من السكان.

إنجته جيوش الغرب بعد ذلك إلى روما، حيث قبضوا على المصريين فيها وسجنوهم. وكذلك الذين كانوا قد غادروا مصر بسبب بونوز مثل سيرج الكافر، وكوزماس الذى كان قد سلم مدينته. هؤلاء الرجال وغيرهم كانوا قد أنكروا الإيمان المسيحى، وجحدوا العمد المقدس، واتبعوا طريق الوثنيين وعابدى الأصنام. وفي تلك السنين إستولى الفرس على منطقة نهر الفرات، وامتدوا إلى كل مدن إقليم أنطاكية، وخربوا تلك البلاد، ولم يدعو أى جندى روماني في هذه المناطق على قيد الحياة.

وقام سكان Tripolitain الإفريقية باستدعاء البربر سافكى الدماء، لأنهم كانوا يعجبون بهرقل ويكرهون فوكاس.

فهاجموا القائد مارديوس يريدون قتلة، كما هاجموا قائدين آخرين هما "إكليزياروس، وإيزيدور".

ولما جاء هؤلاء البربر، صوبوا كل أسلحتهم نحو إقليم إفريقيا، وانضموا تحت لواء هيرقل الأكبر.

وأما حاكم تريبوليتان Tripolitoine المدعو كيسيل فلاحق بنيكيتاس، حيث
أمدّه بإمدادات قوية لكي يحارب معه ضد بونوز.

وأمر هيرقل الكبير ابنه هيرقل الصغير بالرحيل إلى بيزنطة بصحبة عدداً كبيراً من
السفن والبربر، لكي يحارب فوكاس، في كل الجزر المحيطة، وفي مختلف موانئ
وشواطئ البحر.

واجتمع معه كثير من الشعب وخاصة من الحزب الأخضر.

حتى أن تيودور الشهير وبصحبه عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ البارزين،
تركوا فوكاس، واعترفوا بهيرقل إمبراطوراً. وحذا حذوهم رجال السلطة المدينة،
ورجال الجيش الذين كانوا يتبعون فوكاس وخضعوا السلطان هيرقل الكبادوكي.

وصار كل الشعب يلعنون فوكاس دون أن يتعرض أحد لهم.

ونفس الحال كان بالقسطنطينية. وعندما رأى فوكاس هذا، وعلم أن كل
الشعب أصبح يهتف لهيرقل، أرسل المركبات الإمبراطورية إلى بونوز الذي كان عليه
أن يتقدم نحوه بالجيوش.

ولكن الضباط الإمبراطوريين الآخرين، سلموا السفن القادمة من الاسكندرية
حاملة قمح مصر إلى القسطنطينية، والتي كان فوكاس قد أمر بالاستيلاء عليها
بسبب ثورة شعب الاسكندرية.

الفصل العاشر بعد المائة

وبإيعاز من نيكيتاس إستقبل شعب الاسكندرية هيرقل لكي يصبح إمبراطوراً،
وقام شعب إفريقيا كله يعلنون مزايا هذا الإمبراطور وأنه سيكون نظير أغسطس.

وشعب الاسكندرية داخل القصر (اعتقد انهم رجال اسطول الاسكندرية الذين قبض عليهم فوكاس) كانوا يهتفون مثلهم داخل قصر السبعة قلاع الذين سجنوا فيه.

وقامت معركة حربية على شاطئ البحر حيث قتل الرجال راكبي المركبات بونوز، وكانوا يهتفون بحياة هيرقل الصغير ابن هيرقل الكبير، ويعلنون ذلك بصوت جماعي وباللغة اليونانية.

فى الوقت الذى فيه يلعنون كل من بونوز، وفوكاس، ولدى سماع هذه اهتافات قام أنصار الحزب الأخضر مع سكان القسطنطينية المتواجدين داخل سفنهم بالبحر، بتجميع كل سفنهم، ثم طاردوا أنصار الحزب الأزرق، الذين غضبوا بشدة بسبب جسارة المسئوليات التى وقعت على عاتقهم، فانسحبوا، واجتمعوا فى كنيسة أجيا صوفية.

وظل أعضاء مجلس الشيوخ والقضاة بالقرب من القصر ينظرون فوكاس. وأما فوكاس، وكبير أمناء القصر ليونس (وهو سورى الأصل وأمين صندوق فوكاس)، فعندما علما أنهم يريدون ذبحهم كما ذبحوا الشرير بونوز، هملا كل ثروات وكنوز الإمبراطورية التى كان موريس قد جمعها، والتى جمعها أيضا بونوز من مصادرة أملاك روساء الرومان الذين أمر بقتلهم، وكذلك ممتلكات بونوز وألقوها فى خضم البحر. وبهذا أصبحت الإمبراطورية الرومانية فقيرة.

وعلى أثر ذلك أسرع أعضاء المجلس والضباط والجنود، وقبضوا على فوكاس، وخلعوا عنه التاج، وإقتادوه مقيداً بالسلاسل مع كبير الأمناء ليونس، وساروا إلى ناحية كنيسة القديس توماس الرسول، وأوقفوهما أمام هيرقل ثم قتلوهما أمامه.

وأرادوا أن يسخروا من فوكاس، فقطعوا أعضائه التناسلية، وساخوا جلده حتى سيقانه، وذلك لأنه كان قد فضح زوجه بوتيوس التي كانت مكرسة لله، وأخذها بالقوة واعتدى عليها، رغم أنها كنت من سلالة مشهورة.

ثم حملوا جثث فوكاس، وليونس، وبونوز إلى القسطنطينية، وأحرقوها، وزروا رمادها في الهواء أما أعين الشعب الذي كان يكرههم.

وهكذا تم ما تنبأ به البابا بنيامين عن مدينة أنطينوى في بيزنطة. حيث لم يتركوا فيها شبراً واحداً.

ثم قادوا هيرقل رغباً عنه إلى كنيسة القديس توما الرسول وألبسوه التاج الإمبراطوري. وبعدها أتم صلاته، جاء إلى القصر حيث كرمه كل العظماء.

وبعد ما إعتلى هيرقل العرش، كتب رسالة إلى هيرقل الكبير أبوه، سجل فيها كل ما حدث، وكيف نودى به إمبراطوراً! وكان هيرقل الكبير قلقاً على ابنه بعد رحيله إلى بيزنطة، وكان قد استولى على قرطاجنة عاصمة إفريقية، فلما تسلم رسالة ابنه سعد جداً بها خاصة بعدما علم ما بها من أخبار. وكان قد مر وقتاً طويلاً ساد فيه القلق بالكنائس بسبب طول مدة الحرب، وكان قلوب الناس مليئة بالقلق بعد فشل بوناكيز، وقلق هيرقل على ابنه. بعد ذلك مرض هيرقل الكبير وترك هذا العالم حيث مات وهو على عرشه ولم يعرف من يخلفه.

الفصل الحادى عشر بعد المائة

وأصبح تيودور رئيساً للقواد فى مصر، وبعدها أخبره رسل تيودور حاكم أركاديا بموت يوحنا قائد الشرطة، أمر بإعادة كل الفرق من مصر مع الفرق الإضافية، حيث مضى بها إلى جزيرة لوكيون Loqyon (يجوز أن المقصود به يوحنا حاكم برقة وذلك بشهادة نيسيفور بطريرك القسطنطينية).

لأن يوحنا حاكم برقة كان قد أرسل جنوداً لمواجهة المسلمين الذين أغاروا على مصر. في حين كان الإمبراطور هيرقل مازال في الشرق. ورغم أننا لانعرف بالضبط تاريخ عودة هيرقل إلى عاصمته بعد غزو العرب لسوريا. إلا أننا نعرف أنه كان بالقسطنطينية عام ٦٣٨م. وفي ذلك الوقت عين ابنه هيرقليوناس إمبراطوراً. (ويبدو أن هناك خطأ في الافتراض أن يوحنا حاكم برقة جاء إلى مصر قبل وصول العرب إليها. وحدد ثيوفان الإعتداء على مصر بين عامي ٦٣٤م، ٦٣٦م. أما الكتاب المسلمون عامة فطابقوا حملته عمرو بن العاص مع رحلة الخليفة عمر إلى سوريا في العام الثامن عشر الهجري أي سنة ٦٣٩م. ولكن يوجد خلط في هذا التاريخ).

وكان يخشى بعد ثورة سكان هذه النواحي، أن يستولى المسلمون على شاطئ لوكون، ويطردوا منها كل الطوائف الدينية التابعين للإمبراطورية الرومانية. وكان حزن ثيودور أشد من حزن داود على موت شاول وترنيمته الحزينة "كيف سقطت الجبابرة؟ وكيف دمرت كل أسلحة الحرب؟ خاصة وأن يوحنا قائد الشرطة لم يكن الوحيد الذي قتل، بل يوحنا القائد بمدينة ماروس Maros مات في المعركة أيضاً. وكذلك نحو خمسون جندياً كانوا يصحبونه على ظهور الخيل.

وسأذكر باختصار ما حدث أولاً لسكان الفيوم:

كان يوحنا حاكم ماروس ورفاقه المحاربين الذين ذكرناهم، وهم الذين إتهمتهم الرومان على حراسة هذه الناحية. وكانوا قد أقاموا حراساً آخرين بالقرب من صخرة لاهون، ليظلوا بلا إنقطاع في المراقبة، ولكي يبلغوا قائد الشرطة بتحركات العدو.

ثم أخذوا بعد ذلك عدداً من الخيل، وفرقه من الجنود رماة الرماح وساروا لملاقاة المسلمين، طامعين في القبض عليهم.



ولكن المسلمون توجهوا ناحية الصحراء، وإستولوا على عدد كبير من الخراف والماعز الموجودة فى الجبل. ولم ينتبه المصريون إلى ذلك.

ثم عندما ظهروا أمام البهنسة هرعت كل الفرق التى كانت مع يوحنا على شاطئ النهر، ومنعوهم هذه المرة من دخول الفيوم.

وعندما علم القائد ثيودور بوصول الإسماعيلين، ظل ينتقل من مكان لآخر حتى يلاحظ تحركات العدو.

حينئذ جاء الإسماعيليون، وقتلوا قائد الجيش وكل رفاقه، وتحكموا فى مدينة البهنسة، وكان كل من يقترب منهم يقتل، ولم ينجو أحداً منهم، الشيوخ ولا النساء ولا الأطفال.

وبعد ذلك إستداروا ضد القائد يوحنا الذى أخذ رفاقه مع خيلهم وأختبئوا فى الأماكن المغلقة والزراعات من وجه الأعداء. ثم ساروا أثناء الليل نحو نهر مصر الكبير ناحية أبويط عند أسيوط، آملين أن يكونوا فى أمان.

وكان ذلك كله بأمر الله.

وقد أخبر رئيس الأنصار الذى كان مع جبريمى، جيش المسلمين عن الرومان الذين كانوا محتبئين، حيث لحقهم المسلمون وقتلوهم.

وعندما وصل الخبر إلى القائدان ثيودور، أناستاسيوس اللذان كانا حينئذ على بعد إينا عشر ميلاً من مدينة نيقوس، قاما فى الحال، وذهبا إلى قلعة بابليون، ومكثا فيها، وأرسلا إلى القائد ليونز فى أبويط، وكان رجلاً بديناً ليس له سطوة، ولم يكن على دراية بأمور الحرب.

وعندما رأى القائد ليونز أن الجيش المصرى قارب المسلمين، وكان موقفه حرجاً كان يخرج ثم يرجع مراراً من مدينة الفيوم، لعله يسترجع مدينة البهنسة ولم يقدر،

عندما علم القائد ليونز أن الجيش المصرى قارب المسلمين، وكان موقفه حرجاً كان يخرج ثم يرجع مراراً من مدينة الفيوم، لعله يسترجع مدينة البهنسة ولم يقدر،

بينما ظل النصف الآخر مع ثيودور. وكان ثيودور قد عثر على جثة يوحنا وكانت في ألقيت في النهر، فأخرجها بواسطة شبكة بعد معاناة شديدة، وضعها في صندوق وأمر بتوصيلها إلى الحكام الذين أرسلوها بالتالي إلى هيرقل.

وأما الرومان الذين كانوا لايزالون في مصر، فكانوا يبحثون عن مأوى في قلعة بابلون، منتظرين مجيء القائد ثيودور حتى ينضموا إليه ليحاربوا الإسماعيلين معاً. وكانوا يطلبون ذلك قبل فيضان النهر وبدء فترة الزراعة التي يتسحيل معها الحرب، لئلا تباد الزروع ويتعرض الشعب للموت جوعاً هم وأولادهم وماشيتهم (وبما أن فيضان النيل في مصر يحدث في شهر أغسطس فإن الحوادث السابقة حدثت في شهر يونية ويولية حيث قامت القوات الرومانية بشن الحرب على عمرو، وذلك بعد ستة أو سبعة شهور من دخوله مصر وذلك حسب ما ذكره المؤرخ المسيحي أنبا ساويرس مطران الأشمونيين في كتابه "بطاركة الاسكندرية" حيث قال: أن العرب دخلوا إلى مصر في الثاني عشر من شهر بؤونة عام ٣٥٧ للشهداء.

الفصل الثاني عشر بعد المائة:

كانت هناك عداوة شديدة قائمة بين القائد العام ثيودور وبين الحكام. وبسبب هذه العداوة القائمة أعلن الإمبراطوران ثيودسيوس وانستاسيوس غضبهما، ومضيا بأنفسهما معاً على ظهور الخيل إلى آوون، بصحبة عدد كبير من المشاة لكي يشنوا الحرب على عمرو بن العاص.

لم يكن المسلمون يعرفون من قبل مدينة بابلون فتركوا المدن المحصنة واتجهوا نحو مكان يدعى ثيندوانياس Tendounyas وأبحروا في البحر (يقع هذا المكان على شاطئ النهر جنوب قلعة بابلون).

وأظهر عمرو حكمة نادرة وأظهر قوة جبارة في استيلائه على مصر. ولكنه كان

الشاطئ الشرقي من النهر إلى مدينة تقع على مرتفع تسمى (عين شمس أو آوون). وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب الذي كان حينئذ في فلسطين خطاباً يقول له فيه: "إذا لم ترسل لي إمدادات إسلامية، فلن يمكنني الاستيلاء على مصر. فأرسل له عمر أربعة آلاف محارباً إسلامياً بقيادة (ابن العوام) الذي كان من جنس البربر.

حينئذ قسم عمرو هذه القوات إلى ثلاثة أقسام:

وضع أحدها بالقرب من تندوانياس. والآخر شمال بابليون مصر. وقاد هو الجزء الثالث بالقرب من مدينة آمون.

ثم أعطى الأمر للقسمين الآخرين قائلاً: "إنبهوا، فعندما يخرج الجيش الروماني يهاجمنا، إنقضوا عليه أنتم من الخلف، بينما سنكون نحن أمامه فحينئذ سنتصدى له ونحوطه ونجهز عليه".

وكان عندما خرج الجيش الروماني من القلعة، وهو يجهل هذه الخطة، لكي يهاجم جيش المسلمين، إنقض عليهم هؤلاء كما خططوا وقامت معركة حامية بين الجيشين.

فهربت القوات الرومانية على السفن بعد ما سحقهم المسلمون واحتل جيش المسلمين مدينة تندوانياس التي ابعدت حاميتها، ولم يتبق منها سوى ثلاثة آلاف رجل كانوا قد هربوا وإحتفوا داخل جدران القلعة وأغلقوا أبوابها.

وبعد قليل هربوا فرعين بعد ما شاهدوا المذبحة الكبرى التي حدثت، فاقدوا الشجاعة ويغمرهم الحزن والخيبة، وتوجهوا بالسفن إلى مدينة نيقوس.

(نلاحظ أن معركة هليوبوليس لم تكن هي المقابلة الأولى بين جيش عمرو والرومان وربما تكون حدثت إضافات من المرحم العربي السابق).

تعليق المترجم الفرنسي

لم يتحدث التاريخ العربي فقط عن بعض المعارك التي حدثت أثناء تقدم الجيش الاسلامي إلى بابلين، ولكن أيضا في كتاب هذا المؤرخ القبطي يوحنا، أن الجيوش الرومانية كانت قد قابلت أكثر من هزيمة. أما فيما يختص بمعركة هليوبوليس التي ذكرناها، فيبدو أن المسافة كانت كبيرة جداً بين هليوبوليس وبابلين، لكي تكون ساحة للمعركة يمكنها أن تضم مساحة المثلث المكون لخطه جيش المسلمين.

فكانت خطة القائد العربي مناورة للتقدم فصارت له هذه المنطقة جزء قابل للاحتلال. وكانت مدينة هليوبوليس قد تجردت من مجدها القديم، ويبدو أنها لم يكن لها أي اهتمام إستراتيجي في ذلك العصر، مع أنها تقع على مرتفع.

وكما سنرى في الفصول التالية أن المسلمين أصبحوا سادة على بابلين فيجب أن نفترض أن اسم تندوانياس أن لم يكن إسم آخر لمدينة بابلين نفسها، فهو يشير إلى الحى الجنوبي للمدينة، وكان مستقلاً عن القلعة حسب ما ذكر في هذا التاريخ الذى بين أيدينا. ونرى في كتب أخرى يحدث خلط بين قلعة بابلين والمدينة نفسها. وسنقرأ في جزء من الفصل ١١٥ ما يلى. "كيف أن المسلمين أستولوا على مصر في العام الرابع عشر، وأخذوا قلعة بابلين في العام الخامس عشر.

الفصل الثالث عشر بعد المائة

بعدما إستولى المسلمون على مقاطعة الفيوم، طلب عمرو من أباكير بمدينة دلاس Deles (تقع بأقليم بهنسة على بعد سبعة فراسخ جنوب ممفيس)، أن يحضر السفن من الريف Rif لينقل الاسماعيليين على الضفة الشرقية والتي كانت غرب النهر. وكان عمرو يجمع كل جيشه حوله حتى تيسر له أن يقوم بحملات متعددة.

فأرسل أمراً إلى الوالى (جورج) بأن يشيد له كوبرى على قناة مدينة قليوب،
ليمكنه غزو باقى مدن إقليم مصر.

وكذلك مدن أتريب، وكرداسة. وبدأ الحكام فى مساعدة المسلمين، فأستولوا
على اتريب ومنوف وكل أراضيها.

وأمر عمرو أيضا بإنشاء كوبرى ضخم قرب مدينة بابليون المصرية، لكى يمنع
عبور السفن المتجهة إلى نيقوس، والاسكندرية، ومصر العليا. وحتى يمكن للخيول
أن تعبر بسهولة من الضفة الغربية للنهر إلى الضفة الشرقية. وهكذا أخضعوا بهذه
الطريقة كل مدن إقليم مصر.

ولم يكتف عمرو بهذا، بل أنه قبض على القضاة الرومان، وقيد أيديهم وأرجلهم
بالسلاسل والأوتاد الخشبية، ونهب أموالاً كثيرة، وقام بمضاعفة الضرائب على
الفلاحين، وأجبرهم على إحضار، عليقة خيوله، وبالإجمال مارس كل أعمال العنف.
أما الروم، فقام الضباط المساعدين للحاكم فى نيقوس بالذهاب إلى الاسكندرية
بعدما تركوا دومنتيانوس فى نيقوس مع عدد قليل من القوات لحراسة المدينة.

وأرسلوا أمراً إلى دارس Dures الحاكم الأعلى لمدينة سمبود، بحراسة النهرين
(أى الدلتا التى يظهر منها الجزء الأعلى وقتئذ ويبدو أن المسلمون كانوا قد أغاروا
عليها واحتلوا منوف فعلاً).

فحدث زعر فى كل مدن مصر، وهرع السكان يهربون إلى الاسكندرية تاركين
ممتلكاتهم وثرواتهم وماشيتهم.

الفصل الرابع عشر بعد المائة

بعدما صحب المسلمون، المصريين الذين تركوا المسيحية واعتنقوا ديانة (هؤلاء)،

وكان يسمون عبيد المسيح (أعداء الله).

ثم ترك عمرو فرقاً عديدة من جيشه في قلعة بابلين، وتقدم محازياً الشاطيء الشرقى نحو منطقة النهرين، لكي يهاجم الجنرال ثيودور.

وأمر ثيودور القائدين يكبرى، ساتفارى أن يرحلوا بسرعة حتى يحتلوا مدينة سمود ويعترضوا المسلمين.

وعندما لحقوا بفيلق الشرطة، رفضت كلها محاربة المسلمين، فشنوا هم المعركة، وقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين ومن معهم. ولم يستطع جيش المسلمين هذه المرة إزعاج المدن الواقعة على أراضي ما بين النهرين، لأن المياه التي تحيط بها كانت بمثابة حواجز تمنع الخيول من الإقتراب، فتركهم الجيش واتجهوا نحو الريف، فوصلوا إلى بوصير، وحصنوا المدينة وكذلك الأماكن التي كانوا قد إستولوا عليها من قبل. في هذا الوقت، توجه الجنرال ثيودور بنداء إلى خالادجى وترجاه بإلحاح قائلاً "عد إلينا وانضم إلى صفوف الرومان" ولكن خالادجى كان يخشى أن يقتلوا والدته وزوجته اللتان كانتا مختبئتان في الاسكندرية، لذلك أعطى لثيودور مبلغاً كبيراً من المال، فطمأنه ثيودور.

بعد ذلك رحل خالادجى مع رجاله، أثناء الليل، بينما كان المسلمون نائمون، وجاء سيراً على الأقدام إلى معسكر الجنرال ثيودور، ثم لحق بدومنتيانوس فى مدينة نيقىوس لكي يحارب ضد المسلمين.

وحدث أيضاً أن آخر اسمه "سابيندس" جاءته فكرة إستحسنها، وهى أن يهرب من أيدي المسلمين أثناء الليل، فقام ومضى إلى دمياط حيث الجنرال يوحنا الذى أرسله بدوره إلى الاسكندرية بخطاب حيث تقدم إلى الحكام معترفاً بخطئه وسكب دموعاً غزيرة قائلاً لقد تصرف هكذا لأن يوحنا أهاننى، فقد صفعنى دون إعتبار

لسنى، ولذلك إنضمت إلى المسلمين بإخلاص، أنا الذى خدمت الرومان منذى قبل.

الفصل الخامس عشر بعد المائة

ظل عمرو قائد المسلمين يناضل إثنى عشر عاماً ضد المسيحيين فى شمال مصر، دون أن ينجح فى فتح أقاليمهم. وفى العام الخامس عشر (نحو سنة ٦٤٢م) أثناء فترة الصيف تقدم نحو سخا Taukha، ميت دمسيس Damsus، وكان قلقاً ألا يسحق المصريين قبل فيضان النيل.

لكن كان من المستحيل أن يقبل على عمل مثل هذا ضدهم، وكان قد صد فى دمياط من قبل بعدما أراد أن يحرق ثمار الحقول بها.

لذلك مضى ليلحق بقواته الموجودة فى قلعة بابليون مصر، وسلمهم كل الغنائم التى حصل عليها بالاسكندرية.

(وحقيقة ذلك أن المسلمون قاموا بسلب ونهب وتخریب منازل سكان الاسكندرية الذين كانوا قد هربوا. فأخذوا ما تخلف من الخشب والحديد) وأمر عمرو ببناء ممراً يربط قلعة بابليون بمدينة النهرين التى أمر بحرقها. وعندما أبلغ السكان بالخطر، حملوا ممتلكاتهم وهربوا، وتركوا المدينة حيث اشعل المسلمون النار فيها. ولكن عاد السكان وأطفأوها ليلاً.

فاستدار المسلمون بعد ذلك إلى المدن الأخرى، فجردوا المصريين من أملاكهم، ومارسوا ضدهم أعمال العنف.

ولم يقدر الجنرال ثيودور ولا القائد دومنتيانوس على إساءة معاملة سكان المدينة (ربما المقصود مدينة بابليون التى خضعت للعرب) بسبب المسلمون المتواجدين فيها.

بعدها غادر عمرو الوجه البحرى، مضى لشن حرباً على الريف، فأرسل فريقاً صغيراً من القوات إلى أنتنوى Antinoe وعلم أن الرومان ضعف موقفهم بسبب عداوة الشعب للإمبراطور هيرقل، بسبب الإضهاد الذى أثاره ضد الأرثوذكسية فى كل مصر، بتحريض من البطريك الخلقيدونى كيروس. حينئذ أصبح المسلمون أكثر شراسة وأشد قوة فى المعارك!

واستطاع أهل مدينة أنتينوى أن ينقذوا حاكمهم بمعونة يوحنا. ولكنهم لما عرضوا على يوحنا محاربة المسلمين رفض ذلك لأنه كان يعرف أنه لم يكن فى حالة تسمح له بالمعركة ضدهم، لذلك ترك المدينة ومضى إلى الاسكندرية حاملاً كل ضرائب المدينة التى جمعها، وكان يخشى أن يناله ما حدث لحامية الفيوم.

وفى الحقيقة كان كل سكان هذه المنطقة قد خضعوا للحكم الإسلامى، ودفعوا لهم الجزية، بل كانوا يقتلون كل جنود الرومان الذين يقابلونهم.

ولما كان بعض جنود الرومان موجودين داخل حصن بابليون لذلك حاصروهم المسلمون وحطموا الأسوار، واستولوا على ما معهم من آلات، وأجبروا الباقين على ترك الحصن. ثم حصنوا قلعة بابليون، وأستولوا أيضاً على مدينة نيقوس، وأستقروا بها.

الفصل السادس عشر بعد المائة

كان هيرقل قد أصيب بحزن عميق بعد موت يوحنا رئيس الشرط، وموت يوحنا القائد. اللذان قتلتهما المسلمون، وكذلك بسبب هزيمة الرومان فى مصر.

وبحسب أمر الله الذى شرع موت الكل حتى الرؤساء والقواد والملوك...، فقد سمح أن يمرض هيرقل بالتهاب حاد ومات فى السنة الواحد والثلاثين بعد حكمه فى شهر ياكاكيت عند المصريين (وهو الاسم الأثيوبى لشهر أمشير الذى يقابل شهر

فى السنة الرابعة عام ٣٥٧م من موت دقلديانوس قيل أنه مات لأنه قد صك قطعة ذهبية تحمل وجه ثلاثة أباطرة أى وجهه هو ووجوه أثنان من أبنائه، أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار، لدرجة لم يجدوا مكاناً لكتابة اسم الامبراطورية الرومانية. لذلك بعد موته محوا هذه الوجوه الثلاثة! وبنفس الطريقة وجدت عملات مصور عليها وجه هيرقل وأبناه الإثنان، بدون كتابة مطلقاً على ظهرها وقد صكت ما بين عامى ٦٣٨-٦٤١م.

وبعد موت هيرقل الكبير ابعث بيريس Pyrhu بطريك الاسكندرية الخلقيدونى مارتين ابنة أخت الإمبراطور وأبنائها. وعين كونستانتان ابن الإمبراطورة يودوس Eudocie، إمبراطوراً خلفاً لوالده. وعومل القيصرين بكل تبجيل واحترام.

بعدئذ قبض كل من داود ومارين على بيريس البطريك الرومانى الخلقيدونى ونفياه إلى جزيره فى إفريقيا الغربية ولم يعلموا أى أحد بذلك. ولكن كان هذا تحقيقاً لنبوءات أحد القديسين التى لابد أن تتم.

وكان ساويرس الكبير بطريك أنطاكية قد كتب إلى النبيلة (كويسارى) يعلمها بأنه لا يمكن أن أحداً من أبناء أى إمبراطور رومانى يرث عرش أباه، طالما سلالة الخلقيدونيين تحكم العالم.

ومع أن هيرقل فى وصيته كان قد قرر أن كونستانتان ابنه البكر سيحكم مع هيراقليوناس ابن مارتين، وكان البطريك بيريس نفسه أيضاً يرعى مصالح الإمبراطورة وأولادها الا أن بيريس عوقب لأنه حاول أن يتصرف بخلاف نبوءة ساويرس.

بعدها إعتلى كونستانتان ابن هيرقل العرش، حتى أمر بجمع عدد كبير من السفن سلمها لاثنين من رجاله هما كيوريوس، سلاكيريوس (ربما يكونا إسمان محرفان) وأرسلهما إلى البطريك سيرس لكى يحضراه اليه ليتشاورا معه.

وأوصى الجنرال... إن يدفع الجزية للمسلمين، وأن يكافح قدر ما يستطيع، والا
يمكنه أن يعود إلى العاصمة في عيد القيامة المجيد ولكون هذا كله عبئاً على كل
سكان القسطنطينية ليشاركوا فيه.

وأرسل الإمبراطور أيضاً إلى انستاسيوس، حتى يترك ثيودور يحرس مدينة
الاسكندرية، وأن يعود هو.

وأعطى ثيودور بريقاً من الأمل بأنه سيرسل له في الصيف القادم كثيراً من
القوات ليتيسر أن يقاتل المسلمين.

وقبلما يعدون السفن لترحل تبعاً لأوامر الإمبراطور، مرض كونستانتان مرضاً
خطيراً، جعله يتقيأ دماً، حتى نفذ كل دمه ومات.

وقيل أنه مرض لمدة مائة يوم، أى خلال فترة حكمه منذ أن مات أباه هيرقل،
كان الناس يسخرون من الإمبراطور هيرقل وابنه كونستانتان.

حدث أن تجمع من جيناس Gainas فى كنيستهم الواقعة فى مقاطعة
ديفاشكير بالقرب من كوبرى القديس بطرس الرسول، وأرادوا الإساءة إلى شخص
البطريك سيرس، الذى فى عصر الاضطهاد كان قد سلب من الكنائس كثيراً من
الثروات، وبدون إذن القضاة.

وقد علم يودوسيانوس أخو دومانتيانوس بهذا التجمع فأرسل قواته إلى الشوار،
وأمرهم بإطلاق السهام عليهم، وبذلك منعهم من تنفيذ خطتهم.

وقد أصيب بعض هؤلاء الناس بإصابات وحشية وماتوا، تحت تأثير الجراح.
شخصان آخران قطعت أيديهما بدون محاكمة. ونادى منادى فى المدينة. على كل
أحد أن يمضى إلى كنيسة وألا يرتكب أحداً أعمال العنف نحو الآخر!!.

ولكن الله حامى العدل لم يتخل عن العالم وانتقم للمظلومين، ولم يرحم الله

وحدث أن قام المسلمون بالمعركة وأخضعوا كل أرض مصر.
وبعد موت هيرقل، عاد البطريق كيرس ولم يفتر من أن يقسو على قطع الله
ويضطهده مضاعفاً أعمال العنف.

الفصل السابع عشر بعد المائة

وأقام عمر قائد جيش المسلمين معسكره أمام قلعة بابليون، محاصراً القوات التي
كانت مختبئة فيه، وكانوا قد حصلوا على وعد منه بأن ينقذ حياتهم نظير أن يتركوا
كل معداتهم الحربية الضخمة.

فأمرهم بأن يخرجوا من القلعة، حيث حملوا معهم كمية صغيرة من الذهب
ورحلوا من البلاد. وبهذه الطريقة أخذت بابليون المصرية للمسلمين في اليوم التالي
لعيد القيامة.

هكذا عاقب الله الناس الذين لم يعبدوا محبة مخلصنا وربنا يسوع المسيح، الذي
وهب الحياة للذين يؤمنون به، وجعلهم يهربون أمام أعدائهم.

وفي ذات يوم عيد القيامة المقدس، عندما أفرج عن المسجونين أعداء يسوع من
الروم الأرثوذكس، لم يدعوهم دون تعذيب، فقد جلدوا البعض، وقطعوا أيدي
الآخرين.

وفي هذا اليوم الذي هو يوم عيد، كان هؤلاء البؤساء ويتنون من الألم والجراح،
وكانت دموعهم تبلل وجوههم، وأبعدوا بكل إحتقار. وحقيقة أن هؤلاء كانوا قد
لمسوا الكنيسة بعقيدتهم الفاسدة، وإرتكبوا كل الجرائم والشرور التي للأريوسيين،
أكثر مما لم يفعله الوثنيون ولا البربر، فقد إحتفروا المسيح وخدامه، ولم نجد مثل
هؤلاء الأشقياء في كل من عبدوا المقدسات الخاطئة.

لكن الله بطول أناته، كان يسامح هؤلاء المرتدين والهرطقة، بسبب قساوة الأباطرة وجبروتهم عليهم.

فقبلوا مرة أخرى، لكل من رجع عن شره.

فالله يتصالح مع الذين ظلموا، ولكنه يعطي كل واحد حسب أعماله. لذلك كان خير لنا أن نحتمل بصبر التجارب والآلام والإضهاد الذي يعاقبنا به.

وفي نفس الوقت الذي كان هؤلاء الملحدون، ظنوا أنهم بهذا يكرمون ربنا يسوع المسيح! مع أنهم إضطهدوا الذين لم يقفوا معهم في عقيدتهم.

نسأل الله من أن يحفظنا أن نتصالح مع هؤلاء المخالفين لأنهم ليسوا خدام المسيح، ولو أنهم اعتقدوا في أنفسهم هكذا.

الفصل الثامن عشر بعد المائة

وأصابت حوادث إستيلاء المسلمون على قلعة نابليون، وعلى مدينة نيقوس الرومان بفجع وحزن بالغين. وبعدها إنتهى عمرو من المعركة، دخل قلعة نابليون، ثم جمع عدداً كبيراً من السفن على إختلاف أنواعها، وأوثقها بالقرب من الحصن الذي استعمره.

وكانا كل من ميناس قائد الخضر، وقزماس ابن صموئيل قائد الزرق وقد حاصرا مدينة مصر ولكن الحامية الرومانية كانت قد أنهكت قواها في عهد المسلمين. ولكن جاء بعض المحاربون بالضفة الغربية بسفنهم، وطافوا بها بكل جسارة أثناء الليل.

وكان عمرو وجيش المسلمين يسرون براً بجيولهم حتى وصلوا إلى مدينة كبرياس عبديا Kebry as l'Abdeya. وفي طريقهم هاجموا الجنرال ده منتانه س. الذي لما علم بوصول جيش المسلمين، ركب سفينة وهرب تاركاً الجيش

والأسطول، ولما حاول المرور في القناة الصغيرة التي كان هيرقل قد حفرها أثناء حكمه. لكنه وجدها مغلقة، فمضى إلى الاسكندرية.

وعندما رأى الجنود الرومان أن قائدهم هرب، ألقوا بأسلحتهم واندفعوا إلى النهر أمام الأعداء، فقتلهم المسلمون وسط النهر، ولم ينجو منهم أحد الا واحد ويدعى زكريا لأنه كان محارباً شجاعاً.

وبعد دمار الجيش، هرب أيضا ربان السفن، وعادوا إلى أقاليمهم. وأستولى المسلمون أيضاً على نيقوس، ولما دخلوها لم يجدوا بها ولا جندياً واحداً لمقاومتهم.

وكانوا يذبحون كل من قابلهم في الشوارع أو في الكنائس، رجالاً ونساءً وأطفال بدون رحمة. ثم ذهبوا إلى أماكن أخرى حولها وخربوها، وقتلوا من كان بها. وقابلوا اسكواتاؤس ورجاله، في مدينة صا الذين كانوا من عائلة ثيودور القائد الذين كانوا محتبئين في مزرعة كروم فذبحوهم.

والأفضل أن نصمت الآن، لأنه من المستحيل أن نقص هول ما حدث من الجرائم التي إرتكبها المسلمون عندما إحتلوا جزيرة نيقوس يوم الأحد، في الثامن عشر من شهر جومبوت guembot في العام الخامس عشر من الحول.

هذا بخلاف المشاهد البشعة التي حدثت في قيصرية فلسطين (وهذا ما يقابله ٢٥ مايو عام ٦٤٢م) (يظهر من النص أن الاستيلاء على قيصرية فلسطين حدث بعد إحتلال قلعة بابلون أي بين شهري مايو وأغسطس سنة ٦٤١م بعد حصار دام سبع سنوات وقتل فيها نحو سبع مائة روماني) وكان ثيودور حاكم مدينة كيلواناس قد غادر هذه المدينة، وترك فيها حامية تحت قياده إتين لحراستها ولصد المسلمين. ومضى هو إلى مصر.

وكان هناك أحد اليهود، الذي رافق المسلمين إلى مصر. وبعدهما أسقط المسلمون أسوار مدينة قيصرية فلسطين بعد جهد كبير، واستولوا عليها ثم قتلوا آلاف من السكان والجنود، وحصلوا على غيمة كبيرة، وأسروا نساء وأطفالاً، وكان يتقاسمونهم. ثم تركوا المدينة خالية تماماً وبعد ذلك مضوا إلى قبرص، حيث قتلوا إثنين ورجاله.

الفصل التاسع عشر بعد المائة

وكانت مصر فريسة لإبليس، إذ كان هناك إنشقاق كبير يسود سكان الوجه البحرى وكانوا منقسمين إلى فريقين: أحدهما كان مع ثيودور والآخر يريد الانضمام للمسلمين.

وكان أنصار أحد الفريقين ينقض على أنصار الفريق الآخر فيسلبون ثرواتهم ويحرقوا مدنهم، وكان المسلمون يخشون هؤلاء. لذلك أرسل عمر إلى الاسكندرية عدداً كبيراً من المسلمين، فاستولوا على قرية كيريون Kerioun التي كانت ضمن حامية ثيودور، فانسحبت حاميتها إلى الأسكندرية.

وقام المسلمون بمهاجمة مدينة الاسكندرية، ولكنهم لم يتمكنوا من الإقتراب منها، فكانوا يلقون عليهم بالأحجار من أعلى الأسوار حتى صدوهم بعيداً عن المدينة.

(استغرق حصار الاسكندرية نحو ١٤ شهراً ولا يمكن الاعتقاد أن المسلمون حاصروا المدينة فترة كهذه من الزمن).

في هذا الوقت كان سكان إقليم مصر في حالة حرب مع سكان الوجه البحرى إذ كانت بينهما عداوة.

وبعدما إنتهت هذه العداوة، تصالحوا بعد فترة من الزمن، ولكن أثار إبليس خصومة أخرى بمدينة الاسكندرية. وكان أساس هذه الخصومة، معاداة ميناس القائد للحاكم دومنتياس، لطمع كل منهما فى الحكم.

وكان القائد ثيودور يتحيز لميناس، وكان غاضباً على دومنتياس منذ أن هرب هذا الأخير من نيقوس وقد تخلى عن الجيش.

وأما ميناس فغضب أيضاً من أودوسيانوس الأخ الأكبر لدومنتيانوس، لأنه كان قد قام بأعمال عنف على المسيحيين بسبب عقيدة (الخلقيدونيين) خلال فترة أسبوع الآلام المقدسة.

وظل دومنتيانوس فى عداوة مع ميناس، فجمع دومنتيانوس فرقا كبيرة من أتباع الحزب الأزرق، كذلك ميناس جمع أشخاصاً كثيرين من الحزب الأخضر كانوا موجودين بالمدينة.

وفى هذه الأثناء وصل فيليادز حاكم أركاديا إلى الأسكندرية، وكان دومنتيانوس، خصماً للبطريك كيرلس، الذى لم يعترف له بأى نوع من الإكرام، وكان يكرهه بلا سبب، مع أنه كان أخو زوجته، وكان من قبل تربطهما صداقة قوية.

وأما ميناس فكان من ناحية يريد أن يحمى فيليادز ومن ناحية أخرى يريد أن يقوم بأعمال محبة كلها إكرام للوقار الكهنوتى.

وكان ميناس يدعو دائماً فيليادز لأنه كان أخو البطريك جورج (الذى كان سابقاً لكيرلس).

وكان ميناس كريماً ومحسناً وتقياً، وكان يشفق على المظلومين. وفى نفس الوقت كان فيليادز غير مخلص للصداقة، وكانت طبيعته فاسدة لأنه كان يدبر

فمثلاً عندما كان هذا الشرير يناقش موضوع تغطية رصيد القوات (تسمى Mamouna) وما حدد لها من أرض فقال : بدلاً من ١٢ فرد، من الأفضل أن يكون واحداً فقط ينال رصيد الاثنى عشر، كما أن المصروفات والمؤن، والمرتببات ستكون أقل حينئذ.

وجد مينا إذاً في هذا الموضوع علة ضد دومنتيانوس الذى كان محبوباً من جنوده، لأنه كان يحاول أن يكسب تقدير الكل، حكمة منه وتواضعاً، وليس رغبة في مجد باطل.

وأثناء وجوده بكنيسة سيزاريون الكبرى مع مجموعة من المؤمنين، ثار سكان المدينة ضد فيلليادز وأرادوا قتله. فهرب واختبأ فى منزل.

حينئذ إتجه الثوار نحو منزله، وأشعلوا النار فيه، وسلبوا كل ثرواته ولكن كانوا يحتفظون بالأشخاص الذين يقابلونهم فيه.

بعد هذه الحوادث أرسل دومنتيانوس أنصار الحزب الأزرق ضدهم، فقامت معركة عنيفة بين الفريقين، فقتل ستة رجال وعدداً كبيراً من الجرحى.

وبعد جهود كبيرة استطاع ثيودور أن يحقق السلام بينهم بعدما عزل الجنرال دومنتيانوس وعين بدلاً من أرتانا ديكوريون أى قائد العشرة أنظمة. وأعادوا كل ما سلب من منزل فيلياديز . وقيل أن أسباب هذه الثورة الدموية كانت إنشاقات دينية.

بعد موت كونستانتان ابن هيرقل، أقاموا على العرش هيرقل أخوه (وكان من امرأة أخرى) ولكن ما يزال طفلاً فلم يستطع أن يزاول السلطة مثل أخوه المتوفى.

ولما رأى البطريك بريس Pyrehus أن هيرقل حصل على التاج، وهو ما يزال طفلاً، بينما هو نفسه كان فى المنفى، فإنه بعد إعتلائه العرش بإرادة مجلس الشيوخ،

وبإيعاذ من أمه مارتين، ألغى المرسوم الذى أتخذه أخوه كونستانتان والأباطرة أسلافه، واستدعى بريس من المنفى.

(هذا المرسوم كان بسبب إيهام فيلاجيوس، أمين الصندوق الظالم، الذى بفعلته أصبحت الكنائس فى ضيقة، وأوقفت السخاء الذى كانت الأباطرة معتادين عمله، كما رفع الضرائب، والذى جعل من البطريك بريس خصماً للإمبراطورة مارتين وأولادها).

بعد ذلك قام الإمبراطور بإعادة كيرلس، وإرساله إلى الاسكندرية، وكذلك القسوس الذين صاحبوه، إعطائه سلطة كاملة، وعقد الصلح مع المسلمين، وألا يقاومهم، وأن يضع نظاماً مناسبة لمصر.

وقد دخل معه قائد الجيش كونستانتان الذى كان رئيساً للشرطة.

ثم استدعى الإمبراطور الجيش من ثراس إلى القسطنطينية، وأمر بنفى فيلاجيوس الصراف إلى إفريقيا، حيث كان بريس منفياً من قبل. حينئذ حدث سخط كبير وثورة فى المدينة ضد مارتين وأولادها، بسبب نفى فيلاجيوس الصراف الذى كان محبوباً جداً.

الفصل العشرون بعد المائة

لم يكن كيرلس البطريك الخلقيدونى يرغب وحده فى الصلح، ولكن الشعب كله، والحكام، ودومانتيانوس الذى كان محبوباً لدى الإمبراطورة مارتين، واجتمع كل هؤلاء وتشاوروا مع البطريك كيرلس، لعقد الصلح مع المسلمين.

وكان كل الكهنوت يرفض حكومة هيرقل الصبى الصغير، وكانوا يقولون أنه ليس من العدل أن يشغل العرش إمبراطوراً، منحدرًا من الإتحاد المرفوض (إتحاد

هيرقل ومارتين ابنة أخيه) وأن الإمبراطورية يجب أن تعود إلى أولاد قسطنطين التي جاءت من أودوسيوس، وألغوا وصية هيرقل القديم.

وعندما رأى فالتين أن كل الناس كان يكرهون مارتين وأولادها، أخذ مبالغ كثيرة من المال الخاص بثروة إمبراطورية فيلاجيوس، وقام بتوزيعها على الجيش، وحرص بالقيام ضد مارتين وأولادها.

حينئذ كف القواد عن محاربة المسلمين، والتفوا حول شعبهم. ثم أرسلوا سراً رسولاً إلى جزيرة رودس، لحث القوات الذين فيها والذين جاءوا مع البطريك كيرلس، على العودة ثانية إلى العاصمة.

وطلبوا من ثيودور حاكم الأسكندرية أن يقول: "لا تسمعوا لقول مارتين، ولا تنفذوا أوامر أولادها".

وأرسلت إلى بلاد إفريقية وكل الأقاليم التابعة للإمبراطورية الرومانية، رسائل مشابهة لذلك.

وكان الجنرال ثيودور سعيداً جداً بهذه الأخبار، وقد احتفظ بها في أول الأمر سراً، ثم رحل من جزيرة رودس أثناء الليل مختفياً عن أعين الناس متجهاً إلى بنتابوليس، ولم يعرف أحداً إلا قائد الأسطول وحده الذي لما عرف خطته رفض توصيله، زاعماً أن الرياح مضادة لهم.

فوصل إلى الأسكندرية في ليلة اليوم السابع من شهر مسكارام (سبتمبر) أي يوم عيد الصليب المقدس.

فأسرع كل شعب المدينة، رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً نحو البطريك كيرلس وأظهروا فرحهم بعودته.

وتوجه ثيودور سراً مع البطريك إلى كنيسة تابيونسيوتس، وأمر بغلق بابها. ثم أرسل في إحضار ميناس، وعينه قائداً، وطرده دومنتيانوس من المدينة وكان كل الشعب يصيحون: "أخرج من المدينة".

وكان البطريك جورج، الذى عينه هيرقل الصغير، يعامل بـإهتمام بالغ أنستاسيوس الحاكم، وذلك قبل وصول البطريك كيرلس. والآن أصبح شيخاً وقد إمتدت سلطته إلى كل الأعمال لدرجة أن البطريك نفسه ترك له سلطته. (يمكن أن نعتقد أن هذه الشخصية ليس إلا قمصاً مديراً كان يدبر كنيسة الاسكندرية أثناء غياب كيرلس وأن هيرقل هنا ليس الصغير بل الكبير).

وعندما مضى البطريك كيرلس إلى كنيسة سيزاريون الكبيرة إستقبلوه بالتراتيل والمدائح كرامة له، وفرشوا له الطريق بالسجاد، وكان المستقبلون عدداً كبيراً جداً لدرجة داس بعضهم بعضاً، فلم يقدرُوا أن يسلكوا طريقهم إلى الكنيسة إلا بشق الأنفس. ثم بعد دخوله الكنيسة، أمر بفتح المقصورة التى يوجد بها الصليب المقدس الذى كان قد تسلمه قبل نفيه، من الجنرال يوحنا وكان أيضاً قد نقله من دير تابيونسيوتيس.

وكان ذلك اليوم يوم عيد القيامة، حيث بدأوا فى إقامة القداس وبدلاً من أن يرتلوا مزمور هذا العيد وهو "هذا هو اليوم الذى صنعه الرب فلنفرح ونبتهج به" لكن الشماس رتل ترنيمة أخرى لم تكن ضمن المكتوب، وذلك لكى يحتفل بالبطريك ويهنئوه على عودته.

وعندما سمع الشعب هذه الترنيمة، الخارجة عن المؤلف فى هذا اليوم، قالوا أن ذلك ليس فالاً حسناً بالنسبة للبطريك كيرلس، لأنه فى تلك الحالة سوف لا يحضر عيد القيامة مرة أخرى بالأسكندرية.

وهكذا قال كل الحاضرون من المؤمنين والرهبان وغيرهم، كأن هذا القول أصبح تنبؤاً فصاحوا قائلين: "أنه تصرفاً مخالفاً لطقوس الدين". وحتى الذين كانوا يسمعون ما قيل لم يشاءوا أن يصدقوا.

بعد ذلك توجه البطريرك كيرلس إلى بابليون حيث تقابل مع المسلمين لكي يطلب منهم الصلح، على أساس أن يدفع لهم الجزية، وأن يكفوا عن الحرب في مصر.

فأستقبله عمرو بكل لطف وقال له "لقد فعلت حسناً بمجيئك إلينا"، فاجابه كيرلس: الله وهب لكم البلد ومن الآن فصاعداً لن تكون هناك عداوة بينكم وبين الرومان، لقد كانت ولكنها لن تستمر بيننا".

وطلبوا منهم تحديد الجزية التي سيدفعونها، كما إشتراط بإلا يتداخل الاسماعيليون بأي وسيلة، بل يظلون منعزلون لمدة إحدى عشرة شهراً.

وأن الجنود والرومان الباقون بالاسكندرية، سيبحرون حاملين ثرواتهم ومؤوناتهم. وسوف لاتعود ثانية أى قوات رومانية.

وأما عن الذين يريدون الرحيل بالطريق البرى، فسيدفعون جزية شهرين، على شرط أن يبقى المسلمون مائة وخمسون جندياً وخمسون من الأهالى كرهينة، وأن الرومان يكفون عن قتال المسلمين، ويعقدون الصلح.

وأعلن الرومان أنهم سيكفون عن قتال المسلمين. وهؤلاء بالتالى لن يستولوا على الكنائس، ولن يتدخلوا فى شئون المسيحيين، كما أنه سيسمحون لليهود بالبقاء فى الأسكندرية.

(سرى فيما بعد أن اليونانيين غادروا مصر فى شهر سبتمبر سنة ٦٤٣ م طبقاً لشروط هذه المعاهدة).

وبعد أن تمت هذه المعاهدة عاد البطريق إلى الإسكندرية، وأخبر بها ثيودور والقائد كونستانتان، ودعاهم ليخبروا الإمبراطور هيرقل بهذه الشروط وأن يمتدحوها له.

بعد ذلك - جاء رؤساء الجيش وبعض مواطني الإسكندرية، وكذلك الشريف ثيودور إلى الأب البطريق كيرلس، وقدموا له التحية والإكرام. فعرض الأب البطريق عليهم الصلح الذي عقده مع المسلمين، وحثهم على قبوله.

وبناء على هذا الصلح، وهذه المعاهدة، جاء المسلمون إلى الإسكندرية، لتلقى الجزية، في حين أن شعب الإسكندرية كانوا لا يزالوا يجهلون ماتم من اتفاق! فعندما نظروا الأعداء قادمين، إستعدوا وهبوا لمقاومتهم ولكن الجيش والقواد، الذين كانوا على علم بما تم، أصروا على التمسك بالقرار المتخذ، وأعلنوا أنه من المستحيل محاربة المسلمين!

وأعلنوا أنه يجب أن يتبع الجميع رأى البطريق كيرلس. حينئذ ثار الشعب ضد البطريق كيرلس، وأرادوا قتله. ولكن كيرلس خاطب الثوار قائلاً: "لقد فعلت هذه التسوية لكي أنقذكم أنتم وأولادكم".

وتوسل إليهم البطريق بدموع مظهرأ ألمه الشديد، مما جعل شعب الإسكندرية يخجل، فقاموا وقدموا له ذهباً كثيراً ليسلمه للإسماعيليين، مع الجزية التي فرضت عليهم.

كذلك توسط المصريون، الذين كانوا يخشون المسلمين، وجاءوا للإحتماء في الإسكندرية، وطلبوا من الأب البطريق أن يحصل من المسلمين على السماح لهم بالعودة إلى محافظتهم خاضعين لهم. فتفاوض كيرلس من أجلهم بحسبما طلبوا، وكان

المسلمون قد امتلكوا كل مصر، من الجنوب إلى الشمال، وضاعفوا الضرائب إلى ثلاثة أمثالها.

وكان هيرقل الإمبراطور، قد عين أحد الرجال يدعى ميناس حاكماً للوجه البحرى، وكان رجلاً مغروراً مع أنه كان أمياً وكان يكره المصريين. وبعد إمتلاك المسلمين للبلاد، احتفظوا به فى منصبه، ولكن إختاروا رجلاً آخر يدعى شنودة كحاكم لمنطقة الريف، Rif وثالث يدعى فيلوكسينوس كحاكم للفيوم.

وكان هؤلاء الحكام الثلاثة يحبون الوثنيين ويكرهون المسيحيين، وكانوا يجبرونهم على أن يحملوا الطعام إلى الجيش الإسلامى ويلزمونهم بخيولهم وحيواناتهم، كما وان يمدونهم باللبن والعسل والفاكهة والكرات أبوشوشة، وكثير من الأشياء الأخرى، هذا بجانب المؤن العادية. وكان المصريون ينفذون هذه الأوامر، لأنهم كانوا فى فرع متواصل. ثم أجبرهم المسلمون على حفر قناة تراجان التى كانت قد هدمت منذ زمن بعيد، فيصلون المياه من بابلون إلى مصر إلى البحر الأحمر.

وكانهم وضعوا على المصريين نيراً يحملونه، أثقل من النير الذى فرضه فرعون على اسرائيل. والذى عاقبه الله عليه بعقاب عادل، بأن دفعه إلى أمواج البحر الأحمر هو وجيشه، بعدما ضرب المصريين بضربات عديدة سواء على البشر أو على الماشية.

فليوقع الله هذا العقاب على الإسماعيليين، وأن يعمل بهم كما فعل مع فرعون القديم! فإنه بسبب خطايانا سمح الله لهم أن يعاملونا هكذا. ولكنه بطول أناته سينظر إلينا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وينقذنا. وأكثر من هذا فنحن ننتظر بأنه سيفنى أعداء الصليب كما هو مكتوب فى الكتاب الحق.

وبعدما إستولى عمر على مصر، وإستتب له الأمر، أرسل قوات هذه البلاد ضد سكان بنتابوليس. وبعدما إنتصر عليهم لم يدعهم يقيمون بها، فسلب من هذه البلاد

غنائم ضخمة، وأسر عدداً كبيراً من الشعب. بعدما انسحب أبوليانوس حاكم بنتابوليس مع قواته، وعظماء الإقليم إلى مدينة تيشيرا Teuchera التي كانت محصنة بصلابة، وتحصنوا فيها. وأما المسلمون فعادوا إلى بلادهم مع الأسرى والغنائم.

(يذكر الكتاب العرب أن أول حملة إسلامية على الأقاليم الواقعة غرب مصر كانت في عام ٢١، ٢٢ هجرية)

وأما البطريك كيرلس فكان حزينا جداً بسبب ما ألم بمصر من كوارث. وحقيقة كان عمرو يعامل المصريين بلا رحمة، ولم ينفذ الإتفاقيات التي كانت قد أبرمت معه، لأنه كان من جنس البربر...

وأستبدت الأحزان بكيرلس يوم أحد الشعانين، فمرض بالبدونستاريا ومات في يوم خميس العهد في الخامس والعشرين من شهر ماجابيت وهكذا تم ما تنبأ به المسيحيون عنه، أنه لا يحضر عيد قيامة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وقد تم هذا في عهد كونستانتان ابن هيرقل (والخامس والعشرون من شهر ماجابيت يوافق ٢ أبريل ونرى أن كيرلس عاد إلى الإسكندرية في شهر سبتمبر من العام الذي مات فيه هيرقل أي سنة ٦٤١ م وكان قد احتفل بعيد القيامة سنة ٦٤٢ م ومات في ٢ أبريل سنة ٦٤٣ م، وفي هذا العام كان عيد القيامة في ١٣ أبريل).

وبعد موت كيرلس، قامت حرب أهلية بين الرومان بسبب أولاد الإمبراطورة مارتين، الذين أعلنوا أنه مستبعدون عن العرش، لكي يعينوا آخرين هم أبناء كونستانتان.

وكان الثوار مسنودين من فالتان، الذي كان قد نادى بقضية عامة مع فيلانجرس، وجذب إليه كل الجيش، وانتقل إلى كلدونيا، لأنه كان يظن ويعلن أن "قوة مارتين هي فقط في فرقة محاربي أولادها".

ولما حصل فالتان على موافقة كل القوات لاستدعاء فيلانجوس من المنفى، حينئذ قام هيرقل الصغير بصحبة عدد كبير من الكهنة والرهبان والمطارنة الأجلاء، وركب سفن الإمبراطورية، حيث عبر المضيق متجهاً إلى كلدونيا. وهناك جمع بقية القوات راجياً إياهم بقوله: "لاتركوا الإيمان المسيحي فتثورون ضدي، ولكن كونوا في سلام الله، والتزموا بوصية أبي هيرقل الذي قاسى كثيراً من أجل هذا البلد".

وجعلهم يعتقدون أنه سيتبنى ابن أخيه، وأنه سيشركه معه في الإمبراطورية، وأنه سوف لا يكون بينهم حرب أو دماء. وفعلاً قد حصل على الموافقة من كل النبلاء، ووعدهم بأنه سيأمر بعودة فيلاجريوس من منفاه.

وعندما تأكد فالتان بأن كل الشعب كان معترفاً به، ويطيعونه بهدوء، ذهب مع دومتيانوس والنبلاء الآخرون حيث توجوا كونستانتان الصغير، أحد أبناء كونستانتان بن هيرقل الكبير، بعدما رفعه هيراكليوناس من بطن مياه المعمودية. ثم إنصرف الجميع بسلام.

ولكن الثوار لم يدعوا هذا السلام يدوم، لأنه بعد وقت قليل، وبعدما أجلسوا كونستانتان على العرش، أعلنوا خصومتهم ضد الإمبراطورين، هيرقل الثاني، وكونستانتان الصغير.

فألقي الشيطان الخلاف بين هيرقل الثاني والجيش، فبدأت قوات إقليم كبادوكيا في إرتكاب الشرور، وأطلقوا نداءً يدعون أنه موجه من مارتين وبيريس بطريرك القسطنطينية إلى داود اللوجائيت (يبدو أنه قائد ذو رتبة في الجيش) لكي يحثوه على القيام بحرب ضارية ضد الثوار، وأن يتزوج مارتين لكي يحرم أولاد كونستانتان (أي كونستانتان الصغير) الذي كان يحكم مع هيرقل وأخيه من الحكم.

وأثار سكان بيزنطة القلاقل والشائعات عندما علموا بما حدث، وكان يشيعون أن المتسبب في هذه الخطة هو كوابراتوز Koubratos قائد البربر، وابن أخو

أورجانا. هذا الرجل الذى كان قد تعمد منذ طفولته، وانضم إلى حضن المسيحية فى القسطنطينية وكان قد تربى فى القصر الإمبراطورى، وكان صديقاً حميماً لهيرقل الأول. وبعد موت هيرقل الذى كان سبب كل تقدم فى حياته، ظل مرتبطاً بأولاد هيرقل وزوجته مارتين، إعتزافاً بالجميل. ومن أجل المعمودية المقدسة التى حصل عليها، فقد هزم البربر الوثنيين.

وحيث أنه كان يوالى مصالح أولاد هيرقل فكان معادياً لمصالح كونستانتان! ونتيجة هذه الإشاعات قامت قوات بيزنطة على الشعب بثورة وعلى رأسهم ثيودور ابن كونستانتان (المسمى Loutalious) وكان محارباً شجاعاً كأبيه. ولما رأى داود استعدادهم عليه قام وهرب حيث إختبأ فى قصر أرمينيا (قلعة بأرمينيا) وتبعه لوتاليوس، ولما لم يستطع أحد أن يخلصه من يده، أمر بقطع رأسه، وساروا بها فى كل بلاد الشرق. ثم ذهب (لوتاليوس) ثيودور إلى بيزنطة بجيش مهول، فاستولى على القصر، وقبض على مارتين وأولادها الثلاثة (هيرقل، وماران، وداود) وجردهم من التاج الإمبراطورى وقطع أنوفهم، ثم أمر بنقلهم إلى رودس. ثم عزل البطريك بريس بدون رأى المجلس الأعلى للكنائس حيث نفاه إلى تريبوليس المكان الذى فيه فيلاجيريوس، الذى أعادوه.

أما عن أصغر أبناء مارتين فلما خافوا أن يصبح إمبراطوراً بعدما يكبر، فقطعوا أعضاءه التناسلية، فمات هذا الطفل بسبب جرحه البالغ. وكان لها أبناء آخرون صم، بكم، فلم يسيئوا إليهم بشر لأنهم لم يكونوا صالحين للحكم.

وقاموا بإلغاء وصية هيرقل القديم، وأعلنوا أن كونستان أبن كونستانتان إمبراطوراً. ثم عينوا بولس الموجود بالقسطنطينية بطريكاً بدلاً من بريس.

كل هذه الأحداث وغيرها، وكذلك انفصال مصر عن الأسكندرية، تحت حكم

بطربرك أنطاكية المرسل إلى النبيلة في عهد الإمبراطور أنستاسيوس. والذي تنبأ فيه بمصائب الإمبراطورية الرومانية بقوله: "ولا يعتلى أى ابن عرش أبيه طالما بقيت عقيدة الخلقيدونيين الذين يقولون أن المسيح ذو طبيعتين بعدما صارت واحدة، وهو إعتقاد لا يمكننا أن ننادى به، لأن عقيدتهم تقول أن الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية منفصلتين بعدما إتحدتا. ونحن المؤمنون الأرثوذكسيون لا يمكن أن نعلمها. فلا يجب أن نتكلم مثل الهرطقة.

هكذا علم غريغوريوس: نحن نفهم الله الكلمة كطبيعة واحدة من طبيعتين، لأن الله إتحد بالجسد وأصبح واحداً ولو أن الطبيعة الإلهية لم تمتزج بالطبيعة البشرية ولا الطبيعة البشرية إختلطت في الأخرى. لكن الكلمة صار جسداً، وهو إلهاً. أيها الإتحاد العجيب! غير المنظور ولكنه أصبح مرئياً، الخالق ولد ورأيناه، وقد أبرأنا بجراحه.

ونحن لا يمكننا أن نستعفى من ترديد تعليم آباء الكنيسة المشهورين، الذين كانوا كأطباء لعلم فائق الفهم. حيث أن الرومان لا يعتقدون الآن سوى في الخلاص (آلام وصلب المسيح). أما أنا فهذا ما أعلنه عنه كمخلص... للذين يحبون أن يسمعوا الحقيقة: كما أنهم تركوا عنهم العقيدة الحقبة التي نؤمن بها هكذا سيزالون عن عروشهم وسيبلغ الشقاء إلى كل مسيحي في العالم، وستغيب عنا رحمة ووداعة ربنا يسوع المسيح!".

في ذلك الوقت أثار قالتان إضطرابات كثيرة، وانتزع السلطة وأراد أن يسلب العرش. ونتيجة ذلك قام عليه سكان القسطنطينية، فترك السلطة، وقبضوا عليه في الحال وإقتادوه إلى الإمبراطور كونستان. فأقسم أمامه بأنه لم يعمل ذلك بقصد سىء منه، لكنه كان ينوى أن يقاتل المسلمين. وبعد هذا التصريح منه، أطلق الإمبراطور

سراحه، وعينه على رأس الجيش، وقام بينه وبين الإمبراطور صلح أساسه أن يزوج ابنته للإمبراطور، والتي كانت لاتزال تعلن بصوت المنادى "نبيلة مكرسة".

وحدثت هذه الثورة من جهة فالتان سنة ٦٤٤م، وقد إتهم فالتان الشرير، أركاديوس رئيس أساقفة قبرص، والذي كانت حياته المقدسة والتقية معروفة لكل العالم، بأنه حليف (مارتين)، والبطريك بريس، وأنه معادياً لكونستان الإمبراطور الجديد.

ولما وصلت هذه الأخبار السيئة إلى الإمبراطور، أرسل جنوداً عديدة من القسطنطينية لكي يحضروا رئيس الأساقفة أركاديوس بطريقة مشينة، ولكنه كان قد بلغ أجله فتتيح مثل سائر البشر.

(هناك إثنان من رؤساء أساقفة قبرص بأسم أركاديوس والمقصود هو أولهما).

وعندما علم كيرلس بطريك الخلقيدونيين بالإسكندرية، بهذه الأحداث حزن حزناً شديداً وهى: نفى مارتين وأولادها الذين كانوا قد أحضروه هو من المنفى، وعزل بريس بطريك القسطنطينية، وعودة فيلاجريوس عدوه، وموت البطريك أركاديوس، وانتصار قوة فالتان.

هذه الحوادث جعلت كيرلس يبكى بلا إنقطاع لأنه كان يخشى أن يحدث له ما حدث سابقاً، وظل فى محنته حتى مات حسب قانون البشر. ولكن كان أشد ما يؤلمه أن يرى المسلمين لا يلتفتون إطلاقاً، لما كان يطلبه لصالح المصريين. ولكن كان هو لا يألوا جهداً أن يضطهد المسيحيين ويقوم بأعمال الهراطقة، لذلك عاقبه الله الحاكم العادل نظير التعدييات التى إرتكبها.

وكان المسلمون فى هذا العصر هم سادة مصر كلها، فلم يقدر الجنرال فالتان وجيوشه أن يقدموا أية مساعدة للمصريين وأستمر سكان الاسكندرية على العكس، يقدمون الخدمات للمسلمين، وكانوا يثنون تحت ثقل الأعمال التى فرضت عليهم.

فى الوقت الذى فيه إختبأ كل أثرياء البلد فى الجزر لمدة عشرة أشهر.

ثم قام ثيودور النبيل وكونستانتان قائد الجيش والجنود الباقين بصحبة الذين كانوا بين أيدي المسلمين كرهائن، والمجروا وجاءوا إلى الإسكندرية.

وحدث بعد عيد الصليب، فى العشرين من شهر هاملى، فى عيد القديس ثيودور الشهيد، قاموا برسامة الشماس بطرس بطريركاً، وأجلسوه على الكرسي الكهنوتى. (العشرون من شهر هاملى يقابل السادس والعشرين من يولييه وربما يتحدث الكاتب هنا على عيد الصليب والمقصود هو عيد ظهور الصليب فوق الجلجثة وتحتفل به الكنيسة اليعقوبية فى ١٩ مايو).

بعد ذلك ترك ثيودور مدينة الإسكندرية فى العشرين من شهر ماسكرام (٢٩ سبتمبر سنة ٦٤٣م)، مع كل القوات والضباط، وتوجه إلى جزيرة قبرص، فدخل عمرو قائد المسلمين إلى مدينة الاسكندرية بدون أن يقابل أية مقاومة، فاستقبله شعبها بكل إكرام، رغم أنهم كانوا فى شقاء ومعاناة.

الفصل الواحد والعشرون بعد المائة

عاد الأنبا بنيامين بطريرك المصريين إلى الإسكندرية، بعد ثلاثة عشر عاماً من هروبه من الرومان، وزار كل كنائس الاسكندرية (طبقاً لكلام الأنبا ساويرس أسقف الأشمونيين، أن أنبا بنيامين ابتعد بعد انتخاب كيرلس مباشرة أى سنة ٦٣٠م، ثم عاد إلى الإسكندرية بعدما استدعاه عمرو، أى بعد ثلاثة عشر عاماً قضاه فى المنفى).

وكان لسان حال الجميع يقولون: أن طرد الرومان وانتصار المسلمين حدث بسبب طغيان الإمبراطور هيرقل والمضايقات التى كان يسببها للأرثوذكسين عن طريق البطريرك كيرلس!.

وقالوا: أنه لهذه الأسباب فشل الرومان، وأصبح المسلمون سادة مصر. وكان موقف عمرو يصير أكثر قوة يوماً بعد يوم. وأمر عمرو برفع الضرائب التي كانت مفروضة على الكنائس، ولم يأخذ شيئاً من أملاك الكنائس، كما لم يرتكب أى عمل من السلب أو النهب، بل كان يحميها خلال حكمه.

(قال الأنبا ساويرس اسقف الأشمونيين عكس ذلك، بأنه بعد الإستيلاء على الإسكندرية عام ٣٦٠م للشهداء، هدم المسلمون الأسوار، وأحرقوا معظم الكنائس، ومن بينها كنيسة القديس مرقس الإنجيلي).

وبعدما ملك عمر الأسكندرية تماماً، أمر بتجفيف قناة المدينة، كما فعل ثيودور الهرطوقي، وأوصل الجزية إلى ٢٢ باتر من الذهب (ربما تعبر عما يساوى ألف قطعة ذهبية شهرياً) لدرجة أن كثير من الشعب الذين كانوا يئنون من هذا الحمل وعجزوا عن الدفع، إختبئوا في العام الذي يليه في سنة ٦٤٤م.

وفي وقت دخول عمر إلى الأسكندرية، كان يوحنا قد عين حاكماً لها من قبل ثيودور النبل، فألقى خطاباً على المسلمين حتى لا يخربوا المدينة. وكان يوحنا مملوءاً عطفاً على الفقراء، وكان يعطيهم بوسع من أملاكه الخاصة، وكان يواسى الشعب ويتألم معهم في حالتهم البائسة. وأما عمر فعزل ميناس وأستبدله بيوحنا.

(ولو أنه من الصعب قبول أن عمر سلم يوحنا وظائف الحكم تبعاً لتنظيم الحاكم الروماني القديم ثيودور)!

وحقيقة كان ميناس قد زاد جزية المدينة، التي كان عمرو قد حددها وهي ٢٢ ألف قطعة ذهبية، فجمع ميناس الهرطوقي أثنان وثلاثون ألف وسبعة وأربعون قطعة ذهبية، وسلمها للإسماعيلين.

وأنى لعاجز عن أن أصف مدى الحزن والأين الذى أصاب المدينة بعد ذلك، فلقد بلغ الضيق بالسكان إلى درجة، سلموا أبناءهم فى مقابل المبالغ الضخمة التى

كان عليهم دفعها شهرياً! ولم يكن من منقذ، نعم ولقد تخلص الله عنهم وسلم
المسيحيين لأيدى أعدائهم.

ولكن رحمة الهنا القوية، ستوقع الذين تسببوا في ضيقاتنا وآلامنا في الارتباك،
ومحبتته للبشر سيجعلهم يتوبون عن خطاياهم، وقصدهم السيء، وسيغير الخطط
المدبرة لمن يظلموننا. وهؤلاء الذين لم يقبلوا الملك المسيح يسوع ملك الملوك ورب
الأرباب، إلهنا الحقيقي، هؤلاء العبيد الساقطين، سيهلكهم بطريقة شنيعة، كما ذكر
الإنجيل المقدس "أما أعدائي هؤلاء الذين رفضوا أن أملك عليهم فهاتوهم وإذبحوهم
قدامي" وعلى هذا فإن كثير من المصريين، الذين كانوا مسيحيين كاذبين، فقد
أنكروا الديانة الأرثوذكسية المقدسة، والمعمودية التي تهب الحياة الأبدية، وإعتقوا
ديانة المسلمين، أعداء الله، وقبلوا هذه العقيدة... .. فقد تقاسموا الضلال مع
هؤلاء الوثنيين، وحملوا السلاح ضد المسيحيين.

وبرز أحدهم ويدعى يوحنا، وهو خلقيدوني من دير سيناء، ترك عنه رداء
الكهنوت، وإعتنق الإسلام، وتسليح بسيف، وقام يضطهد المسيحيين الذين ظلوا
مخلصين لربنا يسوع المسيح.

الفصل الثاني والعشرون بعد المائة

والآن فلنمجد ربنا يسوع المسيح ولنرفع اسمه القدوس في كل أوان، لأنه حفظنا
نحن المسيحيون حتى هذه الساعة، من ضلال الوثنيين الأشرار والخادعين، ومن هاوية
الهراطقة الخائنين فنسأله أن يحفظنا بقوته وليعضدنا بالرجاء في وعده المقدس،
لنتحمل هذه الكوارث، وليجعلنا جديرين بأن نحصل بدون خزي على ميراث
ملكوته السماوي الأبدى الغير الفاني، فلنمجد أباه الصالح القدوس وروحه
القدوس المعطي الحياة الأبدية أمين.

وقد أنتهى هذا العمل المبارك الذى ألفه يوحنا المؤرخ، مطران مدينة نيقوس، لمنفعة الروح، والذى يحوى العديد من الأبحاث والأسرار المقدسة، وشرح للظواهر السماوية، التى أصابت الهراطقة، وتزعزع الأرض أحيانا بسبب عدم التقوى، حتى خربت مدينة نيقوس الكبرى، ونزول مطر ونار من السماء، واختفاء الشمس منذ الصباح إلى المساء، وأحيانا تفيض الأنهار وتغرق مدناً بأكملها. وتارة أخرى تهدمت المنازل وهلك أعداداً كبيرة من البشر، ونزلت إلى أغوار الأرض..

وكل ذلك حدث بسبب أنهم قسموا المسيح إلى طبيعتين، بينما البعض الآخرين جعلوا منه مخلوقاً واحداً.

وقد فقد الأباطرة الرومان تيجانهم، والإسماعيليين والأتراك أصبحوا أسيادهم (تخيل المترجم الأثيوبى كما فى أيامه أن العرب والأتراك أمة واحدة منذ بدء الإسلام) لأنهم لم يتبعوا إيمان ربنا يسوع المسيح وقسموا ذلك الغير قابل للتجزئة.

وقد بُدئ بكتابة هذا الكتاب فى اليوم الثامن والعشرون من شهر هاملى وإنتهى فى اليوم الثانى والعشرون من شهر تيجمت يوم الاثنين فى الساعة السادسة، وكانت الشمس فى برج العقرب، والقمر فى برج الدلو. ودرجة دوران الشمس ١٩٥° وقمته فى ٢٧° وثلاثون دقيقة.

وكان طول النهار إحدى عشرة ساعة، والليل ثلاثة عشرة ساعة وكان النهار يتزايد والليل يقصر عشرون دقيقة. فى سنة ٧٥٩٤ للعالم، ١٩٤٧ للإسكندر، عام ١٥٩٤ لتجسد ربنا يسوع المسيح، فى سنة ١٣١٨ للشهداء وعام ٩٨٠ هجرية طبقاً للدورة الشمسية، ١٠١٠ للدورة القمرية، وبعد مرور نحو أربعة أعوام وسبعة شهور وثمانية أيام لإرتقاء ملاك ساجاد الثانى بن ملاك ساجاد الأول الذى نال بالعماد اسم (يعقوب) ومرار ثمانية سنوات وثلاثة شهور وخمسة أيام على حكم الملكة (ملاك موجازا) التى أحبت الرب، وسميت بالعماد (ماريام سنا).

وقمت بترجمة هذا الكتاب بعناية كبرى من العربية إلى ghez لغة الجيز أنا العبد
 الفقير، وأحقر جميع الناس، مع الشماس غبريال المصرى الراهب على طقس القديس
 يوحنا القصير، وحسب أمر أثناسيوس قائد الجيش الأثيوبى والمملكة ماريام سنا.
 ونسأل الله أن يعطنا سلام الروح وصحة الجسد ولنمجده الذى وهبنا قوة لبدأ
 ونختتم هذا العمل، له المجد الدائم آمين.

فهرس الكتاب

كتب هذا الفهرس الأنبا يوحنا المدير وأسقف نيقوس وقسمه فى ١٢٢ فصلاً
وعنون الفصول كما يلى:

رقم الفصل	عنوان الفصل	الصفحة
مقدمة	٧
لفصل الأول	أسماء آدم وحواء وأولادهما، وأسماء المخلوقات	١٧
الفصل الثانى	أسماء الكواكب والشمس والقمر وعلاقتهم بالمؤلفات العبرية.	١٧
الفصل الثالث	أول من اشتغلوا بالملاحة وأول من جابوا البحار.	١٧
الفصل الرابع	أول من حفروا الخنادق، ومن تبعهم فى هذا المضمار.	١٨
الفصل الخامس	عن تأسيس بابل، ومن عبدوا صورة الحصان، وبداية صيد الحيوانات وأكلى اللحوم.	١٨
الفصل السادس	عن أكلى لحوم البشر، وقاتلى أبناءهم وعمن قتل أباه .	١٨
الفصل السابع	عمن تزوج أخته.	١٩
الفصل الثامن	عمن أسس مدينة نينوى، وأول من تزوج أمه.	١٩
الفصل التاسع	أول شخص أكتشف الذهب، وبحث عنه فى المناجم.	١٩
الفصل العاشر	أول شخص صنع أسلحة الحرب.	٢٠
الفصل الحادى عشر	أول من بنى المواقد (الأفران) ومن تزوج بأمرأتين.	٢٠
الفصل الثانى عشر	أول من أسس مدينة سميت بأسم مدينة الشمس	٢٠
الفصل الثالث عشر	من أسس المدينتين المسميتان باسم	٢١

- ٢١ تأسيس مدينة سمنود والبرابى
٢١ أول من أعلنوا عظمة الثالوث الأقدس
الواحد من اليونانيين.
- ٢١ كيف أدخلت زراعة الأرض في محافظات
مصر، وكيف كانت حالة مصر أصلاً.
- ٢٢ أول من مسح الأراضي، وفرض الضرائب
في مصر، وأول من أجبر السكان على
إعطاء اتاوات للملك، وعن حفر القناة
المسماه (Dik).
- ٢٢ عن ردم المستنقعات في مصر، ومن جفف
المياة حتى استطاعوا بناء المدن والقرى،
إنشاء المزارع.
- ٢٣ من بناء الأهرامات الثلاثة في مدينة منف.
- ٢٣ أول من صنع الملابس الملونة.
- ٢٤ أول من عبد التماثيل، ومن أسس مدن:
أيقونية، وترسوس، ومن أطلق اسم فارس
على سوريا، وعن زرع الأشجار في
مصر، وأول من عبد الشمس والقمر
والنار والماء.
- ٢٥ من جعل للقمر عبادة خاصة وأقام له
مذبحة ضمن الآلهة.
- ٢٦ من أطلق اسم ليبيا، من أسس مدينة تير
وأعطى أسماء لکنعان، وسوريا،
وسيسيليا.
- ٢٦ من أسس مدينة قرطجنا ومن سمى مدن
أوريا.
- ٢٧ أول من صنع قيود خشبية، ووضعها في
أرجل أحد الرجال.
- ٢٧ أول من عبد الأوثان وبنى هياكلها.
- ٢٧ عن ملشيصادق الكاهن، وتأسيس صهيون
المسماه ساليم، وتسمية اليهود بالعبرانيين
- الفصل الرابع عشر
الفصل الخامس عشر
الفصل السادس عشر
الفصل السابع عشر
الفصل الثامن عشر
الفصل التاسع عشر
الفصل العشرون
الفصل الحادي والعشرون
الفصل الثاني والعشرون
الفصل الثالث والعشرون
الفصل الرابع والعشرون
الفصل الخامس والعشرون
الفصل السادس والعشرون
الفصل السابع والعشرون
و العشرون



حروفها.	
٢٩ ما حدث من طوفان المياه في اتيكيو، وطول بقاء المياه بها.	الفصل التاسع والعشرون
٢٩ عن فرعون خصم موسى، وكيف هلك مع قواته.	الفصل الثلاثون
٣١ تغيير اسم مدينة ابشادي إلى نيقبوس، وكيف غير النهر مجراه من شرق المدينة إلى غربها.	الفصل الواحد والثلاثون
٣٢ تأسيس مدينة القدس وتغيير أسمها إلى نيابوليس وبدء بناء بيت لله في هذه المدينة.	الفصل الثاني والثلاثون
٣٢ من بدأ ممارسة إحدى الصناعات اليدوية من القدماء.	الفصل الثالث والثلاثون
٣٢ من وجد إحدى المخطوطات وقام بنشرها بين الناس، ومن اخترع التعليم وفسر بعض أشعار محفورة على لوح حجر.	الفصل الرابع والثلاثون
٣٣ الذي سن قانون الزواج مبينا أن الرجال يتزوجوا فتيات عذراوات، ومن أدخل نظام الوجبات.	الفصل الخامس والثلاثون
٣٣ من بدأ من اليونانيين يعتقد أن الثالوث الأقدس اله واحد.	الفصل السادس والثلاثون
٣٤ أول من مارسوا الطب في العالم	الفصل السابع والثلاثون
٣٤ أول من شيدوا الحمامات في العالم.	الفصل الثامن والثلاثون
٣٤ أول عازف على الناي وعلى آلات أخرى مثل البوق والنفير.	الفصل التاسع والثلاثون
٣٥ عن إنشاء مدينة سيزيك، وإعلان الوحي وحدة الثالوث الأقدس، وأظهر للناس ميلاد الله من عذراء.	الفصل الأربعون
٣٦ أول من أنشأ محراب، وكيف تأسست كنيسة بأمر الملك قسطنطين مكانه.	الفصل الواحد والأربعون
٣٧ عن مسامير صليب ربنا يسوع المسيح، وكيف أحرز الأباطرة الانتصارات بهذه المسامير.	الفصل الثاني والأربعون

- ٣٧ من أعطوا أسماءهم على إقليمى أكاء، ولاكوينا. الفصل الثالث والأربعون
- ٣٨ من أعطوا اسم فلوفابا ثم أنشأوا عليها مدينة سميت (فلوفانسون). الفصل الرابع والأربعون
- ٣٨ من أسس مدينتى سبرطة، فريجيا. الفصل الخامس والأربعون
- ٣٨ أول من علم العزف على الآلات الموسيقية. الفصل السادس والأربعون
- ٣٨ من وهب اسمه لجزيرة أفسس، وهى آسيا وكانت تسمى أفسس وتغير اسمها إلى أيقونية. الفصل السابع والأربعون
- ٣٨ كيف استولى نبوخذ نصر على مدينة تير. الفصل الثامن والأربعون
- ٣٩ من أخفى فلك نوح، ولوحى العهد، وعصا هارون التى أفرخت، قسط المن، والصخرة. الفصل التاسع والأربعون
- ٤٠ عن حكم الملك كورش، والوعد الذى وعد به المسيبين من بنى اسرائيل بإرجاعهم، وكيف منعهم قمبيز من بناء الهيكل وكيف ملك الاسكندر المقدونى بعد واحد واربعون يوماً. الفصل العاشر والخمسون
- ٤٧ تأسيس مدينة ألبانيا. الفصل الحادى والخمسون
- ٤٧ أول من شيد منزلاً كبيراً اسماه قصرأ. الفصل الثالث والخمسون
- ٤٧ مؤسس مدينة لافينيا. الفصل الرابع والخمسون
- ٤٧ مؤسس مدينة قرطاجنة. الفصل الخامس والخمسون
- ٤٨ عن مؤسس مدينة روما، وكيف أطلق اسمها على الرومان جميعهم وعن استخدام الخيول فى المعارك، وإقامة مكان لمعارك النساء، ونظام أوامر الجيش، ولماذا أقام أباوننا الرهبان القداسات أول كل شهر. الفصل السادس والخمسون

- والشراء وعن مؤسسة الحكام والقضاة.
- ٥٠ **الفصل الثامن والخمسون**
مؤسس مدينة تسالونيكى.
- ٥١ **الفصل التاسع والخمسون**
من مؤسس المدن، الاسكندرية، كريزوبوليس وبيزنطة، والتعريف بالاسكندر وكيف أنتصر على داريوس، وأخذ ابنته أسيرة، وكيف اعتقل من الملكة كانداكة، عندما إقترب منها مع جواسيسه، ثم كيف تزوجها؟
- ٥٢ **الفصل الستون**
متى ترجمت الكتب الموحاة من الله ومن فسروها؟
- ٥٢ **الفصل الواحد والستون**
من أسس مدن: انتيجونيا، وانتيوسن، واللاذقية، وأباميا.
- ٥٢ **الفصل الثانى والستون**
من أول من كتب التاريخ.
- ٥٣ **الفصل الثالث والستون**
من الذى عذب المكابين القديسين
- ٥٣ **الفصل الرابع والستون**
ما بين ميلاد يوليوس قيصر وحكم كليوبترا، وبناء الكنيسة الكبرى المسماة سيزاريون بالاسكندرية .
- ٥٤ **الفصل الخامس والستون**
من شيد قيصرية بفلسطين.
- ٥٤ **الفصل السادس والستون**
من شيد منارة الاسكندرية، وحفر قناة يصل بها ماء نهر جيحون إلى مدينة الاسكندرية العظمى، والعصر الذى ولد فيه ربنا يسوع بالجسد ولماذا جعل الرومان الشهر السادس (يولية) بداية شهورهم؟
- ٥٤ **الفصل السابع والستون**
من جعل أحد الأيام مثل اليوم السادس فى شهر تير
- ٥٦ **الفصل الثامن والستون**
مؤسس مدينة طيارية، فى حكم أى إمبراطور صلب ربنا يسوع المسيح؟
- ٥٧ **الفصل التاسع والستون**
نهاية حكم نيرون المحزن.
- ٥٧ **الفصل السبعون**
الامبراطور دومتيان ونفيه للقديس يوحنا الإنجيلي ونياحة القديس يوحنا، وتأسيس مدينة دوميتو بولس، ومقتل دومتيان

والغاء عادة المقاتلة.

٥٨-٥٩ عن موت انياس التوفوري ومن تحملن الاستشهاد معه وبناء قلعة بابلون في مصر ومن أعطاها هذا الاسم ومن حفر قناة تراجان، وشيد مدينة ممفيس.

٦١ من أسس أنتينودا إقليم الرق.

٦١ من جعل التزام الآباء بكتابة وصايا لصلح ابنائهم، ومن بنى بوابتين في غرب وشرق الاسكندرية.

٦٢ من أدخل الأسود في مصر وفلسطين.

٦٣ من أوجد نظام كتابة الحسابات والضمانات لكفالة البشر.

٦٣ حكم دقلديانوس لمصر، وفقده عقله ونفيه، وأولاده الذين عملوا الشر، وكيف جلب الله الطاعون على الوثنيين لدرجة لم يوجد رجال يدفنون موتاهم، وحكم قسطنطين والأعمال الطيبة التي قام بها من تشييد الكنائس واكتشاف الصليب، وتأسيس مدينة القسطنطينية.

٧٦ إنشاء كوبرى فوق نهر ميرام، وخراب مدينة نيقية وظهور الصليب المقدس فوق الجلجثة في وضوح النهار والآلام التي قاساها أناسيوس الرسولى من الأريوسيين، ونفى ليبريس والأساقفة رفقائه بتحريض الأريوسيين، وعن الامبراطور يوليان الجاحد وكيف ترك رتب الكهنوت وأصبح قائدا للجيش ثم وصل أخيراً إلى العرش بدلاً من غالوس أخيه، وكيف اضطهد القديس أناسيوس بتحريض من الوثنيين محاولاً قتله وكيف قبلت الاسكندرية رفات يوحنا المعمدان حيث شيد له البطريك ثاوفيلس منبر.

الفصل الواحد والثلاثون
والسبعون

الفصل الثالث والسبعون
الفصل الرابع والسبعون

الفصل الخامس
والسبعون

الفصل السادس
والسبعون

الفصل السابع والسبعون

الفصل الثامن والسبعون

رابع.

- ٨١ عن البطريرك ثاوفيلس وبلده، ومولد
القديس كيرلس ابن أخته.
- ٨٣ عن موت الشهيد دوميس وما أنزله الله
من عقاب على يوليائوس الجاحد وكيف
قتل بيد القديس مرقوريوس الشهيد.
- ٨٧ ازدهار الكنيسة في عصر جوفيان، وعوده
أثناسيوس الرسولي إلى مقره بكرامة،
ونمو وازدهار الايمان الارثوذكسي.
- ٩٠ عصر فالنتينان، وكراهيته للظلم وما كتبه
على الأبواب الحجرية الشاهقة التي أمر
الهرطقة ببنائها وكيف أغرقت الأمواج
مدينة الاسكندرية وارتفاعها بصلاة
القديس اثناسيوس.
- ٩٣-١٠٠ عصر ثيودوسيوس العظيم، وخطابه الذي
ألقاه، أمام أسقف أيقونية عن وحدة
الثالوث الأقدس والسلام والصلح الذي
دعى اليه في القسطنطينية وعن
تيموثاوس بطريرك الاسكندرية،
ومكسيموس الذي رسم بطريركاً على
القسطنطينية ومغادره أغريغوريوس
أسقف نزيانزا لها. وبناء كنيسة
ثيودوسيوس بالاسكندرية وقزمان ودميان.
وأمر الامبراطور بهدم مدينة أنطاكية
وحرقها والتهديد الذي بعث به أحد رهبان
الاسقيط بشأن هذا الموضوع وما قاساه
الامبراطور من الآلام وكيف ألغى تجارة
النبيذ وأمكنه الدعارة والفساد.
- ١١٣ المذبحة التي ارتكبتها اليهود في أنميسار
بعدما أهانو صليب ربنا يسوع بصلبهم
طفلاً عليه بسخرية.
- ١١٤ عن فيسكيس اليهودي الذي ادعى أنه
موسى، رئيس الأنبياء.

الفصل التاسع والسبعون

الفصل الثمانون

الفصل الواحد والثمانون

الفصل الثانى والثمانون

الفصل الثالث و الرابع
والثمانونالفصل الخامس
والثمانونالفصل السادس
والثمانون

الفصل السابع والثمانون

١١٥ عن التفاحة الذي قدمت هدية للإمبراطور
ثيودسيوس وما حدث مع أخته بوليخاريا
وكيف ساد الظلام كل الأرض صباحاً
ومساءً لتولى ماركيان الهرطوقي الحكم.

الفصل الثامن والثمانون

١٢١ ما سقط من بروق ورعود وأمطار على
القسطنطينية والنيران التي امتدت على
ضفتي النهر. واعتناق الفيلسوف الوثني
إيزوكاس الإيمان المسيحي الأرثوذكسي،
وعن موطن البطريك تيموثاوس وسقوط
جبل في سوريا، وما ساد القسطنطينية من
وفيات بشعة، والحاد بازيليك وانحرافه مع
الخلقيدونيين، وكيف ثبت الامبراطور
زينون سلطانه على القسطنطينية، ودينونه
والقضاة المهملين في العدالة، وحكم
زينون ونشره خبر حماته في كل مكان.
وما شنت ضده من حروب حتى خطفها
الموت مع أعوانها.

الفصل التاسع والثمانون

١٣٣ عن حكم أنسطاسيوس صديق الله بعد
نبوة أبا جيرمي **Aba geremie**
الراهب المتوحد بدير منوف وعن بناء
الأبواب الحجرية "بالمورد" وخندق لاقامة
الكوبري الكبير الذي يربط بابل بالنهر.
وعن تسمية فيلاليس وعن إنتصار
البطريك الكبير ساويرس، مرض
ماكدونتيوس وعن إلغاء اجتماع الأساقفة
الخلقيدونيين.

الفصل التسعون

١٤٨ عن نفى ساويرس وإبعاده عن كرسيه في
أنطاكية بسبب الهرطقات. وما أحدثه
الامبراطور جستنيان من الأتعاب لسكان
مدينة القسطنطينية، والصلاة المقدمة منهم
إلى الله وعن الإنذار الذي سمعه جستنيان
من الله. والنار الحارقة في أنطاكية ومدن
القسطنطينية.

- الضواحي، وعماد شعب لازس **Lazes** وملوك الهند والنوبيين وديانتهم السابقة.
عن الزلزال الذي حدث في مصر وعن
الهنز **Hens** الخارجين، وأن الهنود
والنوبيين كانوا يهوداً.
- ١٦٢ كيف أننا نحن المسيحيون أخذنا تسميتنا
من ثيودوسيوس، وظهور الكنعانيين
gainailes وعقيدتهم.
- ١٦٣ عن تأسيس مدينة روما.
- ١٦٥ عن الانقسامات التي حدثت في
القسطنطينية بخصوص الجسد المقدس
الذي لسيدنا ومخلصنا يسوع المسيح.
- ١٦٦ عن أريستوماكيو ابن ثيودوسيوس وعن
مدينة **Abasag** أباساي وعن الاتهام
الذي حملوه ضده عند الإمبراطور الذي
أوقفه وكيف أن ملك الفرس **Chosrois**
آمن وأصبح مسيحياً.
- ١٧٠ عن النبيلة **Galandanh** وأسمها يعبر
عن وقارها وعما ظهر لها في السجن
أثناء تعذيبها وإضطهادها.
- ١٧٤ عن الذين تجمعوا في حي بعيد عن مدينة
الموصل، وعن الحيوان الذي يشبه امرأة
ظهر في مصر.
- ١٧٦ عن يولينيس الساحر الذي كان يقدم
الذبايح للآلهة المزيفة باستخدام إناء من
الفضة.
- ١٨١ من الذي بدأ الكتابة بأسم ربنا يسوع
المسيح.
- ١٨٣ غرق مدينة **Antinoou**، وعن مدينة
ترسوس عاصمة "سيلسيا" في الليلة
نفسها.
- ١٨٤

الفصل الحادي والتسعون

الفصل الثاني والتسعون الفصل الثالث والتسعون

الفصل الرابع والتسعون

الفصل الخامس والتسعون

الفصل السادس والتسعون

الفصل السابع والتسعون

الفصل الثامن والتسعون

الفصل التاسع والتسعون

النجوم وعن الزلزال.

الفصل المائة والواحد

١٨٤ عن **Bourikons** الحاكم الذى كان يمارس تدريبات التقوى وعن موته العنيف. وكيف طرد سكان القسطنطينية الامبراطور (موريس).

الفصل المائة والثانى

١٨٥ كيف أصبح قادة السفن أحرار بعدما فقدوا حمولتهم فى البحر وعن حكم **Phocas** وضحاياه المقتولين.

الفصل المائة والثالث

١٨٦ منع تعيين بطريك أو أى رتبة كهنوتية دون موافقة **Phocas** كان من نتائج ما فعله الشرقيون والفلسطينيون أن المقابر امتلأت بالدماء فى الكنائس بسبب اجتماع الناس فى جرن المعمودية.

الفصل المائة والرابع

١٨٨ عن (كوفيلوس) ومدينة المورد، وعن المذبحة التى بسبب موته، نفذها فى أنطاكية وفى فلسطين.

الفصل المائة والخامس

١٨٨ عن زوجة هرقل الكبير وزوجة هرقل الصغير وعن فابيا ابنته التى كانت عذراء، وكيف انقذهم كريسب القاضى من أعوان فوكاس المعتدين.

الفصل المائة والسادس

١٨٩ الثورة التى قامت ضد فوكاس فى مصر وفى باريوط والاسكندرية وعدد الضحايا اللذين ماتوا فى هذه الحوادث، وكيف ألقوا تمثال فوكاس على الأرض.

الفصل المائة والسابع

١٨٩ عن ثاوفيلس العالم، والنبوة التى قالها لنيكوستاس **Nicotas** وهى أنه "ستهزم فوكاس وتقضى على حكمه وحينئذ يملك هيرقل".

الفصل الثامن بعد المائة

١٩٦ عن الكوبرى الذى كان موجوداً فى مدينة دفاشير (**Dofachir**) القرية من كنيسة القديس مينا.

١٩٨ موت فوكاس، وتشتيت ثروات القصر وما



- فضح زوجته وابنته.
- ٢٠١ عن ظهور الاسلام على أرض الفيوم
وفشل الرومان المقيمون هناك.
- ٢٠٣ مقابلة عمرو الأولى مع الرومان في
أمون "هليوبوليس".
- ٢٠٦ انسحاب اليهود الذين كانوا يخشون
المسلمين وقسوة (عمرو) واستيلاؤه على
ثرواتهم، إلى مدينة (منوف)، ثم هروبهم
من أبواب مصر المفتوحة إلى الاسكندرية
ومساعدة بعض الخونة لعمرو لتقليل عدد
المصريين.
- ٢٠٨ صمود سكان سمنود أمام عمرو ورفضهم
قبوله، وعودة Kaladyi في صفوف
الرومان، واستيلاؤهم على أمه وزوجته
واخذهما في الاسكندرية لأنه انضم إلى
المسلمين وكان يدعو لتقدمهم.
- ٢٠٩ كيف استولى المسلمون على مصر والسنة
الرابعة عشر للدورة القمرية واستيلائهم
على قلعة بابل في الخامسة عشر.
- ٢١١ عن موت الامبراطور هرقل وعودة
البطريك Cyrus من النفي ورحيله إلى
مصر حتى يدفع الجزية للمسلمين.
- ٢١٢ كيف سلم الله الرومان لأيدي المسلمين،
وطردهم بسبب عدم إيمانهم وهرطقتهم،
وعن الاضطهاد الذي مارسوه ضد مسيحي
مصر.
- ٢١٥ كيف أصبح عمرو سيد إبشاتي أو
نيقيوس. ومن هروب دوميتيوس القائد،
وغرق جيشه في النهر وعن المذبحة التي
حدثت في إبشادي والبلاد التابعة للعباس
وجزيرته في الثامن عشر من جمادى في
السنة الخامسة عشر للمرحلة القمرية
- الفصل العاشر بعد المائة
- الفصل الحادي عشر بعد
المائة
- الفصل الثاني عشر بعد
المائة
- الفصل الثالث عشر بعد
المائة
- الفصل الرابع عشر بعد
المائة
- الفصل الخامس عشر
بعد المائة
- الفصل السادس عشر
بعد المائة
- الفصل السابع عشر بعد
المائة



الفصل الثامن عشر بعد
المائة

الفصل التاسع عشر بعد
المائة

الفصل المائة والعشرون

الفصل الواحد والعشرين
بعد المائة

الفصل الثاني والعشرون
بعد المائة

٢١٦ أصبح المسلمين سادة في سيزاويه في
فلسطين وما تحملته المدينة قدراً لها.

٢١٨ ما حدث من انقلاب وضحايا كثيرة لسكان
جزيرة كريت ودولتهم.

٢٢١ عن سيروس **Cyrus** بطريك
الخليديونيين وذهابه بنفسه إلى بابل
لمقابلة عمرو قائد المسلمين وقد أحضر
الجزية بالسفن وسلمها لعمرو، وكيف زاد
عمرو الجزية على المصريين - وعن موت
كورين الخليديونى وهو يعانى تأنيب
الضمير لتسليم مدينة الاسكندرية إلى أيدي
المسلمين.

٢٣٢ عودة الأنبا بنيامين بطريك مصر من
منفاه في إقليم الرف **Rif** حيث مكث
عشرة أعوام منفياً من الأباطرة الرومان
وأربعة سنوات تحت سيادة المسلمين
وما حدث من قصص ختامية للعمل
ملخص الموضوع

Scanning House

سكانينج هاوس

فصل ألوان إلكترونى - جمع تصويرى

